الباب السادس

في الإنشاء

اعلم أن الإنشاء قد يطلق على نفس الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه وقد يقال على ما هو فعل المتكلم أعني القاء مثل هذا الكلام كما أن الأخبار كذلك.

والأظهر أن المراد ههنا هو الثاني بقرينة تقسيمه إلى الطلب وغير الطلب وتقسيم الطلب إلى التمني والاستفهام وغيرهما، والمراد بها معانيها المصدرية لا الكلام المشتمل عليها بقرينة قوله واللفظ الموضوع له كذا وكذا لظهور إن لفظ ليت مثلا يستعمل لمعنى التمنى لا لقول: لا ليت زيدا قائم فافهم.

فالإنشاء إن لم يكن طلبا كافعال المقاربة وافعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم ورب ونحو ذلك، فلا يبحث عنها ههنا لقلة المباحث المناسبة المتعلقة بها ولأن أكثرها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء.

فالإنشاء:

(إن كان طلبا استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب) لامتناع طلب الحاصل فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع اجراؤها على معانيها الحقيقية ويتولد منها بحسب القرائن ما يناسب المقام.

(وأنواعه) أي: الطلب.

(كثيرة منها: التمنى) وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة.

(واللفظ الموضوع له ليت ولا يشترط امكان المتمنى) بخلاف الترجي.

(كقولك: ليت الشباب يعود يوما) فاخبره بما فعل المشيب ولا تقود لعله يعود لكن إذا كان المتمنى ممكنا يجب أن لا يكون لك توقع وطماعية في وقوعه وإلا لصار ترجيا.

(وقد يتمنى بهل نحو: هي لى من شفيع حيث يعلم أن لا شفيع له) لأنه حينئذ يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول الجزم بانتفائه، والنكتة في التمنى بهل والعدول عن ليت هي إبراز المتمنى لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه.

(و) قد يتمنى:

(بلو نحو: لو تأتيني فتحدثني بالنصب) على تقدير فإن تحدثني، فإن النصب قرينة على أن لو ليست على الصلها إذ لا ينصب المضارع بعدها باضمار أن وإنما يضمر أن بعد الأشياء الستة والمناسب للمقام ههنا هو التمنى.

(قال السكاكي: كان حروف التنديم والتحضيض وهي هلا وإلا بقلب الهاء همزة ولولا ولو ما مأخوذة منهما) وخبر كأن منهما أي كأنها مأخوذة من هل ولو اللتين للتمني حال كونهما.

(مركبتين مع ماء ولاء المزيدتين لتضمينهما) علة لقوله مركبتين. والتضمين جعل الشيء في ضمن الشيء تقول ضمنت الكتاب كذا كذا بابا إذا جعلته متضمنا لتلك الأبواب يعني أن الغرض المطلوب من هذا التركيب والتزامه هو جعل هل ولو متضمنتين.

(معنى التمنى ليتولد) علة لتضمينهما يعني أن الغرض من تضمينهما معنى التمنى ليس إفادة التمنى بل أن يتولد.

(منه) أي: من معنى التمنى المتضمنتين هما اياه.

(في الماضي التنديم نحو: هلا أكرمت زيدا) أو لو ما اكرمته على معنى ليتك اكرمته قصدا إلى جعله نادما على ترك الإكرام.

(وفي المضارع التحضيض نحوك هلا تقوم) ولو ما تقوم على معنى ليتك تقوم قصدا إلى حثه على القيام.

والمذكور في الكتاب ليس عبارة السكاكي لكنه حاصل كلامه.

وقوله: (لتضمينها) مصدر مضاف إلى المفعول الأول ومعنى التمنى مفعوله الثاني.

ووقع في بعض النسخ: (لتضمنها) على لفظ التفعل وهو لا يوافق معنى كلام المفتاح. وإنما ذكر هذا بلفظ كأن لعدم القطع بذلك.

(وقد يتمنى بلعل فيعطى له حكم ليت) وينصب في جوابه المضارع على إضمار إن نحو: لعلي أحج فأزورك، بالنصب لبعد المرجو عن الحصول).

وبهذا يشبه المحالات والممكنات التي لا طماعية في وقوعها فيتولد منه معنى التمنى ومنها أي من أنواع الطلب.

(الاستفهام) وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن؛ فإن كانت وقوع نسبة بين أمرين أو لا وقوعها فحصولاه هو التصديق وإلا فهو التصور.

(والألفاظ الموضوعة له الهمزة وهل وما ومن وأى وكم وكيف واين وانى ومتى وأيان. فالهمزة لطلب التصديق) أي: انقياد الذهن وإذعانه لوقوع نسبة تامة بين الشيئين.

(كقولك أقام زيد) في الجملة الفعلية.

(وأزيد قائم) في الجملة الاسمية.

(أو) لطلب.

(التصور) أي: إدراك غير النسبة.

(كقولك) في طلب تصور المسند إليه.

(أدبس في الإناء أم عسل) عالما بحصول شيء في الإناء طالبا لتعيينه.

(و) في طلب تصور المسند.

(في الخابية دبسك أم في الزق) عالما بكون الدبس في واحد من الخابية والزق طالبا لتعيين ذلك.

(ولهذا) أي: ولمجيء الهمزة لطلب التصور.

(لم يقبح) في تصور الفاعل.

(أزيد قام) كما قبح هل زيد قام.

(و).

(لم يقبح في طلب تصور المفعول " أعمرو عرفت ") كما قبح هل عمرا عرفت.

وذلك لأن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل فيكون هل لطلب حصول الحاصل. وهذا ظاهر في أعمروا عرفت لا في أزيد قام فليتأمل.

(والمسؤول عنه بها) أي: بالهمزة.

(هو ما يليها كالفعل في: أضربت زيدا) إذا كان الشك في نفس الفعل أعني الضرب الصادر من المخاطب الواقع على زيد وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده فيكون لطلب التصديق. ويحتمل أن يكون لطلب تصور المسند بأن تعلم أنه قد تعلق فعل من المخاطب بزيد لكن لا تعرف أنه ضرب أو اكرام.

(والفاعل في: أأنت ضربت) إذا كان الشك في الضارب.

(والمفعول في: أزيدا ضربت) إذا كان الشك في المضروب، وكذا قياس سائر المتعلقات.

(وهل لطلب التصديق فحسب) وتدخل على الجملتين.

(نحو: هل قام زيد وهل عمرو قاعد) إذا كان المطلوب حصول التصديق بثبوت القيام لزيد والقعود لعمرو.

(ولهذا) أي: ولاختصاصها بطلب التصديق.

(امتنع هل زيد قام أم عمرو) لأن وقوع المفرد ههنا بعد أم دليل على أن أم متصلة وهي لطلب تعيين أحد الأمرين مع العلم بثبوت أصل الحكم وهل إنما تكون لطلب الحكم فقط. ولو قلت هل زيد قام بدون أم عمرو لقبح ولا يمتنع لما سيجيء.

(و) لهذا أيضا (قبح هل زيدا ضربت لأن التقديم يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل) فيكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال. وإنما لما يمتنع لاحتمال أن يكون زيدا

مفعول فعل محذوف أو يكون التقديم لمجرد الاهتمام لا للتخصيص لكن ذلك خلاف الظاهر.

(دون) هل زيدا.

(ضربته) فإنه لا يقبح.

(لجواز تقدير المفسر قبل زيدا) أي: هل ضربت زيدا ضربته.

(وجعل السكاكي قبح هل رجل عرف لذلك) أي: لأن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل لما سبق من مذهبه من أن الأصل عرف رجل على أن رجل بدل من الضمير في عرف قدم للتخصيص.

(ويلزمه) أي: السكاكي.

(أن لا يقبح هل زيد عرف) لأن تقديم المظهر المعرفة ليس للتخصيص عنده حتى يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل مع أنه قبيح باجماع النحاة.

وفيه نظر؛ لأن ما ذكره من اللزوم ممنوع لجواز أن يقبح لعلة أخرى.

(وعلل غيره) أي: غير السكاكي.

(قبحهما) أي: قبح هل رجل عرف وهل زيد عرف.

(بأن هل بمعنى قد في الأصل) وأصله أهل.

(وترك الهمزة قبلها لكثرة وقوعها في الاستفهام) فأقيمت هي مقام الهمزة وقد تطفلت عليها في الاستفهام وقد من خواص الأفعال فكذا ما هي بمعناها.

وإنما لم يقبح هل زيد قائم؛ لأنها إذا لم تر الفعل في حيزها ذهلت عنه ونسيت بخلاف ما إذا رأته، فإنها تذكرت العهود وحنت إلى الألف المألوف فلم ترض بافتراق الاسم بينهما.

(وهي) أي: هل.

(تخصص المضارع بالاستقبال) بحكم الوضع كالسين وسوف.

(فلا يصح هل تضرب زيدا) في أن يكون الضرب واقعا في الحال على ما يفهم عرفا ومن قوله.

(وهو أخوك كما يصح: أتضرب زيدا وهو أخوك) قصدا إلى إنكار الفعل الواقع في الحال بمعنى أنه لا ينبغي أن يكون وذلك لأن هل تخصص المضارع بالاستقبال فلا يصح لإنكار الفعل الواقع في الحال بخلاف الهمزة فإنها تصلح لإنكار الفعل الواقع لأنها ليست مخصصة للمضارع بالاستقبال.

وقولنا في أن يكون الضرب واقعا في الحال ليعلم أن هذا الامتناع جار في كل ما يوجد فيه قرينة تدل على أن المراد إنكار الفعل الواقع في الحال سواء عمل ذلك المضارع في جملة حالية كقولك أتضرب زيدا وهو أخوك كقوله تعالى:﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠]، وكقولك أتؤذي أباك وأتشتم الأمير فلا يصح وقوع هل في هذه المواضع.

ومن العجائب ما وقع لبعضهم في شرح هذا الموضع من أن هذا الامتناع بسبب أن الفعل المستقبل لا يجوز تقييده بالحال وإعماله فيها.

ولعمري؛ إن هذه فرية ما فيها مرية إذ لم ينقل عن أحد من النحاة امتناع مثل سيجيء زيد راكبا وسأضرب زيدا وهو بين يدى الأمير كيف وقد قال الله تعالى:﴿ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ ﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣].

وفى الحماسة: [الطويل]

سأغسِلُ عنِّي العارَ بالسيف جالباً ... عليّ قضاءُ الله ما كان جالباً

وأمثال هذه أكثر من أن تحصى.

وأعجب من هذا أنه لما سمع قول النحاة: أنه يجب تجريد صدر الجملة الحالية عن علم الاستقبال لتنافي الحال والاستقبال بحسب الظاهر على ما سنذكره حتى لا يجوز يأتيني زيد سيركب أو لن يركب فهم منه أنه يجب تجريد الفعل العامل في الحال عن علامة الاستقبال

حتى لا يصح تقييد مثل هل تضرب وستضرب ولن تضرب بالحال وأورد هذا المقال دليلا على ما ادعاه ولم ينظر في صدر هذا المقال حتى يعرف أنه لبيان امتناع تصدير الجملة الحالية بعلم الاستقبال.

(ولاختصاص التصديق بها) أي: لكون هل مقصورة على طلب التصديق وعدم مجيئها لغير التصديق كما ذكر فيما سبق.

(وتخصيصها المضارع بالاستقبال كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانيا اظهر) وما موصولة وكونه مبتدأ خبره أظهر وزمانيا خبر الكون أي بالشيء الذي زمانيته اظهر.

(كالفعل) فإن الزمان جزء عن مفهومه بخلاف الاسم فإنه إنما يدل عليه حيث يدل بعروضه له إما اقتضاء تخصيصها المضارع بالاستقبال لمزيد اختصاصها بالفعل فظاهر.

وأما اقتضاء كونها لطلب التصديق فقط لذلك فلان التصديق هو الحكم بالثبوت أو الانتفاء والنفي والاثبات إنما يتوجهان إلى المعاني والاحداث التي هي مدلولات الأفعال لا إلى الذوات التي هي مدلولات الأسماء.

(ولهذا) أي: ولأن لها مزيد اختصاص بالفعل.

(كان ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠] أدل على طلب الشكر من: فهل تشكرون، وفهل أنتم تشكرون) مع أنه مؤكد بالتكرير لأن أنتم فاعل فعل محذوف.

(لأن إبراز ما سيتجدد في معرض الثابت أدل على كمال العناية بحصوله) من إبقائه على أصله كما في هل تشكرون، لأن هل في هل تشكرون، وفى هل أنتم تشكرون على أصلها لكونها داخلة على الفعل تحقيقا في الأول وتقديرا في الثاني.

(و) ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ أدل على طلب الشكر.

(من أفأنتم شاكرون) أيضا.

(وإن كان للثبوت باعتبار) كون الجملة اسمية.

(لأن هل أدعى للفعل من الهمزة فتركه معها) أي: ترك الفعل مع هل.

(أدل على ذلك) أي: على كمال العناية بحصول ما سيتجدد.

(ولهذا) أي: ولأن هل أدعى للفعل من الهمزة.

(لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ) لأنه الذي يقصد به الدلالة على الثبوت وإبراز ما سيوجد في معرض الوجود.

(وهي) أي: هل.

(قسمان بسيطة وهي التي يطلب بها وجود الشيء أو لا) وجوده.

(كقولنا: هل الحركة موجودة؟) أو لا موجودة.

(ومركبة وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء) أو لا وجود له.

(كقولنا: هل الحركة دائمة؟) أو لا دائمة فإن المطلوب وجود الدوام للحركة أو لا وجوده لها. وقد اعتبر في هذه شيئان غير الوجود وفى الأولى شيء واحد فكانت مركبة بالنسبة إلى الأولى وهي بسيطة بالنسبة إليها.

(والباقية) من الفاظ الاستفهام تشترك في انها.

(لطلب التصور فقط) وتختلف من جهة أن المطلوب بكل منها تصور شيء آخر.

(قيل فيطلب بها، شرح الاسم كقولنا: ما العنقاء؟) طالبا أن يشرح هذا الاسم ويبين مفهومه فيجاب بإيراد لفظ اشهر.

(أو ما هية المسمى؟) أي: حقيقته التي هو بها هو.

(كقولنا: ما الحركة؟) أي: ما حقيقة مسمى هذا اللفظ فيجاب بايراد ذاتياته.

(وتقع هل البسيطة في الترتيب بينهما) أي: بين ما التي لشرح الاسم والتى لطلب الماهية يعني أن مقتضى الترتيب الطبيعي أن يطلب أو لا شرح الاسم ثم وجود المفهوم في نفسه ثم ما هيته وحقيقته؛ لأن من لا يعرف مفهوم اللفظ استحال منه أن يطلب وجود ذلك المفهوم ومن لا يعرف أنه موجود استحال منه أن يطلب حقيقته وماهيته إذ لا حقيقة للمعدوم ولا ماهية له.

والفرق بين المفهوم من الاسم بالجملة وبين الماهية التي يفهم من الحد بالتفصيل غير قليل؛ فإن كل من خوطب باسم فهم فهما ما ووقف على الشيء الذي يدل عليه الاسم إذا كان عالما باللغة. وأما الحد فلا يقف عليه إلا المرتاض بصناعة المنطق فالموجودات لما كان لها حقائق ومفهومات فلها حدود حقيقية واسمية.

وأما المعدومات فليس لها إلا المفهومات فلا حدود لها إلا بحسب الاسم لأن الحد بحسب الذات لا يكون إلا بعد أن يعرف أن الذات موجودة حتى أن ما يوضع في أول التعاليم من حدود الأشياء التي يبرهن عليها في أثناء التعاليم إنما هي حدود اسمية ثم إذا برهن عليها وأثبت وجودها صارت تلك الحدود بعينها حدودا حقيقية جميع ذلك مذكور في الشفاء.

(و) يطلب **(بمن العارض المشخص)** أي: الأمر الذي يعرض.

(لذى العلم) فيفيد تشخصه وتعينه.

(كقولنا: من في الدار؟) فيجاب عنه بزيد ونحوه مما يفيد تشخصه.

(وقال السكاكي يسأل بها عن الجنس تقول: ما عندك؟ أي: أي أجناس الأشياء عندك، وجوابه: كتاب ونحوه) ويدخل فيه السؤال عن الماهية والحقيقة نحو: ما الكلمة؟ أي: أي أجناس الألفاظ هي؟ وجوابه: لفظ مفرد موضوع.

(أو عن الوصف تقول: ما زيد وجوابه الكريم ونحوه و) يسأل.

(بمن عن الجنس من ذى العلم تقول من جبريل أي ابشر هو أم ملك أم جنى. وفيه نظر) إذ لا نسلم أنه للسؤال عن الجنس، وأنه يصح في جواب من جبريل أن يقال ملك، بل جوابه ملك من عند الله يأتي بالوحي، كذا وكذا مما يفيد تشخصه.

(ويسأل بأى عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما) وهو مضمون أضيف إليه أي.

(نحو: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم:٧٣]، أي: أنحن أم أصحاب محمد عليه السلام) والمؤمنون والكافرون قد اشتركا في الفريقية وسألوا عما يميز أحدهما عن الآخر، مثل كون الكافرين قائلين بهذا القول ومثل كون أصحاب محمد عليه السلام غير قائلين.

(و) يسأل (بكم عن العدد نحو: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة:٢١١]) أي: كم آية آتيناهم؟ أعشرين أم ثلاثين؟ فمن آية مميزكم بزيادة من لما وقع من الفصل بفعل متعد بين كم ومميزه كما ذكرنا في الخبرية، فكم ههنا للسؤال عن العدد لكن الغرض من هذا السؤال هو التقريع والتوبيخ.

(و) يسأل (بكيف عن الحال، وبأين عن المكان، وبمتى عن الزمان) ماضيا كان أو مستقبلا.

(وبأيان عن) الزمان.

(المستقبل. قيل: ويستعمل في مواضع التفخيم مثل: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة:٦]، وأنّى تستعمل تارة بمعنى كيف) ويجب أن يكون بعدها فعل.

(نحو: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]) أي: على أي حال ومن أي شق أردتم بعد أن يكون المأتى موضع الحرث ولم يجئ أنى زيد بمعنى كيف هو.

(وأخرى بمعنى من أين نحو: ﴿ أَنَّى لَكِ هَـٰذَا ﴾) أي: من أين لك هذا الرزق الآتي كل يوم. وقوله: يستعمل إشارة إلى أنه يحتمل أن يكون مشتركا بين المعنيين، وأن يكون في أحدهما حقيقة وفي الآخر مجازا ويحتمل أن يكون معناه: أين؟ إلا أنه في الاستعمال يكون مع من ظاهرة كما في قوله: (من أنى عشرون لنا) أي: من أين أو مقدرة كما في قوله تعالى: ﴿ أَنَّى لَكِ هَـٰذَا ﴾ [آل عمران: ٣٧] أي: من أين لك هذا؟ على ما ذكره بعض النحاة.

(ثم إن هذه الكلمات الاستفهامية كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام) مما يناسب المقام بحسب معونة القرائن.

(كالاستبطاء نحو: كم دعوتك والتعجب نحو: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠]) لأنه كان لا يغيب عن سليمان عليه السلام إلا بإذنه فلما لا يبصره مكانه تعجب من حال نفسه في عدم إبصاره إياه.

ولا يخفى أنه لا معنى لاستفهام العاقل عن حال نفسه، وقول صاحب الكشاف: إنه نظر سليمان إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال: مالي لا أراه، على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له، يدل على أن الاستفهام على حقيقته.

(والتنبيه على الضلال نحو: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦] والوعيد كقولك لمن يسيء الأدب: ألم أؤدب فلانا إذا علم) المخاطب.

(ذلك) وهو أنك أدبت فلانا فيفهم معنى الوعيد والتخويف ولا يحمله على السؤال.

(والتقرير) أي: حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه.

(بإيلاء المقرر به الهمزة) أي: بشرط أن يذكر بعد الهمزة ما حمل المخاطب على الإقرار به.

(كما مر) في حقيقة الاستفهام من إيلاء المسئول عنه الهمزة تقول: أضربت زيدا في تقريره بالفعل وأنت ضربت في تقريره بالفاعل وأزيدا ضربت في تقريره بالمفعول وعلى هذا القياس. وقد يقال التقرير بمعنى التحقيق والتثبيت فيقال: أضربت زيدا بمعنى أنك ضربته البتة.

(والإنكار كذلك نحو: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠]) أي: بإيلاء المنكر الهمزة كالفعل في قوله: أَيَقْتُلُني وَالمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي، والفاعل في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، والمفعول في قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤]، و﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠].

وأما غير الهمزة فيجيء للتقرير والإنكار لكن لا يجري فيه هذه التفاصيل ولا يكثر كثرة الهمزة فلذا لم يبحث عنه.

(ومنه) أي: من مجيء الهمزة للإنكار.

(نحو:﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦]، أي الله كاف) لأن إنكار النفي نفي له و(نفي النفي إثبات وهذا) المعنى.

(مراد من قال الهمزة فيه للتقرير) أي: لحمل المخاطب على الإقرار.

(بما دخله النفي) وهو الله كاف.

(لا بالنفي) وهو ليس الله بكاف فالتقرير لا يجب أن يكون بالحكم الذي دخلت عليه الهمزة بل بما يعرف المخاطب من ذلك الحكم إثباتا أو نفيا.

وعليه قوله تعالى:﴿ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [المائدة:١١٦] فالهمزة فيه للتقرير أي بما يعرفه عيسى عليه السلام من هذا الحكم لا بأنه قد قال ذلك فافهم. وقوله: والإنكار كذلك، دل على أن صورة إنكار الفعل أن يلي الفعل الهمزة، ولما كان له صورة أخرى لا يلي فيها الفعل الهمزة أشار إليها بقوله.

(ولإنكار الفعل صورة أخرى وهي نحو: " أزيدا ضربت أم عمرا " لمن يردد الضرب بينهما) من غير أن يعتقد تعلقه بغيرهما فإذا انكرت تعلقه بهما فقد نفيته عن أصله لأنه لابد له من محل يتعلق به.

(والإنكار إما للتوبيخ أي ما كان ينبغي أن يكون) ذلك الأمر الذي كان.

(نحو: " أعصيت ربك ") فإن العصيان واقع لكنه منكر. وما يقال إنه للتقرير فمعناه التحقيق والتثبيت.

(أو لا ينبغي أن يكون في) أي: أن يحدث ويتحقق مضمون ما دخلت عليه الهمزة وذلك في المستقبل.

(نحو: " أتعصي ربك ") يعني لا ينبغي أن يتحقق العصيان.

(أو للتكذيب) في الماضي.

(أي لم يكن نحو: ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ ﴾[الإسراء: ٤٠]) أي: لم يفعل ذلك.

(أو) في المستقبل أي.

(لا يكون نحو: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾[هود:٢٨]) أي: أنلزمكم تلك الهداية أو الحجة بمعنى أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء والحال أنكم لها كارهون يعني لا يكون منا هذا الإلزام.

(والتهكم) عطف على الاستبطاء أو على الإنكار، وذلك أنهم اختلفوا في أنه إذا ذكر معطوفات كثيرة أن الجميع معطوف على الأول أو كل واحد عطف على ما قبله.

(نحو: ﴿أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود:٨٧]) وذلك أن شعيبا عليه السلام كان كثير الصلوات وكان قومه إذا رأوه يصلي تضاحكوا فقصدوا بقولهم: ﴿أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الهزء والسخرية لا حقيقة الاستفهام.

(والتحقيق نحو: " من هذا؟ ") استحقارا بشأنه مع أنك تعرفه.

(والتهويل كقرائة ابن عباس) رضى الله عنه.

(﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ﴾ [الدخان: ٣٠،٣١] بلفظ الاستفهام) أي: من بفتح الميم.

(ورفع فرعون) على أنه مبتدأ ومن الاستفهامية خبره أو بالعكس على اختلاف الرأيين؛ فإنه لا معنى لحقيقة الاستفهام ههنا وهو ظاهر بل المراد أنه لما وصف الله العذاب بالشدة والفظاعة زادهم تهويلا ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ﴾ أي: هل تعرفون من هو في فرط عتوه وشدة شكيمته فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله.

(ولهذا قال: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾[الدخان:٣١]) زيادة لتعريف حاله وتهويل عذابه.

(والاستبعاد نحو: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ [الدخان:١٣] فإنه لا يجوز حمله على حقيقة الاستفهام وهو ظاهر، بل المراد: استبعاد أن يكون لهم الذكرى بقرينة قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ ﴾) أي: كيف يتذكرون ويتعظون ويوفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الإذكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وآله من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يتذكروا واعرضوا عنه.

(ومنها) أي: من أنواع الطلب.

(الأمر) وهو طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء وصيغته تستعمل في معان كثيرة، فاختلفوا في حقيقته الموضوعة هي لها اختلافا كثيرا، ولما لم تكن الدلائل مفيدة للقطع بشيء. قال المصنف:

(والأظهر أن صيغته من المقترنة باللام نحو: ليحضر زيد وغيرها نحو: أكرم عمرا ورويد بكرا) فالمراد بصيغته ما دل على طلب فعل غير كف استعلاء سواء كان اسما أو فعلا.

(موضوعة لطلب الفعل استعلاء) أي: على طريق طلب العلو وعد الأمر نفسه عاليا سواء كان عاليا في نفسه أم لا.

(لتبادر الفهم عند سماعها) أي: سماع الصيغة.

(إلى ذلك) المعنى أعني الطلب استعلاء والتبادر إلى الفهم من أقوى امارات الحقيقة.

(وقد تستعمل) صيغة الأمر.

(لغيره) أي: لغير طلب الفعل استعلاء.

(كالإباحة نحو: " جالس الحسن أو ابن سيرين ") فيجوز له أن يجالس أحدهما أو كليهما وأن لا يجالس أحدا منهما أصلا.

(والتهديد) أي: التخويف وهو أعم من الإنذار لأنه إبلاغ مع التخويف.

وفى الصحاح: الإنذار تخويف وهو مع دعوة.

(نحو: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠]) لظهور أن ليس المراد الأمر بكل عمل شاؤا.

(والتعجيز نحو: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣]) إذ ليس المراد طلب إتيانهم بسورة من مثله لكونه محالا. والظرف أعني قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ متعلق بـ﴿فَأْتُواْ﴾ والضمير لعبدنا أو صفة لسورة والضمير لما نزلنا أو لعبدنا.

فإن قلت: لم لا يجوز على الأول أن يكون الضمير لما نزلنا؟

قلت: لأنه يقتضي ثبوت مثل القرآن في البلاغة وعلوا الطبقة بشهادة الذوق إذ التعجيز إنما يكون عن المأتى به فكأن مثل القرآن ثابت لكنهم عجزوا عن أن يأتوا عنه بسورة بخلاف ما إذا كان وصفا للسورة فإن المعجوز عنه هو السورة الموصوفة باعتبار انتفاء الوصف.

فإن قلت: فليكن التعجيز باعتبار انتفاء المأتى به منه؟

قلنا: احتمال عقلي لا يسبق إلى الفهم ولا يوجد له مساغ في اعتبارات البلغاء واستعمالاتهم فلا اعتداد به، ولبعضهم هنا كلام طويل لا طائل تحته.

(والتسخير نحو: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة:٦٥] والإهانة نحو: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء:٥٠]) إذ ليس الغرض من يطلب منهم كونهم قردة أو حجارة أو حديدا لعدم قدرتهم على ذلك لكن في التسخير يحصل الفعل أعني صيرورتهم قردة وفى الاهانة لا يحصل إذا المقصود قلة المبالاة بهم.

(والتسوية نحو: ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾[الطور:٦١]) ففى الإباحة كأن المخاطب توهم أن الفعل محظور عليه فأذن له في الفعل مع عدم الحرج في الترك وفى التسوية كأنه توهم أن أحد الطرفين من الفعل والترك انفع له وارجح بالنسبة إليه فرفع ذلك التوهم وسوى بينهما.

(والتمنى نحو: [الطويل]

أَلا أَيُّها اللَيلُ الطَويلُ أَلا اِنجَلي ... بِصُبحٍ وَما الإِصباحُ مِنكَ بِأَمثَلِ

إذ ليس الغرض طلب الانجلاء من الليل؛ إذ ليس ذلك في وسعه لكنه يتمنى ذلك تخلصا عما عرض له في الليل من تباريح الجو ولاستطالة تلك الليلة كأنه طمّاعية له في انجلائها فلهذا يحمل على التمنى دون الترجي.

(والدعاء) أي: الطلب على سبيل التضرع.

(نحو: رب اغفر لي. والالتماس كقولك لمن يساويك رتبة: افعل. بدون الاستعلاء) والتضرع، فإن قيل: أي حاجة إلى قوله بدون الاستعلاء مع قوله لمن يساويك رتبة؟

قلت: قد سبق أن الاستعلاء لا يستلزم العلو فيجوز أن يتحقق من المساوى بل من الأدنى أيضا.

(ثم الأمر قال السكاكي: حقه الفور لأنه الظاهر من الطلب) عند الانصاف كما في الاستفهام والنداء.

(ولتبادر الفهم عند الأمر بشيء بعد الأمر بخلافه إلى تغيير) الأمر.

(الأول دون الجمع) بين الأمرين.

(وإرادة التراخي). فإن المولى إذا قال لعبده: قم، ثم قال له قبل أن يقوم: اضطجع حتى المساء، يتبادر الفهم إلى أنه غيَّر الأمر بالقيام إلى الأمر بالاضطجاع ولم يرد الجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخي أحدهما.

(وفيه نظر) لأنا لا نسلم ذلك عند خلو المقام عن القرائن.

(ومنها) أي: من أنواع الطلب.

(النهي) وهو طلب الكف عن الفعل استعلاء.

(وله حرف واحد وهو لاء الجازمة في نحو قولك لا تفعل وهو كالامر في الاستعلاء) لأنه المتبادر إلى الفهم.

(وقد يستعمل في غير طلب الكف) عن الفعل كما هو مذهب البعض.

(أو) طلب.

(الترك) كما هو مذهب البعض. فإنهم قد اختلفوا في أن مقتضى النهي كف النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أضداده أو ترك الفعل وهو نفس أن لا تفعل.

(كالتهديد كقولك لعبد لا يمتثل أمرك: لا تمثل امرى) وكالدعاء والالتماس وهو ظاهر.

(وهذه الأربعة) يعني التمنى والاستفهام والأمر والنهي.

(يجوز تقدير الشرط بعدها) وإيراد الجزاء عقيبها مجز وما بأن المضمرة مع الشرط.

(كقولك) في التمنى.

(ليت لى مالا أنفقه) أي: إن أرزقه أنفقه.

(و) في الاستفهام.

(أين بيتك أزرك) أي: إن تعرفنيه أزرك.

(و) في الأمر.

(أكرمني أكرمك) أي: إن تكرمني أكرمك.

(و) في النهي.

(لا تشتمني يكن خيرا لك) أي: إن لا تشتم يكن خيرا لك، وذلك لأن الحامل للمتكلم على الكلام الطلبي كون المطلوب مقصورا للمتكلم إما لذاته أو لغيره لتوقف ذلك الغير على حصوله. وهذا معنى الشرط فإذا ذكرت الطلب وذكرت بعده ما يصلح توقفه على المطلوب غلب على ظن المخاطب كون المطلوب مقصودا لذلك المذكور بعده لا لنفسه فيكون إذا معنى الشرط في الطلب مع ذكر ذلك الشيء ظاهرا. ولما جعل النحاة الأشياء التي تضمن حرف الشرط بعدها خمسة اشياء أشار المصنف إلى ذلك بقوله.

(وأما العرض كقولك: ألا تنزل عندنا تصب خيرا) أي: أن تنزل تصب خيرا.

(فمولد من الاستفهام) وليس شيئا آخر برأسه لأن الهمزة فيه للاستفهام دخلت على فعل منفى وامتنع حملها على حقيقة الاستفهام للعلم بعدم النزول مثلا وتولد عنه بمعونة قرينة الحال عرض النزول على المخاطب وطلبه عنه.

(ويجوز) تقدير الشرط.

(في غيرها) أي: في غير هذه المواضع.

(لقرينة) تدل عليه.

(نحو: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الشورى:٩] أي: إن أرادوا أولياء بحق) فالله هو الولى الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد.

وقيل: لا شك أن قوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ إنكار توبيخ بمعنى أنه لا ينبغي أن يتخذ من دونه أولياء وحينئذ يترتب عليه قوله تعالى: ﴿فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ من غير تقدير شرط، كما يقال: لا ينبغي أن يُعبد غير الله فالله هو المستحق للعبادة.

وفيه نظر؛ إذ ليس كل ما فيه معنى الشيء حكمه حكم ذلك الشيء والطبع المستقيم شاهد صدق على صحة قولنا: لا تضرب زيدا فهو أخوك بالفاء بخلاف اتضرب زيدا فهو أخوك استفهام إنكار فإنه لا يصح إلا بالواو الحالية.

(منها) أي: من أنواع الطلب.

(النداء) وهو طلب الإقبال بحرف نائب مناب ادعو لفظا أو تقديرا.

(وقد تستعمل صيغته) أي: صيغة النداء.

(في غير معناه) وهو طلب الإقبال.

(كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلوم) قصدا إلى إغرائه وحثه على زيادة التظلم وبث الشكوى لأن القبال حاصل.

(والاختصاص في قولهم: أنا افعل كذا أيها الرجل) فقولنا: أيها الرجل أصله تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك ثم جعل مجردا عن طلب الاقبال ونقل إلى تخصيص مدلوله من

بين أمثاله بما نسب إليه إذ ليس المراد بأي ووصفه المخاطب بمنادي بل ما دل عليه ضمير المتكلم فأيها مضموم والرجل مرفوع والمجموع في محل النصب على أنه حال. ولهذا قال.

(متخصصا) أي: مختصا.

(من بين الرجال) وقد يستعمل صيغة النداء في الاستغاثة نحو: " يا لله " والتعجب نحو: " يا للماء " والتحسر والتوجع كما في نداء الأطلال والمنازل والمطايا وما أشبه ذلك.

(ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء إما للتفاؤل) بلفظ الماضي دلالة على أنه كأنه وقع نحو وفقك الله للتقوى.

(أو لإظهار الحرص في وقوعه) كما مر في بحث الشرط من أن الطالب إذا عظمت رغبته في شيء يكثر تصوره اياه فربما يخيل إليه حاصلا نحو رزقني الله لقاءك.

(والدعاء بصيغة الماضي من البليغ) كقوله رحمه الله.

(يحتملهما) أي: التفاؤل وإظهار الحرص. وأما غير البليغ فهو ذاهل عن هذه الاعتبارات.

(أو للاحتراز عن صورة الأمر) كقول العبد للمولى ينظر المولى إلى ساعة دون انظر لأنه في صورة الأمر وأن قصد به الدعاء أو الشفاعة.

(أو لحمل المخاطب على المطلوب بأن يكون) المخاطب.

(ممن لا يحب أن يكذب الطالب) أي: ينسب إليه الكذب كقولك لصاحبك الذي لا يحب تكذيبك: تأتيني غدا مقام اءتينى تحمله بألطف وجه على الإتيان؛ لأنه أن لم يأتك غدا صرت كاذبا من حيث الظاهر لكون كلامك في صورة الخبر.

(تنبيه) الإنشاء كالخبر في كثير مما ذكر في الأبواب الخمسة السابقة) يعني أحوال الإسناد والمسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل والقصر.

(فليعتبره) أي: ذلك الكثير الذي يشارك فيه الإنشاء والخبر.

(الناظر) بنور البصيرة في لطائف الكلام مثلا الكلام الإنشائى أيضا إما مؤكد أو غير مؤكد والمسند إليه فيه إما محذوف أو مذكور، إلى غير ذلك.

الباب السابع

الفصل والوصل

بدأ بذكر الفصل لأنه الأصل، والوصل طارئ، أي: عارض عليه، حاصل بزيادة حرف من حروف العطف، لكن لما كان الوصل بمنزلة الملكة والفصل بمنزلة العدم، والأعدام إنما تعرف بملكاتها بدأ في التعريف بذكر الوصل. فقال.

(**الوصل: عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه**) أي: ترك عطفه عليه.

(**فإذا أتت جملة بعد جملة فالأولى إما أن يكون لها محل من الإعراب أو لاوعلى الأول**) أي: على تقدير أن يكون للأولى محل من الإعراب.

(**إن قصد تشريك الثانية لها**) أي: للأولى.

(**في حكمه**) أي: في حكم الإعراب الذي كان لها مثل كونها خبر مبتدأ أو حالا أو صفة أو نحو ذلك.

(**عطفت**) الثانية.

(**عليها**) أي: على الأول ليدل العطف على التشريك المذكور.

(**كالمفرد**) فإنه إذا قصد تشريكه لمفرد قبله في حكم إعرابه من كونه فاعلا أو مفعولا أو نحو ذلك وجب عطفه عليه.

(**فشرط كونه**) أي: كون عطف الثانية على الأولى.

(**مقبولا بالواو ونحوه أن يكون بينهما**) أي: بين الجملتين.

(**جهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر**) لما بين الكتابة والشعر من التناسب الظاهر.

(**أو يعطى ويمنع**) لما بين الإعطاء والمنع من التضاد، بخلاف نحو: زيد يكتب ويمنع أو يعطى ويشعر وذلك لئلا يكون الجمع بينهما كالجمع بين الضب والنون. وقوله: ونحوه أراد به ما يدل على التشريك كالفاء وثم وحتى وذكره حشو مفسد لأن هذا الحكم مختص بالواو

لأن لكل من الفاء، وثم، معنى محصلا غير التشريك والجميعة؛ فإن تحقق هذا المعنى حسن العطف وأن لم توجد جهة جامعة بخلاف الواو.

(ولهذا) أي: ولأنه لابد في الواو من جهة جامعة.

(عيب على أبي تمام، قوله:[الكامل]

لا وَالَّذي هُوَ عالِمٌ أَنَّ النَوى ... صَبِرٌ وَأَنَّ أَبا الحُسَينِ كَريمُ[1]

إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى. فهذا العطف غير مقبول سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موقع مفعولي عالم لأن وجود الجامع شرط في الصورتين.

وقوله " لا " نفي لما ادعته الحبيبة عليه من اندراس هواه بدلالة البيت السابق.

(وإلا) أي: وإن لم يقصد تشريك الثانية للأولى في حكم إعرابها.

(فصلت) الثانية.

(عنها) لئلا يلزم من العطف التشريك الذي ليس بمقصود.

(١)البيت لأبي تمام الطائي، من قصيدة من الكامل، يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم، وأولها:

أسْقَى طُلولَهُمُ أجَشُّ هَزِيمُ ...... وغَدَتْ عليهم نَضْرَةٌ ونَعيمُ
جادت معاهدَهم عِهَادُ سحابةٍ ... ما عهدُها عند الديارِ ذَميمُ
سَفِهَ الفراقُ عليك يوم تحمّلوا ..... رُبمَا أراه وهو عَنك حَليمُ
ظَلَمَتك ظالمةُ البريءِ ظَلومُ ...... والظلم من ذي قُدْرة مذموم
زَعمَتْ هواك عفا الغداةَ كما عفَا .. منها طُلولٌ باللوى ورسوم

لا والذي هو عالم .. البيت، وبعده:

ما حُلْتُ عن سنن الوفاءِ ولا غدت.. نفسي على إلفٍ سواكِ تَحُومُ

والنوى: الفراق.

والشاهد فيه: أن شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة خاصة ولا كذلك في هذا البيت، إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، سواءٌ كان نواه أو نوى غيره، فهذا العطف غير مقبول، سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر، أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موضع مفعول العلم لأن وجود الجامع شرط فيهما، ولهذا عيب على أبي تمام.

(نحو: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥] لم يعطف ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ على ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ لأنه ليس من مقولهم) فلو عطف عليه لزم تشريكه له في كونه مفعول قالوا: فيلزم أن يكون مقول قول المنافقين وليس كذلك. وإنما قال على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ دون ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ لأن قوله ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بيان لقوله ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فحكمه حكمه. وأيضًا العطف على المتبوع هو الأصل.

(وعلى الثاني) أي: على تقدير أن لا يكون للأولى محل من الإعرب.

(إن قصد ربطها بها) أي: ربط الثانية بالأولى.

(على معنى عاطف سوى الواو عطفت) الثانية على الأولى.

(به) أي: بذلك العاطف من غير اشتراط أمر آخر.

(نحو: دخل زيد فخرج عمرو أو ثم خرج عمرو وإذا قصد التعقيب أو المهملة) وذلك لأن ما سوى الواو من حروف العطف يفيد مع الاشتراك معاني محصلة مفصلة في علم النحو، فإذا عطفت الثانية على الأولى بذلك العاطف ظهرت الفائدة أعني حصول معاني هذه الحروف. بخلاف الواو فإنه لا يفيد إلا مجرد الاشتراك. وهذا إنما يظهر فيما له حكم إعرابي. وأما في غيره ففيه خفاء واشكال وهو السبب في صعوبة باب الفصل والوصل.

حتى حصر بعضهم البلاغة في معرفة الفصل والوصل.

(وإلا) أي: وأن لم يقصد ربط الثانية بالأولى على معنى عاطف سوى الواو.

(فإن كان للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية فالفصل) واجب لئلا يلزم من الوصل التشريك في ذلك الحكم.

(نحو: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ ﴾ الآية لم يعطف ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ على قالوا لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف لما مر) من أن تقديم المفعول ونحوه من الظرف وغيره يفيد

الاختصاص، فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم مختصا بحال خلوهم إلى شياطينهم وليس كذلك. فإن قيل إذا شرطية لا ظرفية.

قلنا: إذا الشرطية هي الظرفية استعملت استعمال الشرط ولو سلم فلا ينافي ما ذكرناه؛ لأنه اسم معناه الوقت لابد له من عامل وهو ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ بدلالة المعنى.

وإذا قدم متعلق الفعل وعطف فعل آخر عليه يفهم اختصاص الفعلين به كقولنا: يوم الجمعة سرت وضربت زيدا بدلالة الفحوى والذوق.

(وإلا) عطف على قوله فإن كان للأولى حكم أي وأن لم يكن للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية. وذلك بأن لا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة أو يكون ولكن قصد إعطاؤه للثانية أيضا.

(فإن كان بينهما) أي: بين الجملتين.

(كمال الانقطاع بلا إيهام) أي: بدون أن يكون في الفصل إيهام خلاف المقصود.

(أو كمال الاتصال أو شبه أحدهما) أي: أحد الكمالين.

(فكذلك) أي: يتعين الفصل لأن الوصل يقتضي مغايرة ومناسبة.

(وإلا) أي: وأن لم يكن بينهما كمال الانقطاع بلا إيهام ولا كمال الاتصال ولا شبه أحدهما.

(فالوصل) متعين لوجود الداعي وعدم المانع. والحاصل أن للجملتين اللتين لا محل لها من الإعراب ولم يكن للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية ستة أحوال:

الأول: كمال الانقطاع بلا إيهام.

الثاني: كمال الاتصال.

الثالث: شبه كمال الانقطاع.

الرابع: شبه كمال الاتصال.

الخامس: كمال الانقطاع مع الإيهام.

السادس: التوسط بين الكمالين.

فحكم الأخيرين الوصل وحكم الأربعة السابقة الفصل فاخط المصنف في تحقيق الأحوال الستة فقال.

(أما كمال الانقطاع) بين الجملتين.

(فلاختلافهما خبر أو إنشاء لفظا ومعنى) بأن يكون أحديهما خبرا لفظا ومعنى، والآخرى إنشاء لفظا ومعنى.

(نحو: وقال رائدهم) هو الذي يتقدم القوم لطلب الماء والكلاء.

(أرسوا) أي: اقيموا من ارسيت السفينة حبستها بالمرساة.

(نزاولها)[1] أي: نحاول تلك الحرب ونعالجها، فكل حتف امرئ يجري بمقدار. أي أقيموا نقاتل فإن موت كل نفس يجري بقدر الله تعالى لا الجبن ينجيه ولا الإقدام يرديه. لم يعطف نزاولها على أرسوا؛ لأنه خبر لفظا ومعنى، وأرسوا إنشاء لفظا ومعنى.

وهذا مثال لكمال الانقطاع بين الجملتين باختلافهما خبرا وإنشاء لفظا ومعنى مع قطع النظر عن كون الجملتين مما ليس له محل من الإعراب، وإلا فالجملتان في محل النصب على أنه مفعول قال:

---

(١)وَقَالَ رَائِدُهم أرْسُوا نُزَاوِلُهَا

هو من البسيط، وقائله الأخطل، كذا ذكره سيبويه، وليس هو في ديوانه، وتمامه:

وكل حَتْفِ امرِئٍ يجري بمقدارِ

وبعده:

إما نموتُ كراماً أو نَفوز بها .. فواحد الدهر من كدٍّ وأسفار

والرائد: المرسل في طلب الكلأ. وأرسلوا بقطع الهمزة، من رست السفينة ترسو رسولاً ورسواً إذا وقفت على الأنجر معرب لنكر، وهو مرساة السفينة، وهي خشبة يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة إذا رست رست السفينة، أو هو من رست أقدامهم في الحرب، أي ثبتت، ونزاولها: من المزاولة وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشيء، والضمير للسفينة، وقيل: للحرب، وقيل: للخمر وهو لا يناسب ظاهر البيت الذي بعده.

والشاهد في قوله نزاولها فإنه فصله عن قوله أرسوا لأن الأول أمر والثاني خبر، فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبراً وطلباً، لفظاً ومعنى.

(أو) لاختلافهما خبرا وإنشاء.

(معنى) فقط بأن يكون أحديهما خبرا معنى والآخرى إنشاء معنى وأن كانتا خبريتين أو انشاءيتين لفظا.

(نحو: مات فلان رحمه الله) لم يعطف رحمه الله على مات لأنه إنشاء معنى ومات خبر معنى وأن كانتا جميعا خبريتين لفظا.

(أو لأنه) عطف على لاختلافهما والضمير للشان.

(لا جامع بينهما كما سيأتي). بيان الجامع فلا يصح العطف في مثل زيد طويل وعمرو نائم.

(وأما كمال الاتصال) بين الجملتين.

(فلكون الثانية مؤكدة للأولى) تأكيدا معنويا.

(لدفع توهم تجوز أو غلط نحو: ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:٢]) بالنسبة إلى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ إذا جعلت ﴿ آلم﴾ طائفة من الحروف أو جملة مستقلة و ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ جملة ثانية و ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ ثالثة.

(فإنه لما بولغ في وصفه) أي: وصف الكتاب.

(ببلوغه) متعلق بوصفه، أي: في أن وصف بأنه بلغ.

(الدرجة القصوى في الكمال) وبقوله: بولغ تتعلق الباء في قوله.

(بجعل المبتدأ ذلك) الدال على كمال العناية بتمييزه والتوسل ببعده إلى التعظيم وعلو الدرجة.

(وتعريف الخبر باللام) الدال على الانحصار مثل: حاتم الجواد. فمعنى ذلك الكتاب أنه الكتاب الكامل الذي يستأهل أن يسمى كتابا كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص بل ليس بكتاب.

(جاز) جواب لما أي جاز بسبب هذه المبالغة المذكورة.

obeikandi.com

(أن يتوهم السامع قبل التأمل أنه) أعني قوله: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾.

(مما يرمى به جزافا) من غير صدور عن روية وبصيرة.

(فاتبعه) على لفظ المبنى للمفعول والمرفوع المستتر عائد إلى ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ والمنصوب البارز إلى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ أي: جعل ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ تابعا لذلك الكتاب.

(نفيا لذلك) التوهم.

(فوزانه) أي: وزان ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ مع ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾.

(وزان نفسه) مع زيد.

(في: جاءني زيد نفسه). فظهر أن لفظ وزان في قوله: وزان نفسه ليس بزائد كما توهم أو تأكيدا لفظيا كما أشار إليه بقوله.

(ونحو: ﴿هُدًى﴾) أي: هو هدى.

(﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾) أي: الضالين الصائرين إلى التقوى.

(فإن معناه أنه) أي: الكتاب.

(في الهداية بالغ درجة لا يدركها كنهها) أي: غايتها لما في تنكير هدى من الإبهام والتفخيم.

(حتى كأنه هداية محضة) حيث قيل: ﴿هُدًى﴾ ولم يقل هاد.

(وهذا معنى ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ لأن معناه كما مر الكتاب الكامل. والمراد بكماله كماله في الهداية لأن الكتب السماوية بحسبها) أي: بقدر الهداية واعتبارها.

(تتفاوت في درجات الكمال) لا بحسب غيرها لأنها المقصود الأصلي من الإنزال.

(فوزانه) أي: وزان هدى للمتقين.

(ووزان زيد الثاني في جاءني زيد زيد) لكونه مقررا لذلك الكتاب مع اتفاقهما في المعنى بخلاف ﴿ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ فإنه يخالفه معنى.

(أو) لكون الجملة الثانية.

(بدلا منها) أي: من الأولى.

(لأنها) أي: الأولى.

(غير وافية بتمام المراد أو كغير الوافية) حيث يكون في الوفاء قصور ما أو خفاء ما.

(بخلاف الثانية) فإنها وافية كمال الوفاء.

(والمقام يقتضي اعتناء بشأنه) أي: بشأن المراد.

(لنكتة ككونه) أي: المراد (مطلوبا في نفسه أو فظيعا أو عجيبا أو لطيفا) فتنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض أو الاشتمال فالأول.

(نحو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٣٢-١٣٤] فإن المراد التنبيه على نعم الله تعالى) والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لكونه مطلوبا في نفسه وذريعة إلى غيره.

(والثاني) أعني قوله: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ﴾ ... إلى آخره.

(أو في بتأديته) أي: تأدية المراد الذي هو التنبيه.

(لدلالته) أي: الثانية.

(عليها) أي: على نعم الله تعالى.

(بالتفصيل من غير إحالة على علم المخاطبين المعاندين فوزانه وزان وجهه في أعجبني زيد وجهه لدخول الثاني في الأول) لأن ما تعلمون يشتمل الأنعام وغيرها.

(والثاني) أعني المنزل منزلة بدل الاشتمال.

(نحو:

أقولُ له ارحَلْ لا تُقيمَنَّ عندنا   وإلا فكُنْ في السِّر والجهرِ مُسلِما[1]

---

(١)البيت من الطويل، ولا أعرف قائله، وكذلك ذكر العيني في شواهده.
ومعناه: إن لم ترحل فكن على ما يكون عليه المسلم من استواء الحالين في السر والجهر.
والشاهد فيه: كون الجملتين بينهما كمال الاتصال، لكون الثانية أوفى بتأدية المراد من الأولى، فنزلت منزلة بدل الاشتمال فلم تعطف عليها، وهما ههنا قوله ارحل وقوله لا تقيمن عندنا لأن في قوله ارحل كمال إظهار

فإن المراد به) أي: بقوله ارحل.

(كمال إظهار الكراهة لإقامته) أي: المخاطب.

(وقوله: لا تقيمن عندنا أو في بتأديته لدلالته) أي: لدلالة لا تقيمن عندنا.

(عليه) أي: كمال إظهار الكراهة.

(بالمطابقة مع التأكيد) الحاصل من النون وكونها مطابقة باعتبار الوضع العرفي حيث يقال: لا تقم عندي ولا يقصد كفه عن الاقامة بل مجرد إظهار كراهة حضوره.

(فوزانه) أي: وزان لا تقيمن عندنا.

(وزان حسنها في: أعجبني الدار حسنها؛ لأن عدم الإقامة مغاير للارتحال) فلا يكون تأكيدا.

(وغيره داخل فيه) فلا يكون بدل بعض ولم يعتد ببدل الكل؛ لأنه إنما يتميز عن التأكيد بمغايرة اللفظين وكون المقصود هو الثاني وهذا لا يتحقق في الجمل لا سيما التي لا محل لها من الإعراب.

(مع ما بينهما) أي: بين عدم الاقامة والارتحال.

(من الملابسة) اللزومية فيكون بدل اشتمال.

والكلام في أن الجملة الأولى أعني ارحل ذات محل من الإعراب مثل ما مر في أرسوا نزاولها.

وإنما قال في المثالين أن الثانية أو في لأن الأولى وافية مع ضرب من القصور باعتبار الإجمال وعدم مطابقة الدلالة فصارت كغير الوافية.

(أو) لكون الثانية (بيانا لها) أي: للأولى (لخفائها) أي: الأولى.

=

الكراهة لإقامة المخاطب، وقوله لا تقيمن عندنا أوفى بتأدية المراد لدلالته على إظهار الكراهة لإقامته بالمطابقة مع التأكيد الحاصل من اللفظين.وانظر معاهد التنصيص ١/ ٩٣.

(نحو ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠] فإن وزانه) أي: وزان قال يا آدم.

(وزان عمر في قوله:

أقسَمَ بالله أبو حَفْصٍ عمر(١)

ما مسها من نقب ولا دبر، حيث جعل الثاني بيانا وتوضيحا للأول. فظهر أن ليس لفظ قال بيانا وتفسيرا للفظ وسوس حتى يكون هذا من باب بيان الفعل دون الجملة بل المبين هو مجموع الجملة.

(وأما كونها) أي: الجملة الثانية كالمنقطعة عنها أي عن الأولى.

(فلكون عطفها عليها) أي: عطف الثانية على الأولى.

(موهما لعطفها على غيرها) مما ليس بمقصود وشبه هذا بكمال الانقطاع باعتبار اشتماله على مانع من العطف، إلا أنه لما كان خارجيا يمكن دفعه بنصب قرينة لم يجعل هذا من كمال الانقطاع.

(ويسمى الفصل لذلك قطعا مثاله:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا ... أراها في الضـــــــلال تهيم(٢)

---

(١)هو من الرجز، قائله أعرابي، وبعده:

ما إن بها من نَقبٍ ولا دَبَرْ .. اغفر له اللهم إن كانَ فَجَرْ

يروى أن هذا الأعرابي جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن أهلي ببادية بعيدة، وإني على ناقة دبراء عجفاء نقباء، واستحمله، فظنه كاذباً، فلم يحمله، فانطلق الأعرابي فحل ناقته ثم استقبل البطحاء وجعل يقول الأبيات، وعمر رضي الله عنه مقبل من أعلى الوادي، فجعل إذا قال " اغفر له اللهم إن كان فجر " قال: اللهم صدق، حتى التقيا، فأخذ بيده، وقال له: ضع عن راحلتك، فوضع فإذا هي كما وصف، فحمله على بعير، وزوده وكساه.

والنقب: رقة الأخفاف. والدبر: قرحة الدابة.

والشاهد فيه: جعل عمر بياناً وتوضيحاً لأبي حفص.

(٢)البيت من الكامل، ولا أعرف قائله، وكذلك ذكر العيني أيضا.

فبين الجملتين مناسبة ظاهرة لاتحاد المسندين؛ لأن معنى أراها أظنها وكون المسند إليه في الأولى محبوبا، وفى الثانية محبا لكن ترك العاطف لئلا يتوهم أنه عطف على أبغي فيكون من مظنونات سلمى.

(**ويحتمل الاستئناف**) كأنه قيل: كيف تراها في هذا الظن؟ فقال: أراها تتحير في ادوية الضلال.

(**وأما كونها**) أي: الثانية.

(**كالمتصلة بها**) أي: بالأولى.

(**فلكونها**) أي: الثانية.

(**جوابا لسؤال اقتضته الأولى فتنزل**) الأولى.

(**منزلته**) أي: السؤال لكونها مشتملة عليه ومقتضية له.

(**فتفصل**) أي: الثانية.

(**عنها**) أي: عن الأولى.

(**كما يفصل الجواب عن السؤال**) لما بينهما من الاتصال.

(**وقال السكاكي فينزل ذلك**) أي: السؤال الذي تقتضيه الأولى وتدل عليه بالفحوى.

(**منزلة السؤال الواقع**) ويطلب بالكلام الثاني وقوعه جوابا له فيقطع عن الكلام الأول لذلك وتنزيله منزلة الواقع إنما يكون.

(**لنكتة كإغناء السامع عن أن يسأل أو**) مثل.

=

والضلال: ضد الهدى.

والشاهد فيه: عدم عطف الجملة الثانية لكونه موهماً له على غيرها لأن بين الجملتين الخبريتين، وهما وتظن سلمى، أراها، مناسبة ظاهرة لاتحادهما في المسند، لأن معنى أراها أظنها، والمسند إليه في الأول محبوب، وفي الثانية محب، فلو عطف أراها على تظن لتوهم أنه عطف على أبغى وهو أقرب إليه، فيكون من مظنونات سلمى، وليس كذلك. وانظر معاهد التنصيص ١/ ٩٥.

(أن لا يسمع منه) أي: من السامع.

(شيء) تحقيرا له وكراهة لكلامه أو مثل أن لا ينقطع كلامك بكلامه، أو مثل القصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أو غير ذلك وليس في كلام السكاكي دلالة على أن الأولى تنزل منزلة السؤال، فكأن المصنف نظر إلى قطع الثانية عن الأولى مثل قطع الجواب عن السؤال إنما يكون على تقدير تنزيل الأولى منزلة السؤال وتشبيهها به والأظهر أنه لا حاجة إلى ذلك بل مجرد كون الأولى منشأ للسؤال كاف في ذلك أشير إليه في الكشاف.

(ويسمى الفصل لذلك) أي: لكونه جوابا لسؤال اقتضته الأولى.

(استئنافا وكذا) الجملة.

(الثانية) نفسها أيضا تسمى استئنافا ومستأنفة.

(وهو) أي: الاستئناف.

(ثلاثة أضرب لأن السؤال) الذي تضمنته الأولى.

(أما عن سبب الحكم مطلقا نحو:

قال لي كيف أنت قلت عليل ... سهر دائم وحـــزن طويل[1]

أي: **ما بالك عليلا أو ما سبب علتك)** بقرينة العرف والعادة؛ لأنه إذا قيل: فلان مريض فإنما يسأل عن مرضه وسببه، لا أن يقال هل سبب علته كذا وكذا لا سيما السهر والحزن حتى يكون السؤال عن السبب الخاص.

(وإما عن سبب خاص) لهذا الحكم.

---

(١)ومعناه ظاهر، والشاهد فيه حذف المسند إليه للاحتراز عن العبث مع ضيق المقام، وهو قوله عليل أي أنا عليل، فحذف المبتدأ لما مر.

ومثله قول أبي الطمحان القيني الشاعر الجاهلي، وقال ابن قتيبة: الصحيح أنه للقيط بن زرارة من الطويل:

أضاءت لهم أحسابُهم وَوجوهُهُمْ .. دُجى اللَّيلِ حَتَّى نظَّمَ الجزعَ ثاقبهْ

نُجومُ سماءٍ كلما انْقضّ كَوكبٌ .... بَدا كوكبٌ تأوِي إليه كواكِبهْ.

(نحو: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣] كأنه قيل: هل النفس أمارة بالسوء؟).

فقيل: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ بقرينة التأكيد فالتأكيد دليل على أن السؤال عن السبب الخاص فإن الجواب عن مطلق السبب لا يؤكد.

(وهذا الضرب يقتضي تأكيد الحكم) الذي هو في الجملة الثانية أعني الجواب؛ لأن السائل متردد في هذا السبب الخاص هل هو سبب الحكم أم لا.

(كما مر) في أحوال الإسناد الخبري من أن المخاطب إذا كان طالبا مترددا حسن تقوية الحكم بمؤكد.

ولا يخفى أن المراد الاقتضاء استحسانا لا وجوبا والمستحسن في باب البلاغة بمنزلة الواجب.

(وإما عن غيرهما) أي: غير السبب المطلق والسبب الخاص.

(نحو: ﴿ قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ ﴾ [هود:٦٩]) أي: فماذا قال إبراهيم في جواب سلامهم فقيل: ﴿قَالَ سَلاَمٌ ﴾، أي حياهم بتحية أحسن لكونها بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت.

(وقوله: زعم العواذل) جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة.

(أنني في غمرة) وشدة.

(صدقوا) أي: الجماعات العواذل في زعمهم أنني في غمرة.

(ولكن غمرتي لا تنجلي)(١) ولا تنكشف بخلاف أكثر الغمرات والشدائد كأنه قيل: أصدقوا أم كذبوا؟ فقيل: صدقوا.

---

(١) البيت من الكامل، ولا أعرف قائله.

والعواذل: جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة، لا امرأة عاذلة، بدليل قوله صدقوا وغمرة الشيء: شدته ومزدحمه.

(وأيضًا منه) أي: من الاستئناف. وهذا إشارة إلى تقسيم آخر له.

(ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه) أي: وقع عنه الاستئناف وأصل الكلام ما استؤنف عنه الحديث فحذف المفعول ونزل الفعل منزلة اللازم.

(نحو: أحسنت) أنت.

(إلى زيد زيد حقيق بالإحسان) بإعادة اسم زيد.

(ومنه ما يبنى على صفته) أي: صفة ما استؤنف عنه دون اسمه. والمراد بالصفة صفة تصلح لترتب الحديث عليه.

(نحو) أحسنت إلى زيد.

(صديقك القديم أهل لذلك) والسؤال المقدر فيهما لماذا أحسن إليه؟ وهل هو حقيق بالإحسان؟.

(وهذا) أي: الاستئناف المبني على الصفة.

(أبلغ) لاشتماله على بيان السبب الموجب للحكم كالصداقة القديمة في المثال المذكور لما يسبق إلى الفهم من ترتب الحكم على الوصف الصالح للعلية أنه علة له.

وههنا بحث: وهو أن السؤال إن كان عن السبب فالجواب يشتمل على بيانه لا محالة، وإلا فلا وجه لاشتماله عليه كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ﴾، وقوله: زعم العواذل، ووجه التفصي عن ذلك مذكور في الشرح.

(وقد يحذف صدر الاستئناف) فعلا كان أو اسما.

=

والشاهد فيه: وقوع الجملة المستأنفة جواباً للسؤال عن غير سبب مطلق أو خاص، كأنه قيل: اصدقوا في هذا الزعم أم كذبوا؟ فقال: صدقوا، وفصله عما قبله لكونه استئنافاً.

ومنه قول جندب بن عمار من الكامل:

زعمَ العواذِلُ أن ناقةَ جُندَبٍ .. بجَنوب خَبْتٍ عُرِّيَتْ وأُجِمَّتِ
كذبَ العواذل لو رأينَ مُناخنَا ..... بالقادسيَّةِ قُلْنَ لَجَّ وذلت.

(نحو: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾ [النور:٣٦-٣٧]) فيمن قرأها مفتوحة الباء كأنه قيل: من يسبحه؟ فقيل: ﴿رِجَالٌ﴾ أي يسبحه رجال.

(وعليه نعم الرجل زيد) أو نعم رجلا زيد.

(على قول) أي: على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف أي هو زيد. ويجعل الجملة استئنافا جوابا للسؤال عن تفسير الفاعل المبهم.

(وقد يحذف) الاستئناف.

(كله إما مع قيام شيء مقامه نحو) قول الحماسي: [الوافر]

(زَعمْتُمْ أَنَّ إِخرَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ)

أي: إيلاف في الرحلتين المعروفتين لهم في التجارة رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في صيْف إلى الشام.

(وَلَيْسَ لَكُمْ إِلافُ)[1]

---

(١) البيت لمساور بن هند بن قيس بن زهير، من الوافر يهجو بني أسد، وبعده:

أولئك أومِنُوا جُوعاً وخَوْفاً .. وقد جاعتْ بنو أسد وخَافُوا

والزعم: ادعاء العلم، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " زعموا مطية الكذب، وعن شريح رحمه الله: لكل شيء كنية، وكنية الكذب زعموا. لكن سيبويه رحمه الله يكثر في كتابه من قول زعم الخليل لا يري بذلك إبطال قوله، وقال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم من الكامل:

ودعوتَني وزعمْتَ أنك صادقٌ .. ولقد صدقتَ وكنتَ ثَمَّ أمينَا

وقريش: هي القبيلة المشهورة، سموا بذلك لتجمعهم في الحرم، أو لأنهم كانوا يتقرشون المتاعات فيشترونها، و لن النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه فقيل تقرش، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جملٌ قريش: أي شديد، أو سموا بمصغر القرش وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها، والإلف والإيلاف: العهد، وشبه الإجازة بالخفارة، وأول من أخذها هاشم من ملك الشام، فكان هاشم يولف إلى الشام، وعبد شمس إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هذه الإخوة فلا يتعرض لهم أحد، وكان كل أخ منهم قد أخذ حبلاً من ملك ناحية سفره أماناً له.

والشاهد فيه: حذف الاستئناف وقيام شيء مقامه، فكأنهم قالوا: أصدقنا في هذا الزعم أم كذبنا؟ فقيل: كذبتم، فحذف هذا الاستئناف وأقيم قوله، لهم إلف وليس لكم إلاف، مقامه لدلالته عليه.

ومساور بن هند بن قيس بن زهير العبسي شاعر، وكان جده قيس مشهوراً في الجاهلية، ولا سيما في حرب داحس والغبراء، وذكر الأصمعي ما يدل على أنه له إدراكاً للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: وكان نحو أبي

أي: مؤالفة في الرحلتين المعرفتين كأنه قيل: أصدقنا في هذا الزعم أم كذبنا؟ فقيل: كذبتم.

فحذف هذا الاستئناف كله وأقيم قوله: لهم آلاف وليس لكم الألف مقامه لدلالته عليه.

(أو بدون ذلك) أي: قيام شيء مقامه اكتفاء بمجرد القرينة.

(نحو: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات:٤٨]) أي: نحن.

(على قول) أي: على قول من يجعل المخصوص خبر المبتدأ أي هم نحن. ولما فرغ من بيان الأحوال الأربعة المقتضية للفصل شرع في بيان الحالتين المقتضيتين للوصل. فقال.

(وأما الوصل لدفع الإيهام فكقولهم: لا وأيدك الله) فقولهم: لا رد لكلام سابق كما إذا قيل: هل الأمر كذلك؟ فيقال: لا. أي ليس الأمر كذلك فهذه جملة إخبارية.

وأيدك الله: جملة إنشائية دعائية فبينهما كمال الانقطاع، لكن عطفت عليها لأن ترك العطف يوهم أنه دعاء على المخاطب بعدم التأييد مع أن المقصود الدعاء له بالتأييد، فأينما وقع هذا الكلام فالمعطوف عليه هو مضمون قولهم لا وبعضهم لما لم يقف على المعطوف عليه في هذا الكلام.

=

عمرو بن العلاء رحمهما الله في السن، وقال: حدثني من رأى مساور بن هند أنه ولد في حرب داحس والغبراء قبل الإسلام بخمسين عاماً. وذكره المرزباني في معجم الشعراء وذكر له قصة مع عبد الملك بن مروان. وفي حكاية الأصمعي أنه لما عمر صغرت عيناه وكبرت أذناه، فجعلوه في بيت صغير ووكلوا به امرأة، فرأى ذات يوم غفلة فخرج فجلس في وسط البيت وكوم كومة من تراب ثم أخذ بعرتين فقال هذه فلانة، وهذه فلانة، ثم أحس بالمرأة فقام وهرب. وقال الأصمعي: بلغني أنه أتى به إلى الحجاج فقال له: ما تصنع بقولك الشعر وقد كبرت؟ فقال: أسقي به الماء، وأرعى به الكلأ، وتقضي لي به الحاجة، فإن كفيتني ذلك تركته. وقال المرزباني: كان أعور وهو من المتقدمين في الإسلام، هو وأبوه وجده أشراف من بني عبس شعراء فرسان.

obeikandl.com

نقل عن الثعالبي حكاية مشتملة على قوله قلت: لا وأيدك الله، وزعم أن قوله: وأيدك الله عطف على قوله: قلت، ولم يعرفونه لو كان كذلك لم يدخل الدعاء تحت القول، وأنه لو لم يحك الحكاية فحينما قال للمخاطب: لا وأيدك الله، فلابد له من معطوف عليه.

(وإما للتوسط) عطف على قوله إما الوصل لدفع الإيهام أي إما الوصل لتوسط الجملتين بين كمال الانقطاع والاتصال.

وقد صحفه بعضهم إما بكسر الهمزة بفتح الهمزة فركب متن عمياء وخبط خبط عشواء.

(فإذا اتفقتا) أي: الجملتان.

(خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى أو معنى فقط بجامع) أي: بأن يكون بينهما جامع بدلالة ما سبق من أنه إذا لم يكن بينهما جامع فبينهما كمال الانقطاع، ثم الجملتان المتفقتان خبرا أو إنشاء لفظا ومعنى قسمان لأنهما إما إنشائيتان أو خبريتان والمتفقتان معنى فقط ستة أقسام لأنهما إن كانتا إنشائيتين معنى فاللفظان إما خبران، أو الأولى خبر والثانية إنشاء أو بالعكس، وإن كانتا خبريتين معنى فاللفظان إما إنشآن أو الأولى إنشاء والثانية خبر، أو بالعكس فالمجموع ثمانية أقسام.

والمصنف أورد للقسمين الأولين مثاليهما.

(كقوله تعالى ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]) في الخبريتين لفظا ومعنى إلا أنهما في المثال الثاني متناسبان في الاسمية بخلاف الأول.

(وقوله تعالى ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ [الأعراف:٣١]) في الإنشائيتين لفظا ومعنى، وأورد للاتفاق معنى فقط مثالا واحدا وإشارة إلى أنه يمكن تطبيقه على قسمين من أقسامه الستة وأعاد فيه لفظة الكاف تنبيها على أنه مثال للاتفاق معنى فقط فقال.

(وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [البقرة:٨٣]) فعطف قولوا على ﴿لاَ تَعْبُدُونَ﴾ مع اختلافهما لفظا لكونهما إنشائيتين معنى لأن قوله: ﴿لاَ تَعْبُدُونَ﴾ إخبار في معنى الإنشاء.

(أي: لا تعبدوا). وقوله ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [البقرة:٨٣] لابد له من فعل فاما أن يقدر خبر في معنى الطلب أي.

(وتحسنون بمعنى احسنوا) فتكون الجملتان خبرا ولفظا وإنشاء معنى وفائدة تقدير الخبر. ثم جعله بمعنى الإنشاء إما لفظا فالملايمة مع قوله: ﴿لاَ تَعْبُدُونَ﴾ وإما معنى فالمبالغة باعتبار أن المخاطب كأنه سارع إلى الامتثال فهو يخبر عنه كما تقول: تذهب إلى فلان وتقول له كذا تريد الأمر.

(أو) يقدر من أول الأمر صريح الطلب على ما هو الظاهر أي.

(وأحسنوا) بالوالدين إحسانا فتكونان إنشائيتين معنى مع أن لفظة الأولى أخبار ولفظة الثانية إنشاء.

(والجامع بينهما) أي: بين الجملتين.

(يجب أن يكون باعتبار المسند إليهما والمسندين جميعا) أي: باعتبار المسند إليه في الجملة الأولى والمسند إليه في الجملة الثانية وكذا باعتبار المسند في الجملة الأولى والمسند في الجملة الثانية.

(نحو: " يشعر زيد ويكتب ") للمناسبة الظاهرة بين الشعر والكتابة وتقارنهما في خيال أصحابهما.

(ويعطى) زيد.

(ويمنع) لتضاد الاعطاء والمنع. هذا عند اتحاد المسند إليهما، وأما عند تغاير هما فلابد من تناسبهما أيضا كما أشار إليه بقوله.

(زيد شاعر وعمرو كاتب وزيد طويل وعمرو قصير لمناسبة بينهما). أي: بين زيد وعمرو كالأخوة أو الصداقة أو العداوة أو نحو ذلك وبالجملة يجب أن يكون أحدهما مناسبا للاخر وملابسا له ملابسة لها نوع اختصاص بهما.

(بخلاف زيد كاتب وعمرو شاعر بدونها) أي: بدون المناسبة بين زيد وعمرو فإنه لا يصح وأن اتحد المسندان؛ ولهذا حكموا بامتناع نحو: خفي ضيق وخاتمي ضيق.

(وبخلاف زيد شاعر وعمرو طويل مطلقا) أي: سواء كان بين زيد وعمرو ومناسبة أو لم تكن لعدم تناسب الشعر وطول القامة.

(السكاكي) ذكر أنه يجب أن يكون بين الجملتين ما يجمعهما عند القوة المفكرة جمعا من جهة العقل وهو الجامع العقلي أو من جهة الوهم وهو الجامع الوهمي أو من جهة الخيال وهو الجامع الخيالي.

والمراد بالعقلي: القوة العاقلة المدركة للكليات. وبالوهمي: القوة المدركة للمعانى الجزئية الموجودة في المحسوسات من غير أن تتأدى إليها من طرق الحواس، كإدراك الشاة معنى في الذئب. وبالخيال: القوة التي تجتمع فيها صور المحسوسات وتبقى فيها بعد غيبوبتها عن الحس المشترك وهي القوة التي تتأدى إليها صور المحسوسات من طرق الحواس الظاهرة وبالمفكرة القوة التي من شأنها التفصيل والتركيب بين الصور المأخوذة عن الحس المشترك والمعاني المدركة بالوهم بعضها مع بعض ونعنى بالصور ما يمكن ادراكها باحدى الحواس الظاهرة وبالمعانى ما لا يمكن ادراكها.

فقال السكاكي: الجامع بين الجملتين إما عقلي وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد في تصور ما مثل الاتحاد في المخبر عنه أو في المخبر به أو في قيد من قيودهما وهذا ظاهر في أن المراد بالتصور الأمر المتصور.

ولما كان مقررا عندهم أنه لا يكفي في عطف الجملتين وجود الجامع بين فردين من مفرداتهما باعتراف السكاكي أيضا غير المصنف عبارة السكاكي. فقال.

(الجامع بين الشيئين إما عقلي) وهو أمر بسببه يقتضي العقل اجتماعهما في المفكرة وذلك.

(بأن يكون بينهما اتحاد في التصور أو تماثل فإن العقل بتجريده المثلين عنن التشخص في الخارج يرفع التعدد) بينهما فيصيران متحدين، وذلك؛ لأن العقل يجرد الجزئي الحقيقي عن عوارضه المشخصة الخارجية وينتزع منه المعنى الكلي فيدركه على ما تقرر في موضعه.

وإنما قال: في الخارج؛ لأنه لا يجرده عن المشخصات العقلية لأن كل ما هو موجود في العقل فلابد له من تشخص عقلي به يمتاز عن سائر المعقولات.

وههنا بحث: وهو أن التماثل هو الاتحاد في النوع مثل اتحاد زيد وعمرو مثلا في الانسانية وإذا كان التماثل جامعا لم تتوقف صحة قولنا: زيد كاتب وعمرو وشاعر على اخوة زيد وعمرو أو صداقتهما أو نحو ذلك لأنهما متماثلان لكونهما من أفراد الإنسان.

والجواب: أن المراد بالتماثل ههنا هو اشتراكهما في وصف له نوع اختصاص بهما على ما سيتضح في باب التشبيه.

(أو تضايف) وهو كون الشيئين بحيث لا يمكن تعقل كل منهما إلا بالقياس إلى تعقل الآخر.

(كما بين العلة والمعلول) فإن كل أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بواسطة انضمام الغير إليه فهو علة والآخر معلول.

(أو الأقل والأكثر) فإن كل عدد يصير عند العد فانيا قبل عدد آخر فهو أقل من الآخر والآخر أكثر منه.

(أو وهمي) وهو أمر بسببه يحتال الوهم في اجتماعهما عند المفكرة بخلاف العقل فإنه إذا خلى ونفسه لم يحكم بذلك وذلك.

(بأن يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلوني بياض وصفرة فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين) من جهة أنه يسبق إلى الوهم أنهما نوع واحد زيد في أحدهما عارض بخلاف العقل فإنه يعرف أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس هو اللون.

(ولذلك) أي: ولأن الوهم يبرزهما في معرض المثلين.

(حسن الجمع بين الثلاثة التي في قوله: [البسيط]

ثَلاثَةٌ تُشرِقُ الدُّنيَا بِبَهجَتِهَا ... شَمسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسحَاقَ وَالقَمَرُ[1]

فإن الوهم يتوهم أن الثلاثة من نوع واحد وإنما اختلفت بالعوارض والعقل يعرف انها أمور متباينة.

---

(١) البيت لمحمد بن وهيب، من البسيط يمدح المعتصم، وأبو إسحاق: كنيته، واسمه محمد.
حدث أبو محلم قال: اجتمع الشعراء على باب المعتصم، فبعث إليهم محمد ابن عبد الملك الزيات، فقال لهم: إن أمير المؤمنين يقول لكم: من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النميري في الرشيد من البسيط:

خليفةَ الله إن الجودَ أودية .... أحلّكَ الله منها حيثُ تجتمعُ
من لم يكن ببني العباس معتصماً .. فليس بالصلوات الخمس ينتفعُ
إن أخلف القَطْر لم تخلف مخايلهُ .... أو ضاق أمر ذكرناهُ فيتسعُ

فليدخل وإلا فلينصرف، فقام محمد بن وهيب، فقال: فينا من يقول مثله، قال: وأي شيء قلت؟ فقال من البسيط:

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتها .. شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ
فالشمس تحكيه في الإشراق طالعةً .... إذا تقطّعَ عن إدراكها النظرُ
والبدرُ يحكيه في الظلماء منبلجاً .... إذا استنارت لياليه به الغررُ
يحكي أفاعيلَهُ في كل نائبةٍ ...... الغيثُ والليث والصمصامة الذّكرُ
فالغيث يحكي نَدَى كفّيْه منهمراً .... إذا استهلّ بصَوْب الديمةِ المطرُ
وربما صالَ أحياناً على حنقٍ .... شبيهُ صولتِهِ الضرغامة الهصر
والهندُوانيُّ يحكي من عزائمهِ ...... صريمةَ الرأي منهُ النقْض والمرَرُ
وكلُّهَا مشبهٌ شيئاً على حدةٍ .... وقد تخالف فيها الفعلُ والصُّوَرُ
وأنت جامعُ ما فيهنّ من حسنٍ ..... فقد تكامل فيك النفْع والضررُ
فالخلْقُ جسمٌ له رأسٌ يدبّرُهُ .... وأنت جارحتَاهُ السمعُ والبصرُ

فأمر بإدخاله وأحسن جائزته.
والشاهد فيه هنا: بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهمي، وهو ما بينها من شبه التماثل حمل الوهم على أن يحتال في اجتماعها في المفكرة وإبرازها في معرض الأمثال متوهماً أنها من نوع واحد، وإنما اختلفت بالعوارض والمشخصات، بخلاف العقل؛ فإنه إذا خلي ونفسه حكم بأن كلاً منها من نوع آخر، وإنما اشتركت في عارض هو إشراق الدنيا ببهجتها، على أن ذلك في أبي إسحاق مجاز.

(أو) يكون بين تصوريهما.

(تضاد) وهو التقابل بين امرين وجوديين يتعاقبان على محل واحد.

(كالسواد والبياض) في المحسوسات.

(الإيمان والكفر) في المعقولات والحق أن بينهما تقابل العدم والملكة، لأن الإيمان هو تصديق النبي عليه الصلاة والسلام في جميع ما علم مجيئه به بالضرورة أعني قبول النفس لذلك والإذعان له على ما هو تفسير التصديق في المنطق عند المحققين مع الإقرار به باللسان والكفر عدم الإيمان عما من شأنه الإيمان.

وقد يقال: الكفر إنكار شيء من ذلك فيكون وجوديا فيكونان متضادين.

(وما يتصف بها) أي: بالمذكورات كالأسود والأبيض والمؤمن والكافر وأمثال ذلك؛ فإنه قد يعد من المتضادين باعتبار الاشتمال على الوصفين المتضادين.

(أو شبه تضاد كالسماء والأرض) في المحسوسات فإنهما وجوديان: أحدهما في غاية الارتفاع والآخر في غاية الانحطاط، وهذا معنى شبه التضاد، وليسا متضادين لعدم تواردهما على المحل لكونهما من الاجسام دون الأعراض، ولا من قبيل الاسود والابيض لأن الوصفين المتضادين ههنا ليسا بداخلين في مفهومي السماء والارض.

(والأول والثاني) فيما يعم المحسوسات والمعقولات فإن الأول هو اللذى يكون سابقا على الغير ولا يكون مسبوقا بالغير.

والثاني: هو الذي يكون مسبوقا بواحد فقط فاشبها المتضادين باعتبار اشتمالهما على وصفين لا يمكن اجتماعهما ولم يجعلا متضادين كالاسود والابيض لأنه قد يشترط في المتضادين أن يكون بينهما غاية الخلاف. ولا يخفى أن مخالفة الثالث والرابع وغيرهما للأول أكثر من مخالفة الثاني له مع أن العدم معتبر في مفهوم الأول فلا يكون وجوديا.

(فإنه) أي: إنما يجعل التضاد وشبهه جامعا وهميا لأن الوهم.

obeikandi.com

(ينزلهما منزلة التضائف) في أنه لا يحضره أحد المتضادين أو الشبيهين بهما إلا ويحضره الآخر.

(ولذلك تجد الضد اقرب خطورا بالبال مع الضد) من المغايرات الغير المتضادة يعني أن ذلك مبنى على حكم الوهم وإلا فالعقل يتعقل كلا منهما ذاهلا عن الآخر.

(أو خيالي) وهو أمر بسببه يقتضي الخيال اجتماعهما في المفكرة وذلك.

(بأن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق) على العطف لأسباب مؤدية إلى ذلك.

(وأسبابه) أي: واسباب التقارن في الخيال.

(مختلفة ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتيبا وضوحا) فكم من صور لا انفكاك بينها في خيال وهي في خيال آخر مما لا تجتمع أصلا وكم من صور لا تغيب عن خيال وهي في خيال آخر مما لا تقع قط.

(ولصاحب علم المعاني فضل احتياج إلى معرفة الجامع) لأن معظم أبوابه الفصل والوصل وهو مبنى على الجامع.

(لاسيما) الجامع.

(الخيالي فإن جمعه على مجرى الالف والعادة) بحسب انعقاد الأسباب في إثبات الصور في خزانة الخيال وبيان الأسباب مما يفوته الحصر.

فظهر أن ليس المراد بالجامع العقلي ما يدرك بالعقل وبالوهمي ما يدرك بالوهم وبالخيالي ما يدرك بالخيال؛ لأن التضاد وشبهه ليسا من المعاني التي يدركها الوهم وكذا التقارن في الخيال ليس من الصور التي تجتمع في الخيال بل جميع ذلك معان معقولة، وقد خفي هذا على كثير من الناس فاعترضوا بأن السواد والبياض مثلا من المحسوسات دون الوهميات. وأجابوا بأن الجامع كون كل منهما متضادا للآخر وهذا معنى جزئي لا يدركه إلا الوهم. وفيه نظر لأنه ممنوع.

وإن أرادوا أن تضاد هذا السواد لهذا البياض معنى جزئي فتماثل هذا مع ذلك وتضائفه معه أيضا معنى جزئي فلا تفاوت بين التماثل والتضائف وشبههما في أنهما إن أضيفت إلى الكليات كانت كليات وإن أضيفت إلى الجزئيات كانت جزئيات فكيف يصح جعل بعضها على الإطلاق عقليا وبعضها وهميا.

ثم إن الجامع الخيالي هو تقارن الصور في الخيال. وظاهر أنه ليس بصورة ترتسم في الخيال بل هو من المعاني.

فإن قلت: كلام المفتاح مشعر بأنه يكفى لصحة العطف وجود الجامع بين الجملتين باعتبار مفرد من مفرداتهما وهو نفسه معترف بفساد ذلك حيث منع صحة نحو خفي ضيق وخاتمي ضيق ونحو الشمس مرارة الأرنب وألف باذنجانة محدثة.

قلت: كلامه ههنا ليس إلا في بيان الجامع بين الجملتين. وأما أن أي قدر من الجامع يجب لصحة العطف فمفوض إلى موضع آخر.

وصرح فيه باشتراط المناسبة بين المسندين والمسند إليهما جميعا والمصنف لما اعتقد أن كلامه في بيان الجامع سهو منه وأراد اصلاحه غيره إلى ما ترى فذكر مكان الجملتين الشيئين ومكان قوله اتحاد في تصور ما اتحاد في التصور فوقع الخلل في قوله الوهمي أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل أو تضاد أو شبه تضاد.

والخيالي: أن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال لأن التضاد مثلا إنما هو بين نفس السواد والبياض لا بين تصوريهما أعني العلم بهما، وكذا التقارن في الخيال إنما هو بين نفس الصور.

فلابد من تأويل كلام المصنف وحمله على ما ذكره السكاكي بأن يراد بالشيئين الجملتان وبالتصور مفرد من مفردات الجملة مع أن ظاهر عبارته يأبى ذلك ولبحث الجامع زيادة تفصيل وتحقيق اوردناها في الشرح وأنه من المباحث التي ما وجدنا أحدا حام حول تحقيقها.

(**ومن محسنات الوصل**) بعد وجود المصحح.

(تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية و) تناسب.

(الفعليتين في المضي والمضارعة) فإذا أردت مجرد الإخبار من غير تعرض للتجدد في أحديهما والثبوت في الآخرى قلت قام زيد وقعد عمرو وكذلك زيد قائم وعمرو قاعد.

(إلا لمانع) مثل أن يراد في أحديهما التجدد وفى الآخرى الثبوت فيقال قام زيد وعمرو قاعد أو يراد في أحديهما المضى وفى الآخرى المضارعة فيقال زيد قام وعمرو يعقد أو يراد في أحديهما الإطلاق، وفى الآخرى التقييد بالشرط كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ﴾ [الأنعام:٨]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤] فعندي أن قوله: ﴿وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عطف على الشرطية قبلها لا على الجزاء أعني قوله: ﴿لاَ يَسْتَأْخِرُونَ﴾ إذ لا معنى لقولنا: إذا جاء أجلهم لا يستقدمون.

تذنيب: هو جعل الشيء ذنابة للشئ شبه به ذكر بحث الجملة الحالية وكونها بالواو تارة وبدونها أخرى عقيب بحث الفصل والوصل لمكان التناسب.

(أصل الحال المتنقلة) أي: الكثير الراجح فيها كما يقال الأصل في الكلام الحقيقة.

(أن تكون بغير واو) واحترز بالمتنقلة عن المؤكدة المقررة لمضمون الجملة فإنها يجب أن تكون بغير واو البتة لشدة ارتباطها بمقابلها. وإنما كان الأصل في المتنقلة الخلو عن الواو.

(لأنها في المعنى حكم على صاحبها كالخبر) بالنسبة إلى المبتدأ فإن قولك جاءني زيد راكبا إثبات الركوب لزيد كما في زيد راكب إلا أنه في الحال على سبيل التبعية وإنما المقصود إثبات المجيء وجئت بالحال لتزيد في الأخيار عن المجيء هذا المعنى.

(ووصف له) أي: ولأنها في المعنى وصف لصاحبها.

(كالنعت) بالنسبة إلى المنعوت إلا أن المقصود في الحال كون صاحبها على هذا الوصف حال مباشرة الفعل فهى قيد للفعل وبيان لكيفية وقوعه بخلاف النعت فإنه لا يقصد به ذلك بل مجرد اتصاف المنعوت به وإذا كانت الحال مثل الخبر والنعت فكما أنهما يكونان بدون

الواو فكذلك الحال. وأما ما أورده بعض النحويين من الأخبار والنعوت المصدرة بالواو كالخبر في باب كان والجملة الوصفية المصدرة بالواو التي تسمى واو تأكيد للصوق الصفة بالموصوف فعلى سبيل التشبيه والإلحاق بالحال.

(لكن خولف) هذا الأصل.

(إذا كانت) الحال.

(جملة فإنها) أي: الجملة الواقعة حالا.

(من حيث هي جملة مستقلة بالافادة) من غير أن تتوقف على التعليق بها قبلها. وإنما قال من حيث هي جملة لأنها من حيث هي حال غير مستقلة بل متوقفة على التعليق بكلام سابق قصد تقييده بها.

(فتحتاج) الجلمة الواقعة حالا.

(إلى ما يربطها بصاحبها) الذي جعلت حالا عنه.

(وكل من الضمير والواو صالح للربط والأصل) الذي لا يعدل عنه ما لم تمس حاجة إلى زيادة ارتباط.

(هو الضمير بدليل) الاقتصار عليه في الحال.

(المفردة والخبر والنعت فالجملة) التي تقع حالا.

(إن خلت عن ضمير صاحبها) الذي تقع هي حالا عنه.

(وجب فيها الواو) ليحصل الارتباط فلا يجوز خرجت زيد قائم. ولما ذكر أن كل جملة خلت عن الضمير وجبت فيها الواو أراد أن يبين أن أي جملة يجوز ذلك فيها واى جملة لا يجوز ذلك فقال.

(وكل جملة خالية عن ضمير ما) أي: الاسم الذي.

(يجوز أن ينتصب عنه حال) وذلك بأن يكون فاعلا أو مفعولا معرفا أو منكرا مخصوصا لا نكرة محضة أو مبتدأ أو خبرا فإنه لا يجوز أن ينتصب عنه حال على الأصل. وإنما لم يقل عن ضمير صاحب الحال لأن قوله: كل جملة مبتدأ وخبره قوله.

(يصح أن تقع) تلك الجملة.

(حالا عنه) أي: عما يجوز أن ينتصب عنه حالا.

(بالواو) وما لم يثبت له هذا الحكم أعني وقوع الحال عنه لم يصح إطلاق اسم صاحب الحال عليه إلا مجازا.

وإنما قال: ينتصب عنه حال ولم يقل يجوز أن تقع تلك الجملة حالا عنه لتدخل فيه الجملة الخالية عن الضمير المصدرة بالمضارع المثبت لأن ذلك الاسم مما لا يجوز أن تقع تلك الجملة حالا عنه لكنه مما يجوز أن ينتصب عنه حال في الجملة وحينئذ يكون قوله كل جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن ينتصب عنه حالا متنا ولا للمصدرة بالمضارع الخالية عن الضمير المذكور فيصح استثناؤها بقوله.

(إلا المصدرة بالمضارع المثبت نحو: جاء زيد ويتكلم عمرو) فإنه لا يجوز أن يجعل ويتكلم عمرو حالا عن زيد.

(لما سيأتي) من أن ربط مثلها يجب أن يكون بالضمير فقط. ولا يخفى أن المراد بقوله كل جملة الجملة الصالحة للحالية في الجملة بخلاف الانشائيات فإنها لا تقع حالا البتة لا مع الواو ولا بدونها.

(وإلا) عطف على قوله أن خلت أي وأن لم تخل الجملة الحالية عن ضمير صاحبها.

(فإن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخولها) أي: الواو.

(نحو: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦]) أي: ولا تعط حال كونك تعد ما تعطيه كثيرا.

(لأن الأصل) في الحال هي الحال.

(المفردة) لعراقة المفرد في الإعراب وتطفل الجملة عليه لوقوعها موقعه.

(وهي) أي: المفردة.

(تدل على حصول صفة) أي: معنى قائم بالغير؛ لأنها لبيان الهيئة التي عليها الفاعل أو المفعول والهيئة معنى قائم بالغير.

(غير ثابتة) لأن الكلام في الحال المستقلة.

(مقارن) ذلك الحصول (لما جعلت) الحال.

(قيدا له) يعني العامل لأن الغرض من الحال تخصيص وقوع مضمون عاملها بوقت حصول مضمون الحال وهذا معنى المقارنة.

(وهو) أي: المضارع المثبت.

(كذلك) أي: دال على حصول صفة غير ثابتة مقارن لما جعلت قيدا له جعلت قيدا له كالمفردة فتمتنع الواو فيه كما في المفردة.

(أما الحصول) أي: إما دلالة المضارع المثبت على حصول صفة غير ثابتة.

(فلكونه فعلا) فيدل على التجدد وعدم الثبوت.

(مثبتا) فيدل على الحصول.

(وأما المقارنة فلكونه مضارعا) فيصلح للحال كما يصلح للاستقبال.

وفيه نظر؛ لأن الحال التي يدل عليها المضارع هو زمان التكلم وحقيقته أجزاء متعاقبة من اواخر الماضي واوائل المستقبل والحال التي نحن بصددها يجب أن يكون مقارنة لزمان مضمون الفعل المقيد بالحال ماضيا كان أو حالا أو استقبالا فلا دخل للمضارعة في المقارنة فالأولى أن يعلل امتناع الواو في المضارع المثبت بأنه على وزن اسم الفاعل لفظا وبتقديره معنى.

(وأما ما جاء من نحو) قول بعض العرب.

(قمت وأصك وجهه، وقوله: فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ) أي: أسلحتهم.

obeikandl.com

(نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِكَا [1] فقيل) إنما جاء الواو في المضارع المثبت الواقع حالا.

(على) اعتبار.

(حذف المبتدأ) لتكون الجملة اسمية.

(أي: وأنا أصك وأنا أرهنهم) كما في قوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف:٥] أي: وأنتم قد تعلمون.

(وقيل الأول) أي: قمت وأصك وجهه.

(شاذ والثاني) أي: نجوت وارهنهم.

(ضرورة وقال عبد القاهر هي) الواو.

(فيهما للعطف) لا للحال إذ ليس المعنى قمت صاكا وجهه ونجوت راهنا مالكا بل المضارع بمعنى الماضي.

---

(١) البيت لعبد الله بن همام السلولي، من المتقارب وبعده:

عريفاً مقيماً بدَارِ الهوا .. نِ أهونْ عليَّ بِهِ هالكًا

وهذان البيتان من جلة أبيات، منها:

فقلتُ أجزني أبا خالدٍ .. وإلا تجدني امْرَأ هالكا

يريد بابي خالد هنا يزيد بن معاوية، والذي خشيه عبيد الله بن زياد، وكان قد توعده، فهرب إلى الشام، واستجار بيزيد فأمنه، وكتب إلى عبيد الله يأمره بالصفح عنه، ومالك المذكور هو: عريفه. والأظافير: جمع ظفر وأظفور ويجمع أيضا على أظفار.

والمعنى: لما خشيت حملته وإنشاب أظفاره نجوت وخليت بينه وبين مالك.

والشاهد فيه: دخول واو الحال عل المضارع المثبت الممتنع دخولها عليه في الجملة الفعلية الواقعة حالاً من ضمير صاحبها الغير الخالية منه، إذ قد قيل إنه علي حذف المبتدأ، أي وأنا أرهنهم، فتكون اسميه، فيصح دخولها، وعليه قول تعالى: " لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم " أي: وأنتم قد تعلمون، وقيل: ضرورة. وقال عبد القاهر هي فيه للعطف، والأصل ورهنتهم عدل إلى المضارع لحكاية حال ماضية، ومعناه: أنه يفرض ما كان في الزمن الماضي واقعاً في هذا الزمان، فعبر عنه بلفظ المضارع، كما في قول الشاعر من الكامل:

ولقد أمرَ علي اللئيم يسبني

أي: مررت. وروى وأرهنتهم. والأول رواية الأصمعي، واستحسنه ثعلب.

(والأصل) قمت.

(وصككت) ونجوت ورهنت.

(عدل) عن لفظ الماضي.

(إلى) لفظ.

(المضارع حكاية للحال) الماضية ومعناها أن يفرض ما كان في الزمان الماضي واقعا في هذا الزمان فيعبر عنه بلفظ المضارع.

(وإن كان الفعل) مضارعا.

(منفيا فالأمران جائزان) الواو وتركه.

(كقراءة ابن ذكوان: ﴿ فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ ﴾ [يونس:٨٩] بالتخفيف) أي: بتخفيف النون ولا تتبعان فيكون لا للنفي دون النهي لثبوت النون التي هي علامة الرفع فلا يصح عطفه على الأمر الذي قبله فيكون الواو للحال بخلاف قرائة العامة ولا تتبعان بالتشديد فإنه نهي مؤكد معطوف على الأمر قبله.

(ونحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا ﴾) أي: أي شيء ثبت لنا.

(﴿لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ ﴾ [المائدة: ٨٤]) أي: حال كوننا غير مؤمنين فالفعل المنفي حال بدون الواو. وإنما جاز فيه الأمران.

(لدلالته على المقارنة لكونه مضارعا دون الحصول لكونه منفيا) والمنفي إنما يدل مطابقة على عدم الحصول.

(وكذا) يجوز الواو وتركه.

(إن كان) الفعل (ماضيا لفظا أو معنى كقوله تعالى) إخبارا عن زكريا عليه السلام.

(﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ [آل عمران:٤٠]) بالواو.

(وقوله: ﴿أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء:٩٠]) بدون الواو هذا في الماضي لفظا. وأما الماضي معنى فالمراد به المضارع المنفي بلم أو لما فانهما تقلبان معنى المضارع إلى

الماضي فاورد للمنفى بلم مثالين أحدهما مع الواو والآخر بدونه واقتصر في المنفي بلما على ما هو بالواو وكانه لم يطلع على مثال ترك الواو وفيه إلا أنه مقتضى القياس أشار إلى امثلة ذلك فقال.

(وقوله: ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ [آل عمران: ٤٧]، وقوله ﴿ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، وقوله ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾ [البقرة: ٢١٤]، أما المثبت) أي: أما جواز الأمرين في الماضي المثبت.

(فلدلالته على الحصول) يعني حصول صفة غير ثابتة.

(لكونه فعلا مثبتا دون المقارنة لكونه ماضيا) فلا يقارن الحال.

(ولهذا) أي: ولعدم دلالته على المقارنة.

(شرط أن يكون مع قد ظاهرة) كما في قوله تعالى:﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾[آل:٤٠].

(أو مقدرة) كما في قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء:٩٠] لأنه قد تقرب الماضي من الحال والأشكال المذكور وارد ههنا وهو أن الحال التي نحن بصددها غير الحال التي تقابل الماضي وتقرب قد الماضي منها فتجوز المقارنة إذا كان الحال والعامل ماضيين ولفظ قد إنما تقرب الماضي من الحال التي هي زمان التكلم.

وربما تبعده عن الحال التي نحن بصددها كما في قولنا: جاءني زيد في السنة الماضية وقد ركب فرسه، والاعتذار عن ذلك مذكور في الشرح.

(وأما المنفي) أي: إما جواز الأمرين في الماضي المنفي.

(فلدلالته على المقارنة دون الحصول أما الأول) أي: دلالته على المقارنة.

(فلأن لما للاستغراق) أي: لامتداد النفي حين الانتفاء إلى زمان التكلم.

(وغيرها) أي: غير لما مثل لما وما.

(لانتفاء متقدم) على زمان التكلم.

(أن الأصل استمراره) أي: استمرار ذلك الانتفاء لما سيجيء حتى تظهر قرينة على الانقطاع كما في قولنا: لم يضرب زيد امس لكنه ضرب اليوم.

(فيحصل به) أي: باستمرار النفي أو بأن الأصل فيه الاستمرار.

(الدلالة عليها) أي: على المقارنة.

(عند الإطلاق) وترك التقييد بما يدل على أنقطاع ذلك الانتفاء.

(بخلاف المثبت فإن وضع الفعل على إفادة التجدد) من غير أن يكون الأصل استمراره.

فإذا قلت: ضرب مثلا كفى في صدقه وقوع الضرب في جزء من أجزاء الزمان الماضي. وإذا قلت: ما ضرب أفاد استغراق النفي لجميع أجزاء الزمان الماضي لكن لا قطعيا بخلاف لما وذلك لأنهم قصدوا أن يكون الإثبات والنفي في طرفي النقيض. ولا يخفى أن الإثبات في الجملة إنما ينافيه النفي دائما.

(وتحقيقه) أي: تحقيق هذا الكلام.

(أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود) يعني: أن بقاء الحادث وهو استمرار وجوده يحتاج إلى سبب موجود؛ لأنه وجود عقيب وجود ولابد للوجود الحادث من السبب بخلاف استمرار العدم؛ فإنه عدم فلا يحتاج إلى وجود سبب بل يكفيه مجرد انتفاء سبب الوجود والأصل في الحوادث العدم حتى توجد عللها.

وبالجملة لما كان الأصل في المنفي الإستمرار حصلت من الإطلاق الدلالة على المقارنة.

(وأما الثاني) أي: عدم دلالته على الحصول.

(فلكونه منفيا) هذا إذا كانت الجملة فعلية.

(وإن كانت اسمية فالمشهور جواز تركها) أي: الواو.

(لعكس ما مر في الماضي المثبت) أي: لدلالة الاسمية على المقارنة لكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام والثبات.

(نحو: كلمته فوه إلى في) بمعنى مشافها.

(و) أيضا المشهور.

(إن دخولها) أي: الواو.

(أولى) من تركها.

(لعدم دلالتها) أي: الجملة الاسمية.

(على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها فحسن زيادة رابطة نحو ﴿ فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢]) أي: وأنتم من أهل العلم والمعرفة وأنتم تعلمون ما بينهما من التفاوت.

(وقال عبد القاهر: إن كان المبتدأ) في الجملة الاسمية الحالية.

(ضمير ذي الحال وجبت) أي: الواو سواء كان خبره فعلا.

(نحو: جاء زيد وهو يسرع أو) اسما نحو: جاء زيد.

(وهو مسرع) وذلك لأن الجملة لا تترك فيها الواو حتى تدخل في صلة العامل وتنضم إليه في الإثبات وتقدر تقدير المفرد في أن لا يستأنف لها الإثبات، وهذا مما يمتنع في نحو جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع لانك إذا اعدت ذكر زيد وجئت بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة إعادة اسمه صريحا في أنك لا تجد سبيلا إلى أن تدخل يسرع في صلة المجيء وتضمه إليه في الإثبات؛ لأن إعادة ذكره لا تكون حتى تقصد استئناف الخبر عنه بأنه يسرع، وإلا لكنت تركت المبتدأ بمضيعة وجعلته لغوا في البين وجرى مجرى أن تقول: جاءني زيد وعمرو يسرع أمامه ثم تزعم أنك لم تستأنف كلاما ولم تبتدأ للسرعة إثباتا.

وعلى هذا فالأصل والقياس: أن لا تجيء الجملة الاسمية إلا مع الواو وما جاء بدونه فسبيله سبيل الشيء الخارج عن قياسه وأصله بضرب من التأويل ونوع من التشبيه.

هذا كلامه في "دلائل الإعجاز" وهو مشعر بوجوب الواو في نحو جاءني زيد وزيد يسرع أو مسرع أمامه وجاء زيد وعمرو يسرع أو مسرع أمامه بالطريق الأولى ثم قال الشيخ:

(وإن جعل نحو: على كتفه سيف حالا كثر فيها) أي: في تلك الحال.

(تركها) أي: ترك الواو.

(نحو) قول بشار: [الطويل]

إِذا أَنكَرَتني بَلدَةٌ أَو نَكَرتُها ... (نَهَضتُ مَعَ البازي عَلَيَّ سَوادُ)(١)

أي: بقية من الليل يعني إذا لم يعرف قدري أهل بلدة أو لم أعرفهم خرجت منهم مصاحبا للبازي الذي هو أبكر الطيور مشتملا على شيء من ظلمة الليل غير منتظر لإسفار الصبح. فقوله على سواد حال ترك فيها الواو.

---

(١)قائله بشار بن برد، من أبيات من الطويل، قالها في خالد بن برمك وكان قد وفد عليه وهو بفارس، فأنشده قوله:

أخَالدُ لمْ أهبطْ عليكَ بذِمّةٍ .... سِوَى أنني عَافٍ وأنت جَوَادُ
أخَالدُ إنَّ الأجرَ والحمدَ حاجتي .... فأيّهمَا تأتي فأنتَ عِمَادُ
فإن تعطني أفرغْ عَليكَ مدائحي .. وإنْ تأبَ لم تُضرَبْ عليَّ سدادُ
رِكَابي على حرْفٍ وقلبي مُشَيَّعٌ ...... ومَا لي بِأرْضِ البَاخلينَ بلادُ
إِذَا أنكرَتني بَلدةٌ أوْ نكرتهَا .... خَرَجْتُ مَعَ البَازي عليَّ سَوَادُ

فدعا خالد بأربعة آلاف، في أربعة أكياس، فوضع واحداً منها عن يمينه، وآخر عن شماله، وأخر بين يديه، وآخر من ورائه، وقال: يا أبا معاذ هل استقل العماد؟ فلمس الأكياس بيده، ثم قال: استقل والله أيها الأمير.
ومعنى البيت: إذا لم يعرف قدري أهل بلدة ولم أعرفهم خرجت عنهم وفارقتهم متنكراً مصاحباً للبازي؛ الذي هو أبكر الطيور مشتملاً على شيء من ظلمة الليل، غير منتظر لإسفار الصبح، فقوله علي سواد، أي: بقية من الليل.
والشاهد فيه: كونه حالاً ترك في الواو.
ومثله قول أمية بن أبي الصلت يمدح ابن ذي يزن من البسيط:

اشرَبْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفقاً .. في رَأس غمْدَانَ داراً منكَ محلالا

والشاهد في قوله عليك التاج. وغمدان: اسم قصر باليمن، مبني على أربعة أوجه: أحمر وأبيض وأصفر وأخضر، وفي داخله قصر مبني بسبعة سقوف، بين كل سقفين أربعون ذراعاً، ويرى ظله إذا طلعت عليه الشمس من ثلاثة أميال، والمحلال، بمعنى المنزل صيغة مبالغة.

ثم قال الشيخ: الوجه أن يكون الاسم في مثل هذا فاعلا بالظرف لاعتماده على ذى الحال لا مبتدأ وينبغي أن يقدر ههنا خصوصا أن الظرف في تقدير اسم الفاعل دون الفعل، اللهم إلا أنه لا يقدر فعل ماض هذا كلامه وفيه بحث.

والظاهر: أن مثل على كتفه سيف يحتمل أن يكون في تقدير المفرد وأن يكون جملة اسمية قدم خبرها، وأن يكون فعلية مقدرة بالماضي أو المضارع فعل التقديرين يمتنع الواو وعلى التقديرين لا تجب الواو فمن أجل هذا كثر تركها، وقال الشيخ أيضا.

(ويحسن الترك) أي: ترك الواو في الجملة الاسمية.

(تارة لدخول حرف على المبتدأ) يحصل بذلك الحرف نوع من الارتباط.

(كقوله: [الطويل]

فقلت عَسى أَن تُبصِريني كَأَنَّما ... بُنَيَّ حَوالَيَّ الأُسودُ الحوارد[1])

من حرد إذا غضب، فقوله: بنى الأسود جملة اسمية وقعت حالا من مفعول تبصريني، ولولا دخول كأنما عليها لم يحسن الكلام إلا بالواو وقوله: حوالي، أي في أكنافي وجوانبي حال من بنى لما في حرف التشبيه من معنى الفعل.

(و) يحسن الترك تارة أخرى.

---

(١) البيت من الطويل، قائله الفرزدق، من جملة أبيات قالها مخاطباً لزوجته النوار وكان قد مكث زماناً لا يولد له فعيرته بذلك، وأول الأبيات:

وقالت أراهُ واحداً لا أخا له .... يُؤَمِّلُهُ يوماً ولا هو والِدُ

وبعده البيت، وبعده:

فإن تَميماً قبلَ أن يلد الحصا .. أقامَ زماناً وهو في الناس واحدُ

والحوارد: من حرد إذا غضب.

والشاهد فيه: ترك الواو في الجملة الإسمية الحالية لدخول حرف على المبتدأ يحصل به نوع من الارتباط وهو هنا كأن إذ لو لم تدخل لما حسن الكلام إلا بالواو، وبني إلخ جملة اسمية وقعت حالاً من مفعول تبصريني، ومعنى حوالي في أكنافي وجوانبي، وهو حال من بنى لما في حرف التشبيه من معنى الفعل.

(لوقوع الجملة الاسمية) الواقعة حالا (بعقب مفرد) حال.

(كقوله: [السريع]

اللهُ يُبقيك لنا سالماً   بُرْداكَ تبجيلٌ وتعظيمُ[1]

فقوله: (برداك تبجيل) حال ولو لم يتقدمها قوله: (سالما) لم يحسن فيها ترك الواو.

obeikandl.com

---

(١) البيت لابن الرومي، من قصيدة من السريع، منها قبل البيت:

قَلَّ له الملْكُ ولو أنـــــه ...... مجموعَـــــةٌ فيه الأقاليمُ

والتبجيل: التعظيم. والشاهد فيه: ترك الواو في الجملة الإسمية الحالية وهي برداك إلخ لوقوعها بعقب حال مفرد وهو سالماً إذ لو لم يتقدمها لم يحسن فيها ترك الواو، والحالان أعني الجملة وسالماً يجوز أن يكونا من الأحوال المترادفة، وهي: أن تكون أحوال متعددة وصاحبها واحد كالكاف من يبقيك هاهنا، ويجوز أن يكون من الأحوال المترادفة، وهي: أن يكون صاحب الحال المتأخر الاسم الذي يشتمل عليه الحال السابقة، مثل أن يجعل قوله برداك تعظيم، حالاً من الضمير في سالما.

الباب الثامن

الإيجاز والإطناب والمساواة

(قال السكاكي: أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين) أي: من الأمور النسبية التي يكون تعلقها بالقياس إلى تعقل شي آخر فإن الموجز إنما يكون موجزا بالنسبة إلى كلام أزيد منه وكذا المطنب إنما يكون مطنبا بالنسبة إلى ما هو أنقص منه.

(لا يتسير الكلام فيها إلا بترك التحقيق والتعين) أي: لا يمكن التنصيص على أن هذا المقدار من الكلام إيجاز وذلك اطناب اذرب كلام موجز يكون مطنبا بالنسبة إلى كلام آخر وبالعكس.

(والبناء على أمر عرفي) أي: وإلا بالبناء على أمر يعرفه أهل العرف.

(وهو متعارف الأوساط) الذين ليسوا في مرتبة البلاغة ولا في غاية الفهاهة.

(أي كلامهم في مجرى عرفهم في تأدية المعاني) عند المعاملات والمحاورات.

(وهو) أي: هذا الكلام.

(لا يحمد) من الأوساط.

(في باب البلاغة) لعدم رعاية مقتضيات الأحوال.

(ولا يذم) أيضا منهم لأن غرضهم تأديه أصل المعنى بدلالات وضعية والفاظ كيف كانت ومجرد تأليف يخرجها عن حكم النعيق.

(فالإيجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف، والإطناب أداؤه بأكثر منها ثم قال) أي: السكاكي:

(الاختصار لكونه نسبيا يرجع فيه تارة إلى ما سبق) أي: إلى كون عبارة المتعارف أكثر منه.

(و) يرجع تارة.

(أخرى إلى كون المقام خليقا بأبسط مما ذكر) أي: من الكلام الذي ذكره المتكلم. وتوهم بعضهم أن المراد بها ذكر متعارف الأوساط وهو غلط لا يخفى على من له قلب أو القى السمع وهو شهيد يعني كما أن الكلام يوصف بالإيجاز؛ لكونه أقل من المتعارف كذلك يوصف به لكونه أقل مما يقتضيه المقام بحسب الظاهر، وإنما قلنا بحسب الظاهر لأنه لو كان أقل مما يقتضيه المقام ظاهرا وتحقيقا لم يكن في شيء من البلاغة مثاله قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: ٤] من الآية فإنه إطناب بالنسبة إلى المتعارف أعني قولنا يا رب.

وإيجاز بالنسبة إلى مقتضى المقام ظاهرا؛ لأنه مقام بيان انقراض الشباب وإلمام المشيب فينبغي أن يبسط فيه الكلام غاية البسط فالإيجاز معنيان بينهما عموم من وجه.

(وفيه نظر؛ لأن كون الشيء أمرا نسبيا لا يقتضي تعسر تحقيق معناه) إذ كثيرا ما تحقق معاني الأمور النسبية وتعرف بتعريفات تليق بها كالأبوة والأخوة وغيرهما.

والجواب: أنه لم يرد تعسر بيان معناهما لأن ما ذكر بيان لمعناها بل أراد تعسر التحقيق والتعيين في أن هذا القدر إيجاز وذلك إطناب.

(ثم البناء على المتعارف والبسط الموصوف) بأن يقال الإيجاز هو الأداء بأقل من المتعارف أو مما يليق بالمقام من كلام ابسط من الكلام المذكور.

(رد إلى الجهالة) إذ لا تعرف كمية متعارف الأوساط وكيفيتها لاختلاف طبقاتهم ولا يعرف أن كل مقام أي مقدار يقتضي من البسط حتى يقاس عليه ويرجع إليه.

والجواب: أن الألفاظ قوالب المعاني والأوساط الذين لا يقدرون في تأدية المعاني على اختلاف العبارات والتصرف في لطائف الاعتبارات لهم حد معلوم من الكلام يجري فيما بينهم في المحاورات، وهذا معلوم للبلغاء وغيرهم. فالبناء على المتعارف واضح بالنسبة إليهما جميعا.

وأما البناء على البسط الموصوف؛ فإنما هو معلوم للبلغاء العارفين لمقتضيات الأحوال بقدر ما يمكن لهم البسط فلا يجهل عندهم ما يقتضيه كل مقام من مقدار البسط.

(والأقرب) إلى الصواب.

(أن يقال المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساو له) أي: لأصل المراد.

(أو) بلفظ.

(ناقص عنه واف أو بلفظ زائد عليه لفائدة) فالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد والإيجاز أن يكون ناقصا عنه وافيا به، والإطناب أن يكون زائدا عليه لفائدة.

(واحترز بواف عن الإخلال) وهو أن يكون اللفظ ناقصا عن أصل المراد غير واف به.

(كقوله: [الكامل]

والعيشُ خَيْرٌ في ظِلالِ النوك)(١)

---

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكري، من الكامل المضمر المرفل، وقبله:

فَعش بجَدٍّ لا يَضِر .. كَ النَّوْكُ ما أُولِيتَ جَدَّا

والنوك بضم النون وفتحها، الحمق، ومعنى كداً مكدوداً متعوبا.

والشاهد فيه: الإخلال، لكونه غير واف بالمراد، إذ أصل مراده أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل، ولفظه غير واف بذلك.

وما أحسن قول ابن المعتز من الكامل:

وحَلاوَةُ الدنيا لِجَاهِلِها .. ومَرَارة الدنيا لمن عَقَلا

ولأبي عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي من الكامل:

عابو الجَهَالَةَ وازدَروا بحقُوقِها .. وتَهاوَنوا بحديثها في المجلِسِ

وهي التي يَنْقَادُ في يَدِها الغنى ... وتجيئُها الدنيا برَغم المعطسِ

إنّ الجهالة للغني جَذَّابَةٌ ..... جَذْبَ الحديدِ حِجارَةَ المُغنْطِسِ

ولأبي محمد اليزيدي من أبيات من الخفيف:

عِش بجد ولا يَضُرُّكَ نوكٌ ..... إنما عيش من ترى بالجُدُودِ

عش بجد وكن هَبَنَّقَةَ العَبْسِيَّ...... نوكاً أو شيْبَةَ بن الوليدِ

وما أحسن قول بعضهم من السريع:

أي: الحمق والجهالة.

(ممن عاش كدا) أي: خير ممن عاش مكدودا متعوبا.

(أي الناعم في ظلال العقل) يعني: أن أصل المراد أن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ولفظه غير واف بذلك فيكون مخلا فلا يكون مقبولا.

(و) احترز.

=

إن المقاديرَ إذا ساعَدَتْ .... أَلحَقَتِ العاجزَ بالقادرِ

وبديع قول بعضهم من مخلع البسيط:

بالجد يَسعى الفَتَى وإلا .... فَلَيْسَ يُغني أبٌ وجَدٌّ
وليس يُجدي عَلَيك كَدٌّ .... ما دام يُكْدِي عليك جَدٌّ

وما أحذق قول ابن لنكك من البسيط:

دنياكَ باتَتْ على الأحرارِ غاضِبَةً .. وطاوَعت كل صَفْعانٍ وضَرَّاطِ

وقوله أيضا من الكامل:

كن ساعياً ومُصافعاً ومُضارطاً .... تَنلِ الرغائب في الزَّمان وتَنْفُقِ

ولمؤلفه من أبيات من السريع:

من يَبغ بالفَضل معاشاً يمت .... جوعاً ولو كانَ بَديعَ الزمانِ
ومن يَقُدْ أو يتَمسخَرْ يَعِشْ .... عيشاً رَخِياً في ظلال الأمانِ
تبغي الحجا ثم تروم الغني .. يا قَلَما تجتمعُ الضَّرَّتانِ

ولطيف قول بعضهم من الخفيف:

قد يُجَدُّ اللَّبيبُ عن سعة الرِّز .. قِ وقد يَسعدُ الضعيفُ بجده
رُبَّ مال أتى بأهوَنِ سَعي .... وكَدُودٍ لم يُغنِه طول كدِّه

ولابن نباتة السعدي من الكامل:

ما بالُ طَعْم العيش عند مَعاشِرٍ .. حُلو وعند معاشر كالعَلْقَم
من لي بعيش الأغبياء فإنه .... لا عيشَ إلا عيشُ مَنْ لم يعلم

والحارث بن حلزة هو من بني يشكر من بكر بن وائل، وكان أبرص، وهو القائل من الخفيف:

آذنَتنا بِبَينها أسماء .. رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

ويقال: إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالاً في شيء كان بين بكر وتغلب في الصلح، وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذي كان به، فأمر برفع السجف بينه وبينه استحساناً له، وكان الحارث متوكئاً على عنزة فأثرت في جسده وهو لا يشعر، وكن له ابن يقال له مذعور، ولمذعور ابن يقال له شاب ابن مذعور.

(بفائدة عن التطويل) وهو أن يزيد اللفظ على الأصل المراد لا لفائدة ولا يكون اللفظ الزائد متعينا.

(نحو) قوله: وقددت الأديم لراهشيه.

(وألفى) أي: وجد.

(قولها: كذبا ومينا)[1] والكذب والمين واحد لا فائدة في الجمع بينهما. قوله قددت أي قطعت والراهشان عرقان في باطن الذراعين والضمير في راهشيه وفى ألفى لجذيمة الأبرش وفى قددت وفى قولها للزباء والبيت في قصة قتل الزباء لجذيمة وهي معروفة.

---

(١)هو من الوافر، وصدره:

وقدّدَت الأديم لراهشيه

وقائله عدي بن زيد العبادي، من قصيدة طويلة أولها:

أَبَدِّلَتِ المنازلُ أم عنينا .. بقادم عهدِهنَّ فقد بَلِينَا

وكان من خبر جذيمة والزباء أن جذيمة كان من العرب الأولى من بني إياد كما ذكره ابن الكلبي، وكنيته أبو مالك، وكان في أيام ملوك الطوائف، وقال أبو عبيدة: كان جذيمة بعد عيسى صلوات الله وسلامه عليه بثلاثين سنة، وكان قد ملك شاطئ الفرات إلى ما وإلى ذلك إلى السواد، ستين سنة، وكان به برص، فهابت العرب أن تصفه بذلك فقالوا: الأبرش، والوضاح، وقيل: سمي بذلك لأنه أصابه حرق نار فبقي أثره نقطاً سوداً وحمراً، وكان الملك قبله أباه، وهو أول من ملك الحيرة، وكان جذيمة هذا يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على كثير مما في أيديهم، وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق، وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب ملكه وألجأ الزباء إلى أطراف مملكتها، وكانت عاقلة أريبة فبعثت إليه تخطبه لنفسها ليتصل ملكه بملكها، فدعته نفسه إلى ذلك، وقيل: هو الذي بعث إليها يخطبها، فكتبت إليه، إني فاعلة ومثلك يرغب فيه، فإذا شئت فاشخص إلي، فشاور وزراءه فكلٌ أشار عليه أن يفعل، إلا قصير بن سعد فإنه قال له: أيها الملك لا تفعل فإن هذه خديعة ومكر، فعصاه وأجابها إلى ما سألت، فقال قصير عند ذلك: لا يطاع لقصير رأى، وقيل: أمر، فأرسلها مثلاً، ولم يكن قصيراً، ولكن كان اسماً له، ثم إنه قال له: أيها الملك أما إذ عصيتني فإذا رأيت جندها قد أقبلوا إليك فإن ترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظني، وإن رأيتهم إذا حيوك طافوا بك فإني معرض لك العصا - وهي فرس لجذيمة لا تدرك - فاركبها وانج، فلما أقبل جيشها حيوه ثم طافوا به فقرب قصير إليه العصا فشغل عنها فركبها قصير فنجا، فنظر جذيمة إلى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال: ما ذل من جرت به العصا، فأرسلها مثلاً، وأدخل جذيمة على الزباء، وكانت قد ربت شعر عانتها حولاً، فلما دخل

(و) احترز أيضا بفائدة.

(عن الحشو) وهو زيادة معينة لا لفائدة.

=

تكشفت له وقلت: أمتاع عروس ترى يا جذيمة؟ فقال: بل متاع أمة بظراء، فقالت: إنه ليس من عدم المواسي، ولا من قلة الأواسي، ولكنها شيمة ما أقاسي، وأمرت فأجلس على نطع، ثم أمرت برواهشه فقطعت، وكان قد قيل لها: احتفظي بدمه فإنه إن أصاب الأرض قطة من دمه طلب بثأره، فقطرت قطرة من دمه في الأرض، فقالت: لا تضيعوا دم الملك، فقال جذيمة: دعوا دماً ضيعه أهله، فلم يزل الدم يسيل إلى أن مات.

ثم إن قصيراً أتى عمراً ابن أخت جذيمة وأخبره الخبر، وحرضه على أخذ الثأر، واحتال لذلك بأن قطع أنفه وأذنيه، ولحق بالزباء، وزعم أن عمراً فعل به ذلك، وأنه اتهمه بمهالأته لها على خاله، ولم يزل يخدعها حتى اطمأنت له وصارت ترسله إلى العراق بمال فيأتي إلى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشتري به ما تطلبه ويأتي إليها به، إلى أن تمكن منها وسلمته مفاتيح الخزائن وقالت له: خذ ما أحببت فاحتمل ما أحب من مالها وأتى عمراً فانتخب من عسكره فرساناً وألبسهم السلاح واتخذ غرائر وجعل أشراجها من داخل، ثم حمل على كل بعير رجلين معهما سلاحهما وجعل يسير النهار حتى إذا كان الليل اعتزل عن الطريق، فلم يزل كذلك حتى شارف المدينة، فأمرهم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلاً، وعرف أنه مصبحها فلما أصبح عندها دخل عليها وسلم، وقال: هذه العير تأتيك الساعة بما لم يأتيك قط مثله، فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر العير وهي تدخل المدينة فأنكرت مشيها وجعلت تقول من الرجز:

مَا للجِمَالِ مشيُها وئِيدا .. أجَندلاً يحملن أم حَديدا
أم صَرَفاناً بارداً شديدا ..... أم الرِّجالَ جثَّماً قُعودا

فلما توافت العير المدينة حلوا أشراجهم وخرجوا في الحديد، وأتى قصير بعمرو فأقامه على سرب كان لها إذا خشيت خرجت منه، فأقبلت لتخرج من السرب فاتاها عمرو فجعلت تمص خاتماً وفيه سم وتقول: بيدي لا بيد عمرو، وفارقت الدنيا، والراهشان: عرقان في باطن الذراعين.

والشاهد فيه: التطويل، وهو أن يكون اللفظ زائداً على أصل المراد لا لفائدة واللفظ الزائد غير متعين إذ جمعه بين الكذب والمين في البيت لا فائدة فيه لأنهما بمعنى واحد.

وعدي هو ابن زيد بن حماد بن أيوب ينتهي نسبه لنزار، وكان أيوب هذا فيما يزعم ابن الأنباري أول من سمي من العرب أيوب، وكان عدي شاعراً فصحياً من شعراء الجاهلية، وكان نصرانياً، وكذلك كان أبوه وأهله، وليس ممن يعد من الفحول، إذ هو قروي، وقد أخذ عنه أشياء عيب بها، وكان أبو عبيدة والأصمعي يقولان: عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها، وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت الثقفي، ومثلهما عندهم من الإسلاميين الكميت والطرماح.

(المفسد) للمعنى.

(كالندى في قوله [الطويل]: وَلا فَضلَ فيها) أي: في الدنيا.

(لِلشَّجاعَةِ وَالنَّدى وَصَبرِ الفَتى لَولا لِقاءُ شَعوبِ) (١)

هي علم للمنية صرفها للضرورة وعدم الفضيلة على تقدير عدم الموت إنما يظهر في الشجاعة والصبر لتيقن الشجاع بعدم الهلاك وتيقن الصابر بزوال المكروه، بخلاف الباذل ماله إذا تيقن بالخلود وعرف احتياجه إلى المال دائما؛ فإن بذله حينئذ أفضل مما إذا تيقن بالموت وتخليف المال وغاية اعتذاره ما ذكره الإمام ابن جني وهو: أن في الخلود وتنقل الأحوال فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس ويسهل البؤس فلا يظهر لبذل المال كثير فضل.

(و) عن الحشو.

(غير المفسد) للمعنى.

(كقوله: [الطويل]

وَأَعلَمُ عِلمَ اليَومِ وَالأَمسِ قَبلَهُ) وَلَكِنَّني عَن عِلمِ ما في غَدٍ عَمي (١)

---

(١) البيت لأبى الطيب المتنبي، من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة ابن حمدان ويعزيه بغلامه يماك التركي، وأولها وفيه الخرم وهو حذف الحرف الأول من الوتد المجموع:

لاَ يُحزِنِ اللهُ الأميرَ فإنني .. لآخُذُ مِنْ حالاتهِ بنصيبِ

وهي طويلة: وشعوب: اسم للمنية غير منصرف للعلمية والتأنيث، وصرفه للضرورة، سميت المنية بذلك أنها تشعب: أي تفرق.

والشاهد فيه: الحشو الزائد المفسد، وهو هنا لفظة الندى لأن المعنى أن الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم الموت، وهذا إنما يصح في الشجاعة والصبر دون العطاء، فإن الشجاع إذا تيقن الخلود هان عليه الاقتحام في الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن في ذلك فضل، وكذلك الصبر إذا تيقن زوال الشدائد والحوادث وبقاء العمر هان عليه صبره على المكروه لوثوقه بالخلاص منه، بل مجرد طول العمر يهون على النفس الصبر على المكاره، ولهذا يقال: هب أن لي صبر أيوب فمن أين لي عمر نوح؟ بخلاف الباذل ماله، فإنه إذا تيقن الخلود شق عليه بذلك المال لاحتياجه إليه فيكون بذله حينئذ أفضل، أما إذا تيقن الموت فقد هان عليه بذله

فلفظ قبله حشو غير مفسد وهذا بخلاف ما يقال: أبصرته بعيني وسمعته بأذني وكتبته بيدي في مقام يفتقر إلى التأكيد.

(المساواة) قدمها لأنها الأصل المقيس عليه.

(نحو ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٣].

وقوله: [الطويل]

فَإِنَّكَ كَاللَيلِ الَّذي هُوَ مُدرِكي وَإِن خِلتُ أَنَّ المُنتَأى عَنكَ واسِعُ [٢]

=

(١) هو من البحر الطويل.

وقائله زهير بن أبي سلمى، وهو من آخر قصيدة قالها في الصلح الواقع بين عبس وذبيان، وأولها:

أَمِنْ أمِّ أوفى دِمنةٌ لم تكلم .. بِحومانةِ الدَّرَّاج فالمُتثلم

ودَارٌ لها بالرَّقمتين كأنها .... مَراجِيعُ وَشمٍ في نَواشر مِعصم

بها العِينُ والآرامُ يَمشينَ خِلفةً .. وَأطلاؤها يَنهضنَ من كلِّ مَجثم

ومعنى البيت: إن علم قد يحيط بما مضى وبما هو حاضر، ولكنني عمي القلب عن الإحاطة بما هو منتظر متوقع، يردي لا أدري ماذا يكون غداً.

والشاهد فيه: الحشو الغير مفسد للمعنى، وهو لفظة قبله ومثله قول عدي المتقدم من الكامل:

نحْنُ الرؤسُ وَما الرؤسُ إذَا سمتْ .. في المَجدِ لِلأَقْوَام كالأذناب

فقوله للأقوام حشو، وفيه نظر، لأن استعمال الرأس في المقدم والرأس مجاز، وذكر الأقوام كالقرينة.

(٢)البيت للنابغة الذبياني، من قصيدة من الطويل يمدح بها أبا قابوس، وهو النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وأولها:

عَفَا ذُو حساً من فَرْتَنَى فالفوارعُ .. فجنبا أريك فالتلاع الدوافعُ

فمجمعُ الأشراج غيَّرَ رسمَها .... مصايفُ قد مرتْ بنا ومرابع

توهمْتُ آيات لها فعرفتهَا .... لستةِ أعوامٍ وذَا العَامُ سابعُ

والمنتأى: اسم موضع من انتأى عنه أي بعد، وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال سخطه وهوله.

والمعنى: أنه لا يفوت الممدوح وإن أبعد في الهرب وصار إلى أقصى الأرض لسعة ملكه وطول يده، ولأن له في جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب إليه.

وقد اعترض الأصمعي على النابغة فقال: أما تشبيهه الإدراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه، وإنا كان سبيله أن يأتي بما لا قسيم له حتى يأتي بمعنى منفرد. فلو قال قائل إن قول النميري في ذلك أحسن منه لوجد مساغاً إلى ذلك حيث يقول من الطويل:

فلو كنتُ كالعَنقاءِ أو كسموها .. لخِلْتكَ إلا أن تَصدَّ تراني

أي موضع البعد عنك ذو سعة شبهه في حال سخطه وهو له بالليل.

قيل: في الآية حذف المستثنى منه، وفى البيت حذف جواب الشرط فيكون في كل منهما إيجازا لا مساواة.

وفيه نظر، لأن اعتبار هذا الحذف رعاية لأمر لفظي لا يفتقر إليه في تأدية أصل المراد حتى لو صرح به لكان اطنابا بل تطويلا.

وبالجملة: لا نسلم أن لفظ الآية والبيت ناقص عن أصل المراد.

والإيجاز: (ضربان إيجاز القصر وهو ما ليس بحذف نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة:١٧٩] فإن معناه كثير ولفظه يسير) وذلك لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قتل كان ذلك داعيا له إلى إلا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض وكان بارتفاع القتل حياة لهم.

(ولا حذف فيه) أي: ليس فيه حذف شيء مما يؤدى به أصل المراد، واعتبار الفعل الذي يتعلق به الظرف رعاية لأمر لفظي حتى لو ذكر لكان تطويلا.

(وفضله) أي: رجحان قوله ولكم في القصاص حيوة.

(على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو) قولهم.

(القتل أنفى للقتل بقلة حروف ما يناظره) أي: اللفظ الذي يناظر قولهم القتل أنفى للقتل.

(منه) أي: من قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ وما يناظره منه هو قوله في القصاص حيوة لأن قوله: (ولكم) زائد على معنى قولهم: القتل أنفي للقتل. فحروف في القصاص حياة مع التنوين أحد عشر، وحروف القتل أنفى للقتل أربعة عشرة أعني الحروف الملفوظة إذ بالعبارة يتعلق الإيجاز لا بالكتابة.

=

والشاهد فيه: مساواة اللفظ للمعنى المراد.

(والنص) أي: وبالنص.

(على المطلوب) يعني الحياة.

(وما يفيده تنكير حياة من التعظيم لمنعه) أي: منع القصاص اياهم.

(عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد) فحصل لهم في هذا الجنس من الحكم أعني القصاص حيوة عظيمة.

(أو) من النوعية أي لكم في القصاص نوع من الحياة وهي الحياة.

(الحاصلة للمقتولِ) أي: الذي يقصد قتله.

(والقاتل) أي: الذي يقصد القتل.

(بالارتداع) عن القتل لمكان العلم بالاقتصاص.

(واطراده) أي: ويكون قوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة:١٧٩] مطردا إذا الاقتصاص مطلقا سبب للحياة بخلاف القتل فإنه قد يكون انفي للقتل كالذى على وجه القصاص وقد يكون أدعى له كالقتل ظلما.

(وخلوه عن التكرار) بخلاف قولهم فإنه يشتمل على تكرار القتل. ولا يخفى أن الخالى عن التكرار أفضل من المشتمل عليه وأن لم يكن مخلا بالفصاحة.

(واستغنائه عن تقدير محذوف) بخلاف قولهم: فإن تقديره القتل أنفي للقتل من تركه.

(والمطابقة) أي: وباشتماله على صنعة المطابقة وهي الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة كالقصاص والحياة.

(وإيجاز الحذف) عطف على قوله إيجاز القصر.

(والمحذوف إما جزء جملة) عمدة كان أو فضلة.

(مضاف) بدل من جزء جملة.

(نحو: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢]) أي: أهل القرية.

(أو موصوف نحو: [الوافر]

obeikandi.com

أَنا ابِنُ جَلا) وَطَلاعِ الثَنايا   مَتى أَضَعِ العِمامَةَ تَعرِفوني (١)

obeikandl.com

(١) وهذا البيت من قصيدة من الوافر أولها:

أفاطِمَ قبلَ بينكِ متِّعيني .. ومنعُكِ ما سألتُ كأنْ تبيني

يقول فيها أيضا:

فإنَّ عُلالتي وجرَاء حوْلِي .... لذُو شقٍّ عَلى الضرع الظَّنونِ

أنا ابنُ الغرّ من سلفي رياحٍ .. كنصلِ السيفِ وضاح الجبينِ

ويعده البيت، ويعده:

وإنَّ مكانَنا من حِميَريّ ..... مكانُ الليثِ من وَسطِ العرينِ

وكان السبب في قوله هذه الأبيات أن رجلاً أتى الأبيرد الرياحي وابن عمه الأحوص وهما من ردف الملوك من بني رياح يطلب منهما قطراناً لإبله، فقالا له: إن أنت أبلغت سحيم وثيل الرياحي هذا الشعر أعطيناك قطراناً، فقال: قولا، فقالا: اذهب فقال له:

فإن بُداهتي وجراءَ حَوْلِي ... لذو شقٍّ على الحطمِ الحَرُون

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه وانحدر في الوادي يقبل فيه ويدير ويهمهم بالشعر، ثم قال: اذهب فقل لهما، وأنشد الأبيات، قال: فأتياه فاعتذرا فقال: إن أحد كما لا يرى أنه صنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الأزرب فقالا له: فهل إلى النزع من سبيل؟ فقال: إنا لم نبلغ أنسابنا.

وذكر ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء مطلع هذه القصيدة في أبيات أخر، ونسبها للمثقب العبدي، وقال: لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلموه.

والأبيات المارة تقوي أنها لسحيم المذكور، فلعل اتفاقهما في المطلع من باب توارد الخواطر، والله أعلم.

وجلا هنا غير منون لأنه أراد الفعل فحكاه مقدراً فيه الضمير الذي هو فاعل، والفعل إذا سمي به غير منتزع عنه الفاعل لم يكن إلا حكاية، كقول تأبط شراً من الطويل:

كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها .. بني شابَ قرناها تُصَرُّ وتُحْلَبُ

وكقول الشاعر من الرجز:

والله ما زيدٌ بنامَ صاحبهْ .... ولا مخالطِ النِّيامِ جانبهْ

وما أراد أنا ابن الذي جل، وبني التي يقال لها شاب قرناها، ووالله ما زيد بالذي يقال فيه نام صاحبه.

وابن جلا يقال للرجل المشهور: أي ابن رجل قد انكشف أمره، أوجلا الأمور أي كشفها. والثنايا: جمع ثنية، وهي العقبة، يقال: فلان طلاع الثنايا، أي ركاب لصعاب الأمور.

والشاهد فيه: إيجاز الحذف، والمحذوف موصوف، وهو هنا رجل من قوله أنا ابن جلا.

الثنية: العقبة. وفلان طلاع الثنايا أي: ركاب لصعاب الأمور، وقوله: جلا جملة وقعت صفة لمحذوف.

(أي) أنا ابن (رجل جلا) أي: انكشف امره أو كشف الأمور. وقيل: جلا ههنا علم وحذف التنوين باعتبار أنه منقول عن الجملة أعني الفعل مع الضمير لا عن الفعل وحده.

(أو صفة نحو: ﴿ وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف:٧٩]) أي: كل سفينة.

(صحيحة أو نحوها) كسليمة أو غير معيبة.

(بدليل ما قبله) وهو قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ لدلالته على أن الملك كان لا يأخذ المعيبة.

(أو شرط كما مر) في آخر باب الإنشاء.

(أو جواب شرط) وحذفه يكون.

(إما لمجرد الاختصار نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [يس: ٤٥]) فهذا شرط حذف جوابه.

(أي: أعرضوا بدليل ما بعده) وهو قوله تعالى ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [يس: ٤٦].

(أو للدلالة على أنه) أي: جواب الشرط.

(شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن مثالهما ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ [الأنعام: ٢٧]) فحذف جواب الشرط للدلالة على أنه لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن.

(أو غير ذلك) المذكور كالمسند إليه والمسند والمفعول كما مر في الأبواب السابقة وكالمعطوف مع حرف العطف.

(نحو: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ [الحديد:١٠] أي: ومن أنفق من بعده وقاتل بدليل ما بعده) يعني قوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾ [الحديد:١٠].

(وإما جملة) عطف على إما جزء جملة.

فإن قلت: ماذا أراد بالجملة ههنا حيث لم يعد الشرط والجزاء جملة؟

قلت: أراد الكلام المستقل الذي لا يكون جزء من كلام آخر.

(مسببة عن) سبب.

(مذكور نحو: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: ٨]) فهذا سبب مذكور حذف مسببه.

(أي فعل ما فعل أو سبب لمذكور نحو) قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠].

(﴿فَانفَجَرَتْ﴾ إن قدر فضربه بها) فيكون قوله فضر به بها جملة محذوفة هي سبب لقوله فانفجرت.

(ويجوز أن يقدر فإن ضربت بها فقد انفجرت) فيكون المحذوف جزء جملة هو الشرط ومثل هذه الفاء يسمى فاء فصيحة قيل على التقدير الأول وقيل على التقدير الثاني. وقيل على التقديرين.

(أو غيرهما) أي: غير المسبب والسبب.

(نحو: ﴿ فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٨] على ما مر) في بحث الاستئناف من أنه على حذف المبتدأ والخبر على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف.

(وأما أكثر) عطف على إما جملة أي أكثر.

(من جملة) واحدة.

(نحو: ﴿ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ ﴾ [يوسف:٤٥-٤٦]، أي) فأرسلوني.

(إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ففعلوا، فأتاه فقال له: يا يوسف، والحذف على وجهين أن لا يقام شيء مقام المحذوف) بل يكتفى بالقرينة.

(كما مر) في الأمثلة السابقة.

(وأن يقام نحو: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [فاطر:٤]) فقد كذبت ليس جزاء الشرط؛ لأنَ تكذيب الرسل متقدم على تكذيبه بل هو سبب لمضمون الجواب المحذوف أقيم مقامه.

(أي: فلا تحزن واصبر) ثم الحذف لابد له من دليل.

(وأدلته كثيرة منها أن يدل العقل عليه) أي: على الحذف.

(والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف نحو: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾ [المائدة:٣]) فالعقل دل على أن هنا حذفا إذ الاحكام الشرعية إنما تتعلق بالأفعال دون الأعيان والمقصود الأظهر من هذه الأشياء المذكورة في الآية تناولها الشامل للاكل وشرب الألبان فدل على تعيين المحذوف وفي قوله: منها أن يدل أدنى تسامح فكأنه على حذف مضاف.

(ومنها أن يدل العقل عليهما) أي: على الحذف وتعيين المحذوف.

(نحو: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ ﴾ [الفجر:٢٢]) فالعقل يدل على امتناع مجيء الرب تعالى وتقدس ويدل على تعيين المراد أيضا.

(أي: أمره أو عذابه) فالأمر المعين الذي دل عليه العقل هو أحد الأمرين لا أحدهما على التعيين.

(ومنها: أن يدل العقل عليه، والعادة على التعيين نحو: ﴿ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ [يوسف:٣٢]) فإن العقل دل على أن فيه حذفا إذ لا معنى للوم الإنسان على ذات الشخص وأما تعيين المحذوف.

(فإنه يحتمل) أن يقدر.

(وفى حبه لقوله تعالى: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف:٣٠] وفى مراودته لقوله تعالى ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [يوسف:٣٠] وفى شأنه حتى يشملهما) أي: الحب والمراودة.

(والعادة دلت على الثاني) أي: مراودته.

(لأن الحب المفرط لايلام صاحبه عليه في العادة لقهره) أي: الحب المفرط.

(إياه) أي: صاحبه فلا يجوز أن يقدر في حبه ولا في شأنه لكونه شاملا له فيتعين أن يقدر في مراودته نظرا إلى العادة.

(ومنها: الشروع في الفعل) يعني من أدلة تعيين المحذوف لا من أدلة الحذف لأن دليل الحذف ههنا هو أن الجار والمجرور لابد من أن يتعلق بشيء والشروع في الفعل على أنه ذلك الفعل الذي شرع فيه.

(نحو: بسم الله، فيقدر ما جعلت التسمية مبتدأ له) ففى القراءة يقدر بسم الله اقرأ وعلى هذا القياس.

(ومنها) أي: من ادلة تعيين المحذوف.

(الاقتران كقولهم للمعرس بالرفاء والبنين) فإن مقارنة هذا الكلام لأعراس المخاطب دل على تعيين المحذوف.

(أي أعرست) أو مقارنة المخاطب بالأعراس وتلبسه به دل على ذلك، والرفاء هو الالتئام والاتفاق والباء للملابسة.

والإطناب: (إما بالايضاح بعد الإبهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين: أحديهما مبهمة والآخرى موضحة) وعلمان خير من علم واحد.

(أو ليتمكن في النفس فضل تمكن) لما جبل الله النفوس عليه من أن الشيء إذا ذكر مبهما ثم بين كان اوقع عندها.

(أو لتكمل لذة العلم به) أي: بالمعنى لما لا يخفى من أن نيل الشيء بعد الشوق والطلب الذ.

(نحو: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [طه: ٢٥] فإن: ﴿اشْرَحْ لِي﴾ يفيد طلب شرح لشيء ماله) أي: للطالب.

(وصدري يفيد تفسيره) أي: تفسير ذلك الشيء.

(ومنه) أي: ومن الإيضاح بعد الإبهام.

(باب نعم على أحد القولين) أي: قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف.

(إذ لو أريد الاختصار) أي: تلك الإطناب.

(كفى نعم زيد) وفى هذا اشعار بأن الاختصار قد يطلق على ما يشتمل المساواة أيضا.

(ووجه حسنه) أي: حسن باب نعم.

(سوى ما ذكر) من الإيضاح بعد الإبهام.

(إبراز الكلام في معرض الاعتدال) من جهة الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام والإيجاز بحذف المبتدأ.

(وإيهام الجمع بين المتنافيين) أي: الإيجاز والإطناب. وقيل: الإجمال والتفصيل، ولا شك أن إيهام الجمع بين المتنافيين من الأمور المستغربة التي تستلذ بها النفس وإنما قال: إيهام الجمع؛ لأن حقيقة جمع المتنافيين أن يصدق على ذات واحدة وصفان يمتنع اجتماعهما على شيء واحد في زمان واحد من جهة واحدة وهو محال.

(ومنه) أي: من الإيضاح بعد الإبهام.

(التوشيع وهو) في اللغة لف القطن المندوف وفى الاصطلاح:

(أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين ثانيهما معطوف على الأول نحو يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل، وإما بذكر الخاص بعد العام) عطف على قوله إما بالايضاح بعد الإبهام. والمراد الذكر على سبيل العطف.

(للتنبيه على فضله) أي: مزية الخاص.

(حتى كأنه ليس من جنسه) أي: العام.

(تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات) يعني أنه لما امتاز عن سائر أفراد العام بماله من الأوصاف الشريفة جعل كأنه شيء آخر مغاير للعأم لا يشمله العام ولا يعرف حكمه منه.

(نحو ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]) أي: الوسطى من الصلوات أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وهي صلاة العصر عند الاكثر.

(وأما بالتكرير لنكتة) ليكون إطنابا لا تطويلا وتلك النكتة.

(كتأكيد الإنذار في ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:٣،٤]). فقوله: ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الانهاك في الدنيا وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه وأن لا يهتم بدينه، و﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إنذار وتخويف أي سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول المحشر وفى تكريره تأكيد للردع والإنذار.

(وفى ثم) دلالة.

(على أن الإنذار الثاني أبلغ) من الأول تنزيلا لبعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعمالا للفظ ثم في مجرد التدريج في درج الارتقاء.

(وإما بالإيغال) من: (أوغل في البلاد) إذا أبعد فيها واختلف في تفسيره.

(فقيل: هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة في قولها) أي: في قول الخنساء في مرثية أخيها صخر:

(وإن صخرًا لتأتم) أي: يقتدى.

(الهداة به كأنه علم) أي: جبل مرتفع.

(في رأسه نار)[1] فقولها: كأنه علم واف بالمقصود أعني التشبيه بما يهتدى به إلا أن في قولها في رأسه نار زيادة مبالغة.

---

(١) البيت للخنساء، من مرثية في أخيها صخر، وهي قصيدة من البسيط، أولها:

(وتحقيق) أي: وكتحقيق التشبيه في قول امرئ القيس: [الطويل]

(كَأَنَّ عُيونَ الوَحشِ حَولَ خِبائِنا)

أي: خيامنا.

(وَأَرجُلِنا الجَزعَ الَّذي لَم يُثَقَّبِ)(١)

=

قذًى بعينكِ أم بالعين عُوّارُ ... أم ذرّفت إذ خلتْ من أهلها الدارُ
كأنَّ عيني لذكراهُ إذا خطرَتْ .... فيضٌ يسيل على الخدين مدرارُ
تبكي خناسُ على صخر وحُق لها .. إذ رأبها الدهرُ إنَّ الدهر ضرّارُ
تبكي لصخر هي العبر وقد ثكلت .. ودونهُ من جديد الترب أستارُ
لا بدّ من ميتةٍ في صرفها غيرٌ .... والدهرُ في صرفهِ حولٌ وأطوارُ
يا صخرُ وَارد ماء قدْ تناذرهُ .... أهلُ الموارِدِ ما في وِردِهِ عارُ
مشى السبنتيَ إلى هيجاء معضلة .... لهُ سِلاحان أنياب وأظفار
فما عجول على بوٌ تُطيفُ بهِ .... لها حَنينانِ إصغار وإكبَارُ
ترعى إذا نَسِيت حتى إذا ذكرتْ .... فإنما هِيَ إقبال وَإدبارُ
لا تسمنُ الدهرَ في أرض وإن رُبعتْ .. فإنما هِيَ تَحْنَان وتسجارُ
يوماً بأوجدَ مني حينَ فارَقني .... صخر وللدهر إحلاء ومرار
وإنّ صَخراً لوالينا وسيدُنا .... وإنَّ صَخراً إذاَ نشتو لنحّارُ

وبعده البيت، وبعده:

لمْ ترَهُ جارة يمشي بساحتها .... لريبةٍ حينَ يُخلِي بيتَهُ الجارُ
وَلا ترَاهُ وما في البيت يأكلهُ .... لكنهُ بارز بالصحن مِهمَارُ
مِثلُ الرُّدَينيّ لم تنفد شبيبتهُ .... كأنه تحتَ طيِّ البرْدِ أسوارُ
فِي جوف رمسٍ مقيم قدْ تضمنهُ ..... فِي رمسِهِ مقمَطرَّات وأحجَارُ
طلقُ اليدجين بفعلِ الخير ذو فجر .. ضخم الدسيعة بالخيرات أمّارُ

والعلم: الجبل الطويل، وقيل: هو عام في كل جبل.

والشاهد فيه: زيادة المبالغة في الإيغال، وهو قولها في رأسه نار، فإن قولها علم واف بالمقصود، وهو تشبيهه بما هو معروف بالهداية، لكنها أتت بالتتمة إيغالاً وزيادة للمبالغة.

(١) البيت لامرئ القيس، من قصيدة من الطويل أولها:

خَليلَيَّ مُرّا بي على أمّ جُندب .. لِنقضيَ حاجاتِ الفؤادِ المُعذَّبِ
فإنكما أن تَنظرانيَ ساعةً .... مِنَ الدَّهر تَنفعني لدَى أمّ جُندبِ

الجزع بالفتح: الخرز اليماني الذي فيه سواد وبياض، شبه به عيون الوحش، وأتى بقوله لم يثقب تحقيقا للتشبيه؛ لأنه إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعين.

قال الأصمعي: الظبى والبقرة إذا كانا حيين، فعيونهما كلها سواد فإذا ما تا بدا بياضها وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما ماتت والمراد كثرة الصيد يعني مما أكلنا كثرت العيون عندنا كذا في شرح ديوان امرئ القيس، فعلى هذا التفسير يختص الإيغال بالشعر.

=

أَلم ترياني كلَّما جِئتُ طارقاً ..... وَجدتُ بِها طِيباً وَإنْ لم تَطيَّبِ
عَقيلة أَخْدَانٍ لها لاَ ذَميمةٌ .. وَلا ذَاتُ خَلْقٍ إن تأملتَ جَانَّبِ

إلى أن يقول فيها:

وَقلتُ لِفتيانٍ كِرَام إلا أنزلوا .. فَعالوا عَلينا فَضلَ بُردٍ مُطنَّبِ
فَفِئْنا إلى بَيت بعلياء مُرْدَحٍ .... سماوتهُ منْ أتْحميٍّ مُعَصَّبِ
وَأَوتادهُ عاديَّة وعِمادهُ .... رُدينية فِيها أسِنةُ قَعضبِ
فَلما دَخلناه أَضَفنا ظُهورَنا .... إلى كلِّ حاريٍّ جَدِيدٍ مُشطبِ
فَظَلَ لنَا يومٌ لَذِيذٌ بِنعمةٍ .... فَقل في مَقيل نحْسُه مُتغيب

وبعده البيت، وبعده:

نمشيٌّ بأعرافِ الجِياد أَكُفَّنا .. إِذَا نحنُ قُمنا عنَّ شِواءِ مُضَّهبِ

وهي طويلة.

قال الأصمعي: الظبي والبقرة إذا كانا حيين فعيونهما كلها سود، فإذا ما تأبدا بياضها، وإنما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ما موتت، والمراد كثرة الصيد، يعني مما أكلناه كثرت العيون عندنا، كذا في شرح ديوان امرئ القيس، وبه يتبين بطلان ما قيل: إن المراد أنها قد طالت مسايرتهم حتى ألفت الوحوش رحالهم وأخبيتهم.

والشاهد فيه: تحقيق التشبيه في الإيغال؛ لأنه شبه عيون الوحش بالجزع وهو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليماني الصيني في سواد وبياض تشبه به عيون الوحش، لكنه أتى بقوله لم يثقب إيغالاً وتحقيقاً للتشبيه، لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون.

وقد اشتمل هذا البيت على نوع من أنواع البديع يسمى التبليغ والتتميم، ويسمى الإيغال أيضا، وهو: أن يتم قول الشاعر دون مقطع البيت ويبلغ به القافية، فيأتي بما يتمم به المعنى ويزيد في فائدة الكلام، لأن للقافية محلاً من الأسماع والخواطر، فاعتناء الشاعر بها آكد، ولا شيء أقبح من بنائها على فضول الكلام الذي لا يفيد.

(وقيل: لا يختص بالشعر) بل هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها.

(ومثل لذلك) في غير الشعر.

(بقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢٠-٢١]) فقوله وهم مهتدون مما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد لا محالة إلا أن فيه زيادة حث على الاتباع وترغيب في الرسل.

(وأما بالتذييل وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى يشتمل على معناها) أي: معنى الجملة الأولى.

(للتأكيد) فهو أعم من الإيغال من جهة أنه يكون في ختم الكلام وغيره وأخص من جهة أن الإيغال قد يكون بغير الجملة ولغير التأكيد.

(وهو) أي: التذييل.

(ضربان ضرب لم يخرج مخرج المثل بأن لم يستقل بإفادة المراد) بل يتوقف على ما قبله.

(نحو: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧] على وجه) وهو أن يراد وهل نجازي ذلك الجزاء المخصوص إلا الكفور، فيتعلق بما قبله وأما على الوجه الآخر، وهو أن يراد وهل نعاقب إلا الكفور بناء على أن المجازاة هي المكافاة أن خيرا فخيرا وأن شرا فشرا فهو من الضرب الثاني.

(وضرب أخرج مخرج المثل) بأن يقصد بالجملة الثانية حكم كلي منفصل عما قبله جار مجرى الأمثال في الاستقلال وفشوا الاستعمال.

(نحو: ﴿ وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١] وهو أيضا) أي: التذييل ينقسم قسمة أخرى واتى بلفظة أيضا تنبيها على أن هذا التقسيم للتذييل مطلقا لا للضرب الثاني منه.

(إما) أن يكون.

(لتأكيد منطوق كهذه الآية) فإن زهوق الباطل منطوق في قوله وزهق الباطل.

(وإما لتأكيد مفهوم كقوله: ولست) على لفظ الخطاب.

(بمستبق أخا لا تلمه) حال من أخا لعمومه أو من ضمير المخاطب في لست.

(على شعث) أي: تفرق حال وذميم خصال فهذا الكلام دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال وقد اكده بقوله.

(أي الرجال المهذب)[1] استفهام بمعنى الإنكار أي ليس في الرجال منقح الفعال مرضي الخصال.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، من قصيدة من الطويل يخاطب بها النعمان:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لاَ تَلُمُّهُ ..... عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ

أولها:

أرسماً جديداً من سعاد تجنّبُ .. عفت روضة الأجداد منها فيثقُبُ
عفا آيَهُ نسجُ الجنوب مع الصَّبا .... وأسحمُ دانٍ مزنُه متصوِّبُ

يقول فيها أيضا:

فلا تتركنِّي بالوعيد كأنني .... إلى الناس مطليٌّ به القارُ أجرب
ألم ترَ أن الله أعطاك سَوْرَةً .... يُرى كل مَلك دونها يتذبذب
فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ .. إذا طلت لم يبد منهن كوكب

وبعده البيت، وبعده:

فإن يكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمتَهُ .. وإن تكُ ذا عُتْبي فمثلك يُعتبُ
أتاني أبيتَ اللعنَ أنكَ لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصبُ

والشعث: انتشار الأمر. والمهذب: المنقح الفعال المرضي الخصال والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تلمه، ولا تصلحه على تفرق وذميم خصال.

ذكرت هنا قول الشاعر، معارضاً للنابغة في هذا البيت، وهو من الطويل:

ألومُ زياداً في ركاكة عقله .... وفي قوله أيُّ الرجال المهذب
وهل يحسنُ التهذيبُ منكَ خلائقاً .. أرقُّ من الماء الزلال وأطيب
تكلمَ والنعمانُ شمسُ سمائه .... وكل مليك عند نعمانَ كوكبُ
ولو أبصرتْ عيناه شخصك مرةً .. لأبصرَ منهُ شمسَهُ وهو غيهَبُ

وهذا نوع من البديع، يسمى التوليد، وسيأتي الكلام على شيء منه في الفن الثالث إن شاء الله تعالى.

والشاهد فيه: التذييل لتأكيد مفهوم، فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال، وعجزه تأكيد لذلك وتقرير، لأن الاستفهام فيه إنكاري: أي لا مهذب في الرجال.

obeikandi.com

(وإما بالتكميل ويسمى الاحتراس أيضا) لأن فيه التوقي والاحتراز عن توهم خلاف المقصود.

(وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه) أي: يدفع إيهام خلاف المقصود وذلك الدافع قد يكون في آخر الكلام فالأول.

(كقوله: فسقى ديارك غير مفسدها) نصب على الحال من فاعل سقى وهو.

(صوب الربيع) أي: سقى نزول المطر ووقوعه في الربيع.

(وديمة تهمي)[1] أي: تسيل فلما كان نزول المطر قد يؤل إلى خراب الديار وفسادها أتى بقوله: غير مفسدها دفعا لذلك.

(و) الثاني:

---

(١) البيت لطرفة بن العبد، من قصيدة من الكامل يمدح بها قتادة بن مسلمة الحنفي وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم، وأولها:

إن امرأً سَرِفَ الفؤادِ يرى .... عَسَلاً بماء سحابة شَتْمِي
وأنا امرؤ أكوى من القصر الـ ... ـبادي وأغشى الدُّهمَ بالدهم
وأصيبُ شاكلة الرَّمية إذ .... صدّت بصفحتها عن السهم
وأُجِرُّ ذا الكفل القَناةَ على .... أنسائه فيظل يَستدمي
وتَصد عنك مَخيلةُ الرَّجل الـ..... ـعريض موضِحةً عن العَظمِ
بحُسام سيفك أو لِسانكَ والـ... ـكلِمُ الأصيلُ كأرغَبِ الكَلْمِ
أبلغ قتادةَ غيرَ سائلِهِ .... مني الثوابَ وعاجِلَ الشكم
إني حَمَدتُكَ للعشيرةِ إذ .... جاءت إليك مُرِقة العَظم
ألقوْا إليك بكل أرْمَلةٍ .... شعثاء تحمل مُنْقِعَ البرم
وفتحْتَ بابكَ للمكارم حيـ...... ـنَ تواصَتِ الأبوابُ بالأزم

وبعده البيت وهو آخرها.

وصوب الربيع: نزول المطر ووقعه في الربيع. والديمة: مطر يدوم في سكون لا رعد ولا برق أو يدوم خمسة أيام أو ستة أو سبعة أو يدوم يوماً وليلة و أقله ثلاث النهار أو الليل وأكثره ما بلغت، وجمعها ديم وديوم.

ومعنى تهمى: تسيل.

والشاهد فيه: التكميل، ويسمى الاحتراس أيضا، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، وهو هنا قوله غير مفسدها فإن نزول المطر قد يكون سبباً لخراب الدنيا وفسادها، فدفع ذلك بتوسط قوله غير مفسدها.

(نحو: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾) فإنه لما كان مما يوهم أن يكون ذلك لضعفهم دفعه بقوله.

(﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]) تنبيها على أن ذلك تواضع منهم للمؤمنين؛ ولهذا عدى الذل بـ(على) لتضمنه معنى العطف ويجوز أن يقصد بالتعدية بعلى الدلالة على أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم.

(وإما بالتتميم وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة) مثل مفعول أو حال أو نحو ذلك مما ليس بجملة مستقلة ولا ركن كلام.

ومن زعم أنه أراد بالفضلة ما يتم أصل المعنى بدونه فقد كذبه كلام المصنف في الإيضاح وأنه لا تخصيص لذلك بالتتميم.

(لنكتة كالمبالغة نحو ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ [الإنسان:٨] في وجه) وهو أن يكون الضمير في حبه للطعام.

(أي) ويطعمون.

(مع حبه) والاحتياج إليه، وإن جعل الضمير لله تعالى أي يطعمونه على حب الله فهو لتأدية أصل المراد.

(وإما بالاعتراض وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام) لم يرد بالكلام مجموع المسند إليه والمسند فقط بل مع جميع ما يتعلق بهما من الفضلات والتوابع. والمراد باتصال الكلامين أن يكون الثاني بيانا للأول أو تأكيدا أو بدلا منه.

(كالتنزيه في قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل:٥٧]) فقوله سبحانه جمله؛ لأنه مصدر بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام لأن قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾.

(والدعاء في قوله:

opeikandi.com

إن الثمانين وبلغتهـــا قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[1]

أي: مفسر ومكرر فقوله: بلغتها اعتراض في أثناء الكلام لقصد الدعاء والواو في مثله تسمى واو اعتراضية ليست بعاطفة ولا حالية.

---

(١)البيت لعوف بن محلم الشيباني، من قصيدة من السريع، قالها لعبد الله بن طاهر، وكان قد دخل عليه فسلم عليه عبد الله فلم يسمع، فأعلم بذلك، فدنا منه، ثم ارتجل هذه القصيدة، وأولها:

يا ابنَ الذِي دانَ له المشرقانْ .. طُرّاً وقدْ دانَ له المغربانْ

وبعده البيت، وبعده:

وبدَّلَتْني بالشَّطاط انحنا .. وكنتُ كالصَّعدة تحت السِّنانْ
وعوَّضتني منْ زماع الفتى ..... وهمتي همَّ الجبان الهِدَنْ
وقارَبتْ مني خُطاً لم تكن ..... مقارِباتٍ وثنتْ منْ عنانْ
وأنشأتْ بيني وبين الوَرَى .. سحابةً لَيستْ كنسجِ العنان
ولم تدعْ فيَّ لِمستمتـــــعٍ ...... إلاَّ لساني وبحسبي لِسان
أدْعو بِهِ الله وأُثني بـــــهِ .. على الأمير المُصعَبِيِّ الهِجان
وهِمتُ بالأوْطان وجداً بها .. وبالغوانِي، أينَ مِني الغوان؟
فقرِّبـــــاني، بأبِي أنتما! .. مِنْ وطني قبلَ اصفرار البنان
وقبلَ مَنعايَ إلى نِســــوةٍ .... مَسكنُهـــا حرَّان والرَّقتان
سقى قُصورَ الشاذياخ الحَيا . منْ بعدِ عهدِي وقصورَ الميان
فكم وكم منْ دَعوةٍ لي بها .... أنْ تتخطاها صُروفَ الزَّمان

والترجمان يقال بضم تائه وجيمه، وفتحهما، وفتح التاء وضم الجيم، وهو المفسر للسان، يقال: ترجمه، وعنه، والفعل يدل على أصالة التاء.

ولقد أجاد الغزي في تضمينه صدر البيت بقوله من السريع:

طُولُ حياةٍ ما لها طائلٌ ... تُغصِّ عندِي كلَّ ما يُشتهي
أصبحتُ مثلَ الطِّفل في ضعفهِ .. تشابهَ المبدأُ والمُنتهى
فلاَ تَلُـــمْ سَمعي إذا خانني .. إنَّ الثمانينَ وبُلغتهـــا

ولطيف قول الشهاب المنصوري رحمه الله من السريع:

نحو ثمانينَ منَ العمر قدْ ...... قَطعْتها مثلَ عقود الجمانْ
ما أحوجتْ يوماً يميني إلى .. عصاً ولا سَمْعي إلى ترجمان

والشاهد فيه: الاعتراض، ويسمى: الالتفات، وهو: أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كالمين متصلين معنى، بجملة أو أكثر لا محال لها من الأعراب، لنكتة سوى دفع الإيهام، وهو هنا الدعاء في قوله وبلغتها لأنها جملة معترضة بين اسم إن وخبرها، والوار فيه اعتراضية: ليست عاطفة، ولا حالية.

(والتنبيه في قوله: واعلم فعلم المرء ينفعه) هذا اعتراض بين اعلم ومفعوله وهو.

(أن سوف يأتي كل ما قدرا)[1] أن هي المخففة من المثقلة وضمير الشأن محذوف يعني أن المقدورات البتة تأتى وأن وقع فيه تأخير ما.

وفى هذا تسلية وتسهيل للأمر فالاعتراض يباين التتميم؛ لأنه إنما يكون بفضلة والفضلة لابد لها من إعراب ويباين التكميل لأنه إنما يقع لدفع إيهام خلاف المقصود ويباين الإيغال لأنه لا يكون إلا في آخر الكلام لكنه يشمل بعض صور التذييل، وهو ما يكون بجملة لا محل لها من الإعراب وقعت بين جملتين متصلتين معنى لأنه كما لم يشترط في التذييل أن يكون بين كلامين لم يشترط فيه أن لا يكون بين كلامين فتأمل حتى يظهر لك فساد ما قيل إنه يباين التذييل بناء على أنه لم يشترط فيه أن يكون بين كلامين متصلين معنى.

(ومما جاء) أي: ومن الاعتراض الذي وقع.

(بين كلامين) متصلين.

(وهو أكثر من جملة أيضا) أي: كما أن الواقع بينهما هو أكثر من جملة.

(نحو قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]) فهذا اعتراض أكثر من جملة لأنه كلام يشتمل على جملتين وقع بين كلامين اولهما قوله فأتوهن من حيث امركم الله وثانيهما قوله.

(﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]) والكلامان متصلان معنى.

---

(١) البيت من السريع، وأنشده أبو علي الفارسي، ولم يعزه إلى أحد:

واعْلَمْ فَعلمُ المرءِ يَنْفَعهُ .. أن سَوْفَ يأتي كل ما قُدِرا

وأن هنا مخففة من الثقيلة، وضمير الشأن محذوف، يعني أن المقدور آت لا محالة وإن وقع فيه تأخير. وفي هذا تسلية وتسهيل للأمر.

والشاهد فيه: الاعتراض بالتنبيه، وهو قوله فعلم المرء ينفعه وهو جملة معترضة بين اعلم ومعموليه، والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية. وانظر معاهد التنصيص ١ / ١٢٥.

(فإن قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] بيان لقوله: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]) وهو مكان الحرث؛ فإن الغرض الأصلي من الاتيان طلب النسل لا قضاء الشهوة والنكتة في هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا به والتنفير عما نهوا عنه.

(وقال قوم: قد تكون النكتة فيه) أي: في الاعتراض.

(غير ما ذكر) مما سوى دفع الإيهام حتى أنه قد يكون لدفع إيهام خلاف المقصود.

(ثم) القائلون بأن النكتة فيه قد تكون لدفع الإيهام افترقوا فرقتين.

(جوز بعضهم وقوعه) أي: الاعتراض.

(في آخر جملة لا تليها جملة متصلة بها) وذلك بأن لا تلي الجملة جملة أخرى أصلا فيكون الاعتراض في آخر الكلام أو تليها جملة أخرى غير متصلة بها معنى.

وهذا الاصطلاح مذكور في مواضع من "الكشاف" فالاعتراض عند هؤلاء أن يؤتى في أثناء الكلام أو في آخره أو بين كلامين متصلين أو غير متصلين بجملة أو أكثر لامحل لها من الإعراب لنكتة سواء كانت دفع الإيهام أو غيره.

(فيشمل) أي: الاعتراض بهذا التفسير.

(التذييل) مطلقا لأنه يجب أن يكون بجملة لا محل لها من الإعراب وأن لم يذكره المصنف.

(وبعض صور التكميل) وهو ما يكون بجملة لا محل لها من الإعراب فإن التكميل قد يكون بجملة وقد يكون بغيرها والجملة التكميلية قد تكون ذات إعراب وقد لا تكون لكنها تباين التتميم لأن الفضلة لابد لها من إعراب.

وقيل: لأنه لا يشترط في التتميم أن يكون جملة كما اشترط في الاعتراض وهو غلط كما يقال إن الإنسان يباين الحيوان لأنه لم يشترط في الحيوان النطق فافهم.

(وبعضهم) أي: وجوز بعض القائلين بأن نكتة الاعتراض قد تكون لدفع الإيهام.

obeikandl.com

(كونه) أي: الاعتراض.

(غير جملة) فالاعتراض عندهم أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو غيرها لنكتة ما.

(فيشمل) الاعتراض بهذا التفسير.

(بعض صور التتميم و) بعض صور.

(التكميل وهو) ما يكون واقعا في أثناء الكلام أو بين الكلامين المتصلين.

(وأما بغير ذلك) عطف على قوله إما بالايضاح بعد الإبهام وإما بكذا وكذا.

(كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [غافر:٧]، فإنه لو اختصر) أي: ترك الإطناب فإن الاختصار قد يطلق على ما يعم الإيجاز والمساواة كما مر.

(لم يذكر: (ويؤمنون به) لأن إيمانهم لا ينكره) أي: لا يجهله.

(من يثبتهم) فلا حاجة إلى الإخبار به لكونه معلوما.

(وحسن ذكره) أي: ذكر قوله ويؤمنون به.

(إظهارا لشرف الإيمان وترغيبا فيه) وكون هذا الإطناب بغير ما ذكر من الوجوه السابقة ظاهر بالتأمل فيهم.

(واعلم أنه قد يوصف الكلام بالايجاز والإطناب باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساو له) أي: لذلك الكلام.

(في أصل المعنى) فيقال للاكثر حروفا أنه مطنب وللاقل أنه موجز.

(كقوله: يَصُدُّ) أي: يعرض.

(عَنِ الدُنيا إِذا عَنَّ) أي: ظهر.

(سُؤدُدٌ)(١) أي: سيادة.

وَلَو بَرَزَت في زِيِّ عَذراءَ ناهِدِ

الزي: الهيئة. والعذراء: البكر. والنهود: ارتفاع الثدى.

(وقوله: وَلست) بالضم على أنه فعل المتكلم بدليل ما قبله وهو قوله:

وإني لَصبَّارٌ على ما ينوبني وَحسبكَ أن الله أثنى على الصبر

---

(١) هو من الطويل، وتمامه:

ولو برزَتْ في زِيِّ عذراءَ ناهِدِ

وقائله أبو تمام من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم، أولها:

قفوا جدِّدوا من عهدكم بالمعاهِدِ ..... وإن هي لم تَسمع لِنِشدان ناشِدِ

لقد أطرق الربع المحيلُ لفقدهم .... وبَيْنهمُ إطراقَ ثكْلان فاقد

وأبقَوْا لضيف الشوقِ منِّيَ بعدهم .. قرى من جَوًى سارٍ وطيفٍ معاود

سقته ذعافاً عَادة الدهر فيهمُ .... وسم الليالي فوق سم الأساود

به علة صماء للبين لم تُصخ .... لبرءٍ ولم توجِبْ عيادةَ عائد

وفي الكِلَّةِ الورديَّةِ اللون جؤذر .... من العينِ وردي الخدود المجاسد

رمته بخلف بعد ما عاش حِقْبةً .... له رَسَفَانٌ في قيود المواعد

غدَتْ مُغْتَدَي الغضبي وأوصت خيالها . بهجران نِضْوِ العيس نِضْو الخرائد

وقالتْ نكاحُ الحب يفسد شكلهُ .... وكم نكحوا حباً وليسَ بفاسد

وهي طويلة، يقول في مديحها:

هُم حسدوهُ لا مَلُومينَ مجدَهُ .. وما حاسد في المكرُمَات بحاسد

قَراني اللُّهى والوُدَّ حتى كأنما ..... أفادَ الغني من نائلي وفوائدي

فأصبحتُ يلقاني الزمانُ مِنَ أجلهِ .. بإعظام مولود وإشفاق والدِ

وبعده البيت، وبعده:

إذا المرءُ لم يزهدْ وَقد صُبِغَتْ لهُ .. بعصفُرِها الدنيا فليس بزاهد

فوَا كَبِدِي الحَرَّي ووا كَبِدَ النوَى ...... لأيامهِ لو كنَّ غيرَ بوائدِ

وَهيهاتَ ما ريبُ الزمانِ بمِخْلِدٍ .. غريباً ولا ريبُ الزمان بخالد

والزاي بكسر الزاي الهيئة. والعذراء: البكر. والناهد: التي نهد ثديها، أي ارتفع.

والشاهد فيه: وصفه بالإيجاز بالنسبة إلى كلام آخر مساوله في أصل المعنى، وهو البيت الآتي بعده، وهو: إذا المرء لم يزهد.. إلخ.

(بنظّار إلى جانِب الغِني   إذا كانَت العَلياء في جانِب الفَقرِ) [1]

يصفه بالميل إلى المعالي يعني أن السيادة مع التعب أحب إليه من الراحة مع الخمول.

فهذا البيت إطناب بالنسبة إلى المصراع السابق.

(ويقرب منه) أي: من هذا القبيل.

(قوله تعالى ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقول الحماسي: [الطويل]

وَنُنكِرُ إن شِئنا عَلى الناسِ قَولَهُم   وَلا يُنكِرونَ القَولَ حينَ نَقولُ [2]

---

(١) البيت من الطويل، وهكذا رويته، وإن كان في التلخيص بلفظ نظار بدل ميال. وقائله المعذل بن غيلان أبو عبد الصمد، أحد الشاعرين المشهورين، روى ذلك عنه الأخفش عن المبرد، ومحمد بن خلف المرزبان عن الربعي، وبعد البيت:

وإني لَصبَّارٌ على ما ينوبني .. وَحسبكَ أن الله أثنى على الصبر

ورواه صاحب الدر الفريد، لأبي سعيد المخزومي، يخاطب به امرأته، وأول الأبيات:

ثِقِي بجميل الصبرِ مني على الهَجْرِ .. ولا تثقي بالصبر مني على الهَجْرِ

وأراد بالغنى مسببه، أعني الراحة، وبالفقر المحنة، يعني أن السيادة مع التعب والمشقة أحب إليه من الراحة والدعة بدونها.

والشاهد فيه: وصفه بالإطناب بالنسبة إلى مصراع أبي تمام، لأنه مساوٍ له في أصل المعنى مع قلة حروفه.

(٢) البيت للسموأل بن عادياء اليهودي من قصيدة من الطويل، أولها:

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللؤم عرضُه .... فكل رداء يرتديه جميلُ

وإنْ هُوَ لم يحمل على النفس ضَيْمَهَا .. فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

تُعيِّرنا أنا قليل عديدُنا .... فقلت لها إن الكرام قليلُ

وما قَلَّ مَنْ كانت بقاياه مثلنا .... شباب تسامت للعلا وكهولُ

وإنا لَقَوْمٌ لا نرى القتل سُبة .... إذا ما رأته عامر وسلول

يقربُ حبُّ الموتِ آجالَنَا لنا .... وتكرههُ آجالهُمْ فتطولُ

وما ماتَ منَّا سيِّدٌ في فِراشهِ .... ولا طُلَّ منّا حيثُ كانَ قتيلُ

تَسيلُ على حدِّ الظُّبات نفوسُنَا .... وليس على غير السُّيوف تسيلُ

إلى أن يقول فيها:

فنحنُ كماءِ المُزن ما في نِصالنا .. كَهَامٌ ولا فِينا يعدُّ بخيلُ

يصف رئاستهم ونفاذ حكمهم، أي نحن نغير ما نريد من قول غيرنا واحد لا يجسر على الاعتراض علينا فالآية إيجاز بالنسبة إلى البيت.

وإنما قال: يقرب؛ لأن ما في الآية يشمل كل فعل والبيت مختص بالقول فالكلامان لا يتساويان في أصل المعنى بل كلام الله سبحانه وتعالى أجل وأعلى وكيف لا، والله أعلم.

تم الفن الأول بعون الله وتوفيقه وإياه أسأل في إتمام الفنين الآخرين هداية طريقه.

=

وبعده البيت، وبعده:

إِذا سيدٌ منَّا خلاَ قامَ سيدٌ ..... قؤولٌ لما قالَ الكرامُ فَعُولُ
وَما أُخمِدتْ نارٌ لنا دُون طارق .. ولا ذمَّنا في النَّازلينَ نَزيلُ
وأيامُنا مشهورَةٌ في عدُونا .... لها غُرَر معرُوفة وحُجُولُ
وأسْيافُنَا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ . بها منْ قِراع الدَّارعينَ فلولُ
مُعَوَّدة أنْ لا تُسلَّ نِصالها .... فتغمدَ حتى يُستباحَ قتيلُ
سلي إنْ جهلتِ النَّاسَ عنّا وعنهمُ . فليسَ سواءً عالم وجهولُ

ومعنى البيت: إنا نغير ما نريد تغييره من قول غيرنا، ولا يجسر أحد على الاعتراض علينا انقيادا لهوانا واقتداء بحزمنا. يصف رياستهم، ونفاذ حكمهم، ورجوع الناس في المهمات إلى رأيهم.

والشاهد فيه: وصفه بالأطناب بالنسبة إلى قوله تعالى " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " ووصف الآيات الكريمة بالإيجاز بالنسبة إليه.

وفي قوله من القصيدة وإنا لقوم لا نرى القتل سبة البيت، نوع من البديع يسمى الاستطراد، وهو: أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شيء وهو أنما يريد غيره.

والسموأل: هو ابن غريض بن عادياء، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكري، عن الطوسي وأبي حبيب، وذكر أن الناس يدرجون غريضاً في النسب وينسبونه إلى عادياء جده، وقال عمرو بن شبية: هو السموأل ابن عادياء، ولم يذكر غريضاً، وقد قيل: إن أمه كانت من غسان، وكلهم قال: إنه صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، وقيل: بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان هذا الحصن لجده عادياء واحتفر فيه بئراً عذبة روية، وقد ذكرته الشعراء في أشعارها

الفن الثاني

علم البيان

قدمه على البديع للاحتياج إليه في نفس البلاغة، وتعلق البديع بالتوابع.

(وهو علم) أي: ملكة يقتدر بها على إدراكات جزئية أو اصول وقواعد معلومة.

(يعرف به إيراد المعنى الواحد) أي: المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال.

(بطرق) وتراكيب.

(مختلفة في وضوح الدلالة عليه) أي: على ذلك المعنى بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة عليه وبعضها أوضح والواضح خفي بالنسبة إلى الأوضح فلا حاجة إلى ذكر الخفاء. وتقيد الاختلاف بالوضوح ليخرج معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في اللفظ والعبارة. واللام في المعنى الواحد للاستغراق العرفي أي كل معنى واحد يدخل تحت قصد المتكلم وارادته فلو عرف أحد إيراد معنى قولنا زيد جواد بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالما بالبيان ثم لما لم يكن كل دلالة قابلا للوضوح والخفاء أراد أن يشير إلى تقسيم الدلالة وتعيين ما هو المقصود ههنا فقال:

(ودلالة اللفظ) يعني دلالته الوضعية. وذلك لأن الدلالة هي كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والأول الدال والثاني المدلول. ثم الدال أن كان لفظا فالدلالة لفظية وإلا فغير لفظية كدلالة الخطوط والعقود والاشارات والنصب. ثم الدلالة اللفظية إما أن يكون للوضع مدخل فيها أو لا فالأولى هي المقصودة بالنظر ههنا وهي كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى عند الإطلاق بالنسبة إلى العالم بوضعه، وهذه الدلالة.

(إما على تمام ما وضع) اللفظ.

(له) كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق.

(أو على جزئه) كدلالة الإنسان على الحيوان أو الناطق.

(أو على خارج منه) كدلالة الإنسان على الضاحك.

(وتسمى الأولى) أي: الدلالة على تمام ما وضع له.

(وضعية) لأن الواضع إنما وضع اللفظ لتمام المعنى.

(و) يسمى (كل من الأخيرتين) أي: الدلالة على الجزء والخارج.

(عقلية) لأن دلالة اللفظ على كل من الجزء والخارج إنما هي من جهة حكم العقل بأن حصول الكل أو الملزوم يستلزم حصول الجزء أو اللازم والمنطقيون يسمون الثلاثة وضعية باعتبار أن للوضع مدخلا فيها ويخصون العقلية بما يقابل الوضعية والطبيعية كدلالة الدخان على النار.

(وتقيد الأولى) من الدلالات الثلاث.

(بالمطابقة) لتطابق اللفظ والمعنى.

(والثانية بالتضمن) لكون الجزء في ضمن المعنى الموضوع له.

(والثالثة بالالتزام) لكون الخارج لازما للموضوع له.

فإن قيل: إذا فرضنا لفظا مشتركا بين الكل وجزئه وبين الملزوم لازمه كلفظ الشمس المشترك مثلا بين الجرم والشعاع ومجموعهما، فإذا اطلق على المجموع مطابقة واعتبر دلالته على الجرم تضمنا والشعاع التزاما فقد صدق على هذا التضمن والالتزام أنها دلالة اللفظ على تمام الموضوع له وإذا اطلق على الجرم أو الشعاع مطابقة صدق عليها أنها دلالة اللفظ على جزء الموضوع له أو لازمه وحينئذ ينتقض تعريف كل من الدلالات الثلاث بالآخريين.

فالجواب: أن قيد الحيثية مأخوذ في تعريف الأمور التي تختلف باعتبار الإضافات حتى أن المطابقة هي الدلالة على تمام ما وضع له من حيث إنه تمام الموضوع له والتضمن هي الدلالة على جزء ما وضع له من حيث إنه جزء ما وضع له والالتزام هي الدلالة على لازمه من حيث إنه لازم ما وضع له وكثيرا ما يتركون هذا القيد اعتمادا على شهرة ذلك وانسباق الذهن إليه.

(وشرطه) أي: الالتزام.

(هي اللزوم الذهني) أي: كون المعنى الخارجي بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له في الذهن حصوله فيه: إما على الفور أو بعد التأمل في القرائن والامارات.

وليس المراد باللزوم عدم انفكاك تعقل المدلول الالتزامى عن تعقل المسمى في الذهن أصلا أعني اللزوم البين المعتبر عند المنطقيين وإلا لخرج كثير من معاني المجازات والكنايات عن أن يكون مدلولات التزامية. ولما يتأتى الاختلاف بالوضوح في دلالة الالتزام أيضا وتقييد اللزوم بالذهنى إشارة إلى أنه لا يشترط اللزوم الخارجي كالعمى فإنه يدل على البصر التزاما لأنه عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيرا مع التنافى بينهما في الخارج ومن نازع في اشتراط اللزوم الذهنى فكأنه أراد باللزوم اللزوم البين بمعنى عدم انفكاك تعلقه عن تعقل المسمى. والمصنف أشار إلى أنه ليس المراد باللزوم الذهنى البين المعتبر عند المنطقيين بقوله.

(ولو لاعتقاد المخاطب بعرف) أي: ولو كان ذلك اللزوم مما يثبته اعتقاد المخاطب بسبب عرف عام إذا هو المفهوم من إطلاق العرف.

(أو غيره) يعني العرف الخاص كالشرع واصطلاحات أرباب الصناعات وغير ذلك.

(والإيراد المذكور) أي: إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في الوضوح.

(لا يتأتى بالوضعية) أي: بالدلالة المطابقة.

(لأن السامع إذا كان عالما بوضع الألفاظ) لذلك المعنى.

(لم يكن بعضها أوضح دلالة عليه من بعض وإلا) أي: وأن لم يكن عالما بالوضع الألفاظ.

(لم يكن كل واحد) من الألفاظ.

(دالا عليه) لتوقف الفهم على العلم بالوضع مثلا إذا قلنا: خده يشبه الورد، فالسامع إن كان عالما بوضع المفردات والهيئة التركيبية امتنع أن يكون كلام آخر يؤدى هذا المعنى بطريق المطابق دلالة أوضح أو أخفى لأنه إذا اقيم مقام كل لفظ ما يرادفه، فالسامع إن علم الوضع فلا تفاوت في الفهم وإلا لميتحقق الفهم.

وإنما قال: لم يكن كل واحد لأن قولنا هو عالم بوضع الألفاظ، معناه: أنه عالم بوضع كل لفظ فنقيضه المشار إليه بقوله وإلا يكون سلبا جزئيا أي لم لم يكن عالما بوضع كل لفظ فيكون اللازم عدم كل لفظ ويحتمل أن يكون البعض منها دالا لاحتمال أن يكون عالما بوضع البعض.

ولقائل أن يقول: لا نسلم عدم التفاوت في الفهم على تقدير العلم بالوضع بل يجوز أن يحضر في العقل معاني بعض الألفاظ المخزونة في الخيال بأدنى التفات لكثرة الممارسة والمؤانسة وقرب العهد بخلاف البعض فإنه يحتاج إلى التفات أكثر ومراجعة أطول مع كون الألفاظ مترادفة والسامع عالما بالوضع وهذا مما نجده من أنفسنا.

والجواب: أن التوقف إنما هو من جهة تذكر الوضع وبعد تحقق العلم بالوضع وحصوله بالعقل فالفهم ضروري.

(ويتأتى) الإيراد المذكور.

(بالعقلية) من الدلالات.

(لجواز أن تختلف مرات اللزوم في الوضوح) أي: مرات لزوم الأجزاء لكل في التضمن ومراتب لزوم اللوازم للملزوم في الالتزام.

وهذا في الالتزام ظاهر؛ فإنه يجوز أن يكون للشيء لوازم متعددة بعضها أقرب إليه من بعض وأسرع انتقالا منه إليه لقلة الوسائط فيمكن تأدية الملزوم بالألفاظ الموضوعة لهذه اللوازم المختلفة الدلالة عليه وضوحا وخفاء.

وكذا يجوز أن يكون للازم ملزومات لزومه لبعضها أوضح منه للبعض الآخر فيمكن تأدية اللازم بالألفاظ الموضوعة للملزومات المختلفة وضوحا وخفاء وأما في التضمن فلأنه يجوز أن يكون المعنى جزء من شيء وجزء من شيء آخر فدلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى أوضح من دلالة الشيء الآخر الذي ذلك المعنى جزء منجزئه مثلا دلالة

الحيوان على الجسم أوضح من دلالة الإنسان عليه ودلالة الجدار على التراب أوضح من دلالة البيت عليه. فإن قلت بل الأمر بالعكس فإن فهم الجزء سابق على فهم الكل.

قلت: نعم، ولكن المراد هنا انتقال الذهن إلى الجزء وملاحظته بعد فهم الكل وكثيرا ما يفهم الكل من غير التفات إلى الجزء كما ذكره الشيخ الرئيس في "الشفاء" أنه يجوز أن يخطر النوع بالبال ولا يلتفت الذهن إلى الجنس.

(ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له) سواء كان اللازم داخلا فيه كما في التضمن أو خارجا عنه كما في الالتزام.

(إن قامت قرينة على عدم ارادته) إرادة ما وضع له.

(فمجاز وإلا فكناية) فعند المصنف أن الانتقال في المجاز والكناية كليهما من الملزوم إلى اللازم إذ لا دلالة للازم من حيث إنه لازم على الملزوم إلا أن إرادة المعنى الموضوع له جائزة في الكناية دون المجاز.

(وقدم) المجاز.

(عليها) أي: على الكناية.

(لأن معناه) أي: المجاز.

(كجزء معناها) أي: الكناية لأن معنى المجاز هو اللازم فقط ومعنى الكناية يجوز أن يكون هو اللازم والملزوم جميعا والجزء مقدم على الكل طبعا فيقدم بحث المجاز على بحث الكناية وضعا.

وإنما قال: كجزء معناها؛ لظهور أنه ليس جزء معناها حقيقة فإن معنى الكناية ليس هو مجموع اللازم والملزوم بل هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم.

(ثم منه) أي: من المجاز.

(ما يبتنى على التشبيه) وهو الاستعارة التي كان أصلها التشبيه.

(فتعين التعرض له) أي: للتشبيه أيضا قبل التعرض للمجاز الذي أحد اقسامه الاستعارة المبنية على التشبيه ولما كان في التشبيه مباحث كثيرة وفوائد جمة لم يجعل مقدمة لبحث الاستعارة بل جعل مقصدا برأسه.

(فانحصر) المقصود من علم البيان.

(في الثلاثة) التشبيه والمجاز والكناية. التشبيه أي هذا باب التشبيه الاصطلاحي المبنى عليه الاستعارة.

(التشبيه) أي: مطلق التشبيه أعم من أن يكون على وجه الاستعارة أو على وجه تبتنى عليه الاستعارة أو غير ذلك فلم يأت بالضمير لئلا يعود إلى التشبيه المذكور الذي هو أخص، وما يقال: إن المعرفة إذا أعيدت كانت عين الأول فليس على إطلاقه يعني أن معنى التشبيه في اللغة.

(الدلالة) هو مصدر قولك دللت فلانا على كذا إذ هديته له.

(على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى) فالأمر الأول هو المشبه والثاني هو المشبه به والمعنى هو وجه الشبه، وهذا شامل لمثل قاتل زيد عمرا، وجاءني زيد وعمرو.

(والمراد) بالتشبيه المصطلح عليه.

(ههنا) أي: في علم البيان.

(ما لم يكن) أي: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بحيث لا يكون.

(على وجه الاستعارة التحقيقية) نحو: رأيت أسدا في الحمام.

(ولا على) وجه.

(الاستعارة بالكناية) نحو: أنشبت المنية أظفارها.

(و) لا على وجه.

(التجريد) الذي يذكر في علم البديع من نحو لقيت بزيد أسدا أو لقيني منه أسد فإن في هذه الثلثة دلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى مع أن شيئا منها لا يسمى تشبيها اصطلاحا.

وإنما قيد الاستعارة بالتحقيقية والكناية؛ لأن الاستعارة التخييلية كاثبات الأظفار للمنية في المثال المذكور ليس في شيء من الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى على رأى المصنف إذا المراد بالأظفار ههنا معناها الحقيقي على ما سيجيء فالتشبيه الاصطلاحي هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد.

(فدخل فيه نحو قولنا: زيدا أسدا) بحذف أداة التشبيه.

(و) نحو:

(قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [البقرة: ١٨]) بحذف الأداة والمشبه جميعا أي هم كأصم. فإن المحققين على أنه تشبيه بليغ لا استعارة؛ لأن الاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له بالكلية ويجعل الكلام خلو عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لو لا دلالة الحال أو فحوى الكلام.

(والنظر ههنا في أركانه) أي: البحث في هذا المقصد عن أركان التشبيه المصطلح عليه.

(وهي) أربعة:

(طرفاه) أي: المشبه والمشبه به.

(ووجهه وأداته وفى الغرض منه وفى أقسامه) وإطلاق الأركان على الأربعة المذكورة إما باعتبار أنها مأخوذة في تعريفه عنى الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بالكاف ونحوه وأما باعتبار أن التشبيه في الاصطلاح كثيرا ما يطلق على الكلام الدال على المشاركة المذكور كقولنا زيد كالأسد في الشجاعة. ولما كان الطرفان هما الأصل والعمدة في التشبيه لكون الوجه معنى قائما بهما والأداة آلة في ذلك قدم بحثهما فقال:

(طرفاه) أي: المشبه والمشبه به.

(إما حسيان كالخد والورد) في المبصرات.

(والصوت الضعيف والهمس) أي: الصوت الذي اخفى حتى كأنه لا يخرج عن فضاء الفم في المسموعات.

(والنكهة) وهي ريح الفم.

(والعنبر) في المشمومات.

(والرّيق والخمر) في المذوقات.

(والجلد الناعم والحرير) في الملموسات.

وفى أكثر ذلك تسامح؛ لأن المدرك بالبصر مثلا إنما هو لو الخد والورد وبالشم رائحة العنبر وبالذوق طعم الريق والخمر وباللمس ملاسة الجلد الناعم والحرير وليتهما لا نفس هذه الاجسام لكن اشتهر في العرف أن يقال: أبصرت الورد وشممت العنبر وذقت الخمر ولمست الحرير.

(أو عقليان كالعلم والحياة) ووجه الشبه بينهما كونهما جهتى إدراك كذا في المفتاح والايضاح. فالمراد بالعلم ههنا الملكة التي يقتدر بها على الادراكات الجزئية لانفس الإدراك. ولا يخفى انها جهة وطريق إلى الإدراك كالحياة.

وقيل: وجه الشبه بينهما الإدراك إذ العلم نوع من الإدراك والحياة مقتضية للحس الذي هو نوع من الإدراك وفساده واضح لأن كون الحياة مقتضية للحس لا يوجب اشتراكهما في الإدراك على ما هو شرط في وجه الشبة. وأيضًا لا يخفى أن ليس المقصود من قولنا العلم كالحياة والجهل كالموت أن العلم إدراك كما أن الحياة معها إدراك بل ليس في ذلك كثير فائدة كما في قولنا: العلم كالحس في كونهما إدراكا.

(أو مختلفان) بأن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا.

(كالمنية والسبع) فإن المنية أي الموت عقلي لأنه عدم الحياة عما من شأنه الحياة والسبع حسي أو بالعكس.

(و) ذلك مثل (العطر) الذي هو محسوس مشموم.

(وخلق كريم) وهو عقلي لأنه كيفيه نفسانية يصدر عنها الأفعال بسهولة. والوْجه في تشبيه المحسوس بالمعقول أن يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على طريق المبالغة وإلا فالمحسوس أصل للمعقول لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها فتشبيهه بالمعقول يكون من جعل الفرع أصلا والأصل فرعا وذلك لا يجوز.

ولما كان من المشتبه والمشبه به ما لا يدرك بالقوة العاقلة ولا بالحس أعني الحس الظاهر مثل الخياليات والوهميات والوجدانيات أراد أن يجعل الحسى والعقلي بحيث يشملانها تسهيلات للضبط بتقليل الأقسام فقال:

(والمراد بالحسي المدرك: هو أن مادته باحدى الحواس الخمس الظاهرة) أعني البصر والسمع والشم والذوق واللمس.

(فدخل فيه) أي: في الحس بسبب زيادة قولنا أو مادته.

(الخيالي) وهو المعدوم الذي فرض مجتمعا من أمور كل واحد منها مما يدرك بالحس.

(كما في قوله وكأن محمر الشقيق) هو من باب جرد قطيفة والشقيق ورد احمر في وسط سواد ينبت بالجبال.

(إذا تصوب) أي: مال إلى السفل.

(أو تصعد) أي: مال إلى العلو.

(أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْنَ عَلى رماح من زَبَرْجَدْ)(1)

---

(١) من بيتان من الكامل المجزوء المرفل، ولم أقف على اسم قائلهما، ورأيت بعض هل العصر نسبهما في مصنف له إلى الصنوبري الشاعر.

وكأنَّ مُحْمرَّ الشَّقيقِ ... إذا تصَوَّبَ أو تَصَعَّدْ

أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ .. نَ عَلى رماح من زَبَرْجَدْ

والشقيق: أراد به شقائق النعمان، وهو النور المعروف، ويطلق على الواحد والجمع، وسمي بذلك لحمرته تشبيهاً بشقيقة البرق، وأضيف إلى النعمان بن المنذر - وهو آخر ملوك الحيرة - لأنه خرج إلى ظهر الحيرة وقد اعتم نبته ما بين أصفر وأحمر وأخضر، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير، فقال: ما أحسنها! احموها، فكان أول من حماها، فنسبت إليه.

فإن كلا من العلم والياقوت والرمح والزبرجد محسوس لكن المركب الذي هذه الأمور مادته ليس بمحسوس لأنه ليس بموجود والحس لا يدرك إلا ما هو موجود في المادة حاضر عند المدرك على هيئة مخصوصة.

(و) المراد (بالعقلي ما عدا ذلك) أي: مالا يكون هو ولا مادته مدركا باحدى الحواس الخمس الظاهر.

(فدخل فيه الوهمي) أي: الذي لا يكون للحس مدخل فيه.

(أي ما هو غير مدرك بها) أي: باحدى الحواس المذكورة.

(و) لكنه بحيث.

(لو أدرك لكان مدركا بها) وبهذا القيد يتميز عن العقلي.

(كما في قوله): [الطويل]

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفيُّ مُضاجِعي ... (وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ)(١)

=

وكان أبو العميثل يقول: النعمان اسم من أسماء الدم، ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت إلى الدم لحمرتها، قال: وقولهم إنها منسوبة إلى النعمان بن المنذر ليس بشيء. قال: وحدثت الأصمعي بهذا فنقله عني، انتهى. والذي قدمناه هو الذي ذكره أرباب اللغة.

والشاهد فيهما: التشبيه الخيالي، وهو المعدوم الذي فرض مجتمعاً من أمور كل واحدٍ منها مما يدرك بالحس، فإن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يدركه الحس، إنما يدرك ما هو موجود في المادة حاضر عنه المدرك على هيآت محسوسة مخصوصة، لكن مادته التي تركب منها كالأعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر.

(١)وقائله امرؤ القيس الكندي، من قصيدة أولها:

أَلاَ عِمْ صبَاحاً أيها الطَّلَلُ البالِي .. وهَلْ يعِمَنْ من كان في العُصُرِ الخَالِي
وهلْ يَعِمَنْ إلا سعيدٌ مُخَلَّدٌ .... قليلُ هُمُومٍ ما يبيتُ بأوجالِ

وبعد البيت المذكور:

وليسَ بِذِي سيف فيقتلني بهِ ..... وليسَ بِذِي رُمحٍ وليسَ بنبَّالِ
أَيَقتلني وَقدْ قطرْتُ فؤادها .... كما قَطرَ المَهْنوَّةَ الرَّجلُ الطالي
وقدْ علمَتْ سلمَى وَإن كان بعلها .. بأنَّ الفتى يهذي وليس بفَعَّالِ
وماذَا عليه إن ذكرتُ أوَانساً ...... كغزلان رملٍ في محاريب أقوالِ

أي: أيقتلني ذلك الرجل الذي يوعدني والحال أن مضاجعي سيف منسوب إلى مشارف اليمن وسهام محددة النصال صافية مجلوة.

وأنياب الأغوال مما لا يدركها الحس لعدم تحققها مع أنها لو ادركت لم تدرك إلا بحس البصر. ومما يجب أن يعلم في هذا المقام أن من قوى الإدراك ما يسمى متخلية ومفكرة.

ومن شأنها تركيب الصور والمعاني وتفصيلها والتصرف فيها واختراع أشياء لا حقيقة لها. والمراد بالخيالى المعدوم الذي ركبته المتخلية من الأمور التي ادركت بالحواس الظاهرة وبالوهمي ما اخترعته المتخلية من عند نفسها كما إذا سمع أن الغول شيء تهلك به النفوس كالسبع فاخذت المتخيلة في تصويرها بصورة السبع واختراع ناب لها كما للسبع.

(وما يدرك بالوجدان) أي: ودخل أيضا في العقلي ما يدرك بالقوى الباطنة ويسمى وجدانيا.

(كاللذة) وهي إدراك ونيل لما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك.

(والألم) وهو إدراك ونيل لما هو عند المدرك آفة وشر من حيث هو كذلك. ولا يخفى أن إدراك هذين المعنيين ليس بشيء من الحواس الظاهرة، وليسا أيضا من العقليات الصرفة لكونهما من الجزئيات المستندة إلى الحواس بل هما من الوجدانيات المدركة بالقوى الباطنة كالشبع والجوع والفرح والغم والغضب والخوف وما شاكل ذلك والمراد ههنا اللذة والألم الحسيان وإلا فاللذة والألم العقليان من العقليات الصرفة.

(ووجهه) أي: وجه الشبه.

=

وهي طويلة.

والمشرق بفتح الميم والراء، نسبة إلى مشارف الشام، وهي قرى من أرض العرب، تدنو من الريف، منها السيوف المشرفية. والمسنون: المحدد المصقول، ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها، وكونها مجلوة، وأراد بقوله أنياب أغوال، أي شياطين، وإنما أراد أن يهول. قال أبو نصر: سألت الأصمعي عن الغول، فقال: همرجة من همرجة الجن.

والشاهد فيه: التشبيه الوهمي، وهو الغير المدرك بإحدى الحواس، ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدركاً بها، فإن أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر.

(ما يشتركان فيه) أي: المعنى الذي قصد اشتراك الطرفين فيه وذلك أن زيدا والأسد يشتركان في كثير من الذاتيات، وغيرها كالحيوانية والجسمية والوجود وغير ذلك مع أن شيئا منها ليس وجه الشبه وذلك الإشتراك يكون.

(تحقيقيا أو تخييليا. والمراد بالتخييلي) أن لا يوجد ذلك المعنى في أحد الطرفين أو في كليهما إلا على سبيل التخييل والتأويل.

(نحو ما في قوله: [الخفيف]

وكأنَّ النجوم بين دُجاه)

جمع دجية، وهي الظلمة والضمير لليل، وروي: دجاها، والضمير للنجوم.

(سُننٌ لاحَ بينهُنَّ ابتداع)(١)

---

(١)البيت للقاضي التنوخي، من أبيات من الخفيف، أولها:

رُبَّ ليلٍ قطعْتُهُ بِصدُودٍ .... أو فراقٍ ما كانَ فيه وَدَاعُ
موحشٍ كالثقيلِ تقذَى به العَينُ .. وتأبى حديثهُ الأسماعُ

وبعده البيت، وبعده:

مُشْرِقاتٌ كأنهنَّ حجاجٌ .. تقطعُ الخصمَ والظلامَ انقطاعُ
وكأنّ السماء خيمة وَشْيٍ .... وكأنّ الجوزاء فيها شراعُ

والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة، والضمير راجع إلى الليالي أو النجوم، والابتداع: الحدث في الدين بعد الكمال، أو ما استحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الأهوال والأعمال.

والشاهد فيه: التشبيه التخييلي، وهو أن لا يوجد في أحد الطرفين أو في كليهما إلا على سبيل التخييل والتأويل، ووجهفي هذا البيت هو: الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، فتلك الهيئة غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخييل، وذلك أنه لما كانت البدعة وكل ما هو جهل تجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة فلا يهتدي للطريق ولا يأمن أن ينال مكروهاً شبهت بالظلمة، ولزم بطريق العكس أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور، لأن السنة والعلم تقابل البدعة والجهل، كما أن النور يقابل الظلمة.

والقاضي التنوخي: هو علي بن محمد بن داود، أبو القاسم التنوخي، قدم بغداد، وتفقه على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وكان حافظاً للشعر، ذكياً وله عروض بديع، وولي القضاء بعدة بلدان، وهو والد أبي علي المحسن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة، وكتاب الفرج بعد الشدة، وغيرهما. وكان أبو القاسم هذا بصيراً بعلم النجوم، قرأ على الكسائي المنجم، ويقال: إنه كان يقوم بعشرة علوم، وكان يحفظ للطائيين

فإن وجه الشبه فيه) أي: في هذا التشبيه.

(هو الهيئة الحاصلة من حصول اشياء مشرقة بيض في جانب شيء مظلم اسود فهى) أي: تلك الهيئة.

(غير موجودة في المشبه به) أعني السنن بين الابتداع.

(إلا على طريق التخييل) أي: وجودها في المشبه به على طريق التخييل.

(أنه) الضمير للشأن.

(لما كانت البدعة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها كمن يمشي في الظلمة، فلا يهتدي إلى الطريق، ولا يأمن من أن ينال مكروها شبهت) أي: البدعة وكل ما هو جهل.

(بها) أي: بالظلمة.

(ولزم بطريق العكس) إذا أريد التشبيه.

(أن تشبه السنة وكل ما هو علم بالنور) لأن السنة والعلم يقابل البدعة والجهل كما أن النور يقابل الظلمة.

(وشاع ذلك) أن كون السنة والعلم كالنور والبدعة والجهل كالظلمة.

=

سبعمائة قصيدة ومقطوعة، سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين وغيرهم، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً كثيراً، وكان في الفقه والفرائض والشروط غاية، واشتهر بالكلام والمنطق والهندسة وكان في الهيئة قدوة.

وقال الثعالبي في حقه رحمهما الله تعالى: هو كما قرأته في فصل للصاحب إن أردت فإني سبحة ناسك، أو أحببت فإني تفاحة فاتك، أو اقترحت فإني مدرعة راهب، أو آثرت فإني نخبة شارب.

وكان الوزير المهلبي وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً، ويتعصبون له، ويعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء، ويعاشرون منه من تطيب عشرته وتلين قشرته، وتكرم أخلاقه وتحسن أخباره، وتسير أشعاره ناظمة حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب.

ويحكى أنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة، وهم ابن قريعة وابن معروف والأيدجي وغيرهم، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبي، فإذا تكامل الانس، وطاب المجلس، ولذ السماع، وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا أثواب الوقار للعقار، وتقلبوا في أعطاف العيش، بين الخفة والطيش، ووضع في يد كل منهم طاس من ذهب ألف مثقال مملوء شراباً قطر بلياً أو عكبرياً، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ثم يرش بها بعضهم على بعض، ويرقصون بأجمعهم، وعليهم المصبغات ومخانق البرم.

(حتى تخيل أن الثاني) أي: السنة وكل ما هو علم.

(مما له بياض واشراق نحو: أتيتكم بالحنفية البيضاء، والأول على خلاف ذلك) أي: يخيل أن البدعة وكل ما هو جهل مما له سواد وإظلام.

(كقولك: شاهد سواد الكفر من جبين فلان فصار) بسبب التخيل أن الثاني مما له بياض واشراق والأول مما له سواد واظلام.

(تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع كتشبيها) أي: النجوم.

(ببياض الشيب في سواد الشباب) أي: أبيضه في أسوده.

(أو بالأنوار) أي: الأزهار.

(مؤتلقة) بالقاف أي لامعة.

(بين النبات الشديدة الخضرة) حتى تضرب إلى السواد.

فهذا التأويل أعني تخييل ما ليس بمتلون متلونا أظهر اشتراك النجوم بين الدجى والسنن بين الابتداع في كون كل منهما شيئا ذا بياض بين شيء ذى سواد. ولا يخفى أن قوله لاح بينهن ابتداع من باب القلب أي سنن لاحت بين الابتداع.

(فعلم) من وجوب اشتراك الطرفين في وجه التشبيه.

(فساد جعله) أي: وجه الشبه.

(في قول القائل: " النحو في الكلام كالملح في الطعام " كون القليل مصلحا والكثير مفسدا) لأن المشبه أعني النحو لا يشترك في هذا المعنى.

(لأن النحو لا يحتمل القلة والكثرة). إذ لا يخفى أن المراد به ههنا رعاية قواعده واستعمال احكامه مثل رفع الفاعل ونصب المفعول وهذه أن وجدت في الكلام بكما لها صار صالحا لفهم المراد وأن لم توجد بقى فاسدا ولم ينتفع به.

(بخلاف الملح) فإنه يحتمل القلة والكثرة بأن يجعل في الطعام القدر الصالح منه أو أقل أو أكثر بل وجه الشبه هو الشبه هو الصلاح باعمالها والفساد باهمالها.

(وهو) أي: وجه الشبه.

(إما غير خارج عن حقيقتهما) أي: حقيقة الطرفين بأن يكون تمام ماهيتهما أو جزء منهما.

(كما في تشبيه ثوب بآخر في نوعهما أو جنسهما أو فصلهما) كما يقال هذا القميص مثل ذاك في كونهما كرباسا أو ثوبا أو من القطن.

(أو خارج) عن حقيقة الطرفين.

(صفة) أي: معنى قائم بهما ضرورة اشتراكهما فيه وتلك الصفة.

(إما حقيقية) أي: هيئة متمكنة في الذات متقررة فيها.

(و) هي.

(إما حسية) أي: مدركة بإحدى الحواس الظاهرة وهي.

(كالكيفيات الجسمية) أي: المختصة بالاجسام.

(مما يدرك بالبصر) وهي قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان فتفترقان إلى العينين.

(من الألوان والأشكال) والشكل هيئة إحاطة نهاية واحدة أو أكثر بالجسم كالدائرة ونصف الدائرة والمثلث والمربع وغير ذلك.

(والمقادير) جمع مقدار وهو كم متصل قار الذات كالخط والسطح.

(والحركات) والحركة هي الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج. وفى جعل المقادير والحركات من الكيفيات تسامح.

(وما يتصل بها) أي: بالمذكورات كالحسن والقبح المتصف بهما الشخص باعتبار الخلقة التي هي مجموع الشكل واللون وكالضحك والبكاء الحاصلين باعتبار الشكل والحركة.

(أو بالسمع) عطف على قوله بالبصر وهي قوة رتبت في العصب المفروش على سطح باطن الصماخين تدرك بها الاصوات.

(من الأصوات الضعيفة والقوية والتى بين بين) والصوت يحصل من التموج المعلول للقرع الذي هو امساس عنيف والقدح الذي هو تفريق عنيف بشرط مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقالع ويختلف الصوت قوة وضعفا بحسب قوة المقاومة وضعفها.

(أو بالذوق) وهي قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان.

(من الطعوم) كالحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة وغير ذلك.

(أو بالشم) وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ المشبهتين بحلمتي الثدى.

(من الروايح أو باللمس) وهي قوة سارية في البدن كله يدرك بها الملموسات.

(من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة). هذه الأربعة هي اوائل الملموسات. فالأوليان منها فعليان والأخريان منها انفعاليان.

(والخشونة) وهي كيفية حاصلة من كون بعض الأجزاء اخفض وبعضها أرفع.

(والملاسة) وهي كيفية حاصلة عن استواء وضع الأجزاء.

(واللين) وهي كيفية بها يقتضي الجسم قبول الغمز إلى الباطن ويكون للشئ بها قوام غير سيال.

(والصلابة) وهي تقابل اللين.

(والخفة) وهي كيفية بها يقتضي الجسم أن يتحرك إلى صوب المحيط لو لم يعقه عائق.

(والثقل) وهي كيفية بها يقتضي الجسم أن يتحرك إلى صوب المركز لو لم يعقه عائق.

(وما يتصل بها) أي: بالمذكورات كالبلة والجفاف والزوجة والهشاشة واللطافة والكثافة وغير ذلك.

(أو عقلية) عطف على حسية.

(كالكيفيات النفسانية) أي: المختصة بذوات الانفس.

(من الذكاء) وهي شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الاراء.

(والعلم) وهو الإدراك المفسر بحصول صورة الشيء عند العقل وقد يقال على معان اخر.

(والغضب) وهو حركة للنفس مبدؤها إرادة الانتقام.

(والحلم) وهو أن تكون النفس مطمئنة بحيث لا يحركها الغضب بسهولة ولا تضطرب عند اصابة المكروه.

(وسائر الغرائز) جمع غريزة وهي الطبيعة أعني ملكة تصدر عنها صفات ذاتية مثل الكرم والقدرة والشجاعة وغير ذلك.

(وإما اضافية) عطف على قوله إما حقيقية. ونعني بالاضافية ما لا تكون له هيئة متقررة في الذات بل تكون معنى متعلقا بشيئين.

(كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس) فإنها ليست هيئة متقررة في ذات الحجة والشمس ولا في ذات الحجاب وقد يقال الحقيقي على ما يقابل الاعتباري الذي لا تحقق له إلا بحسب اعتبار العقل. وفى "المفتاح" إشارة إلى أنه المراد ههنا حيث قال الوصف العقلي منحصر بين حقيقي كالكيفيات النفسانية وبين اعتباري ونسبي كاتصاف الشيء بكونه مطلوب الوجود أو العدم عند النفس أو كاتصافه بشيء تصوري وهمي محض.

(وأيضًا) لوجه الشبه تقسيم آخر وهو أنه.

(إما واحد وإما بمنزلة الواحد لكونه مركبا من متعدد).

تركيبا حقيقيا بأن يكون وجه الشبه حقيقة ملتئمة من أمور مختلفة أو اعتباريا بأن يكون هيئة انتزعها العقل من عدة امور.

(وكل منهما) أي: من الواحد وما هو بمنزلته.

(حسي أو عقلي وإما متعدد) عطف على قوله: إما واحد وإما بمنزلة الواحد، والمراد بالمتعدد أن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في كل واحد منها ليكون كل منها

وجه الشبه بخلاف المركب المنزل منزلة الواحد فإنه لم يقصد اشتراك الطرفين في كل من تلك الأمور بل في الهيئة المنتزعة أو في الحقيقة الملتئمة منها.

(كذلك) أي: المتعدد أيضا حسي أو عقلي.

(أو مختلف) بعضه حسي وبعضه عقلي.

(والحسي) من وجه التشبيه سواء كان بتمامه حسيا أو ببعضه.

(طرفاه حسيان لاغير) أي: لا يجوز أن يكون كلاهما أو أحدهما عقليا.

(لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسي شيء) فإن وجه الشبه أمر مأخوذ من الطرفين موجود فيهما والموجود في العقلي إنما يدرك بالعقل دون الحس إذا المدرك بالحس لا يكون إلا جسما أو قائما بالجسم.

(والعقلي) من وجه الشبه.

(أعم) من الحسى.

(لجواز أن يدرك بالعقل من الحسي شيء) أي: يجوز أن يكون طرفاه حسيين أو عقليين أو أحدهما حسيا والآخر عقليا إذ لا امتناع في قيام المعقول بالمحسوس وادراك العقل من المحسوسات شيئا.

(ولذلك يقال: التشبيه بالوجه العقلي أعم) من التشبيه بالوجه الحسى بمعنى أن كلما يصح فيه التشبيه بالوجه الحسى يصح بالوجه العقلي من غير عكس.

(فإن قيل: هو) أي: وجه الشبه.

(مشترك فيه) ضرورة اشتراك الطرفين فيه.

(فهو كلي) ضرورة أن الجزئي يمتنع وقوع الشركة فيه.

(والحسي ليس بكلي) قطعا ضرورة أن كل حسي فهو موجود في المادة حاضر عند المدرك ومثل هذا لا يكون إلا جزئيا ضرورة فوجه الشبه لا يكون حسيا قط.

(قلنا المراد) بكون وجه الشبه حسيا.

(أن أفراده) أي: جزئياته.

(مدركة بالحس) كالحمرة التي تدرك بالبصر جزئياتها الحاصلة في المواد، فآلحاصل أن وجه الشبه إما واحد أو مركب أو متعدد وكل من الأولين إما حسي أو عقلي والاخير إما حسي أو عقلي أو مختلف تصير سبعة والثلاثة العقلية طرفاها إما حسيان أو عقليان أو المشبه حسي والمشبه به عقلي أو بالعكس فصارت ستة عشر قسما.

(الواحد الحسي كالحمرة) من المبصرات.

(والخفاء) يعني خفاء الصوت من المسموعات.

(وطيب الرائحة) من المشمومات.

(ولذة الطعم) من المذوقات.

(ولين اللمس) من الملموسات.

(فيما مر) أي: في تشبيه الخد بالورد والصوت الضعيف بالهمس والنكهة بالعنبر والريق بالخمر والجلد الناعم بالحرير وفى كون الخفأ من المسموعات والطيب من المشمومات واللذة من المذوقات تسامح.

(و) الواحد.

(العقلي كالعراء عن الفائدة والجرأة) على وزن الجرعة أي الشجاعة. وقد يقال جزء الرجل جرائة بالمد.

(والهداية) أي: الدلالة إلى طريق يوصل إلى المطلوب.

(واستطابة النفس في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بعدمه) فيما طرفاه عقليان إذ الوجود والعدم من الأمور العقلية.

(و) تشبيه.

(الرجل الشجاع بالأسد) فيما طرفاه حسيان.

(و) تشبيه.

(العلم بالنور) فيما المشبه عقلي والمشبه به حسي فبالعلم يوصل إلى المطلوب ويفرق بين الحق والباطل كما أن بالنور يدرك المطلوب ويفصل بين الأشياء فوجه الشبه بينهما الهداية.

(و) تشبيه.

(العطر بخلق) شخص.

(كريم) فيما المشبه حسي والمشبه به عقلي ولا يخفى ما في الكلام من اللف والنشر وفى وحدة بعض الأمثلة تسامح لما فيه شائبة التركيب كالعراء عن الفائدة مثلا.

(والمركب الحسي) من وجه الشبه طرفاه إما مفردان أو مركبان أو أحدهما مفرد والآخر مركب ومعنى التركيب ههنا أن تقصد إلى عدة اشياء مختلفة فتنزع منها هيئة وتجعلها مشبها أو مشبها بها؛ ولهذا صرح صاحب "المفتاح" في تشبيه المركب بالمركب بأن كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة.

وكذا المراد بتركيب وجه الشبه أن تعمد إلى عدة أوصاف لشئ فتنزع منها هيئة، وليس المراد بالمركب ههنا ما يكون حقيقة مركبة من أجزاء مختلفة بدليل أنهم يجعلون المشبه والمشبه به في قولنا زيد كالأسد مفردين لامركبين. ووجه الشبه في قولنا: زيد كعمر وفى الانسانية واحد لا منزلا منزلة الواحد فالمركب الحسي.

(فيما) أي: في التشبيه الذي.

(طرفاه مفردان كما في قوله: [الطويل]

وَقَد لاحَ في الصُبحِ الثُرَيّا لِمَن يَرى كَعُنقودِ مُلّاحِيَّةٍ)

بضم الميم وتشديد اللام عنب أبيض في حبه طول وتخفيف اللام أكثر.

(حينَ نَوَّرا)[1]

(١)البيت لأبي القيس بن الأسلت، من الطويل: والملاحي بضم الميم وتخفيف اللام، وقد تشدد، عنب أبيض في حبه طول. ومعنى نور: تفتح نوره، والثريا: مصغرة، قيل: تصغير تعظيم، وقيل: تصغير تقريب إعلاماً بأن نجومها قريب بعضها من بعض، ومكبرها ثروي، وهي الكثرة، وسميت هذه النجوم المجتمعة بالثريا لكثرة نورها، وقيل: لكثرة نجومها مع صغر مرآها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل.

أي: تفتح نوره.

(من الهيئة) بيان لما في قوله كما.

(الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى) وأن كانت كبارا في الواقع حال كونها.

(على كيفية المخصوصة) أي: لا مجتمعة اجتماع التضام والتلاصق ولا شديدة الافتراق منضمة.

(إلى المقدار المخصوص) من الطول والعرض فقد نظر إلى عدة اشياء وقصد إلى هيئة حاصلة منها. والطرفان مفردان لأن المشبه هو الثريا والمشبه به هو العنقود مقيدا بكونه عنقود الملاحية في حال إخراج النور والتقييد لا ينافي الأفراد كما سيجيء إن شاء الله تعالى.

(وفيها) أي: والمركب الحسى وفى التشبيه الذي.

(طرفاه مركبان كما في قول بشار [الطويل]: كَأَنَّ مُثارَ النَقعِ) من آثار الغبار هيجه.

(فَوقَ رُؤُسِهِم وَأَسيافَنا لَيلٌ تَهاوى كَواكِبُه) [1]

=

وعدد نجومها سبعة أنجم: ستة ظاهرة، وواحد خفي تختبر به الناس أبصارهم، وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراها أحد عشر نجماً.

والشاهد فيه: المركب الحسي في التشبيه الذي طرفاه مفردان، الحاصل من الهيئة الحاصلة منم تقارن الصور البيض الصغار المقادير في المرأى وإن كانت كباراً في الواقع على الكيفية المخصوصة منضمة إلى المقدار المخصوص، والمراد بالكيفية المخصوصة أنها لا مجتمعة اجتماع التضام والتلاصق، ولا هي شديد الافتراق، بل لها كيفية مخصوصة من التقارب والتباعد على نسبة قريبة مما نجده في رأى العين بين تلك الأنجم.

والطرفان المفردان هما: الثريا، والعنقود.

وأبو قيس لم يقع لي إلى الآن اسمه، والأسلت: لقب أبيه واسمه عامر بن جشم بن وائل، ينتهي نسبه للأوس، وهو شعر من شعراء الجاهلية، وأسلم ابنه عقبة بن أبي قيس رضي الله عنه واستشهد يوم القادسية، وكان يزيد بن مرداس السلمي أخو عباس بن مرداس السلمي الشاعر قتل قيس بن أبي قيس في بعض حروبهم، فطلب بثأره هارون بن النعمان بن الأسلت حتى تمكن من يزيد ابن مرداس فقتله بقيسٍ ابن عمه، وانظر معاهد التنصيص ١/ ١٣٢.

(١)البيت لبشار بن برد، من قصيدة من الطويل يمدح بها ابن هبيرة، وأولها:

obeikandl.com

=

جَفا ودّه فازورَّ أو مَلَّ صاحبُهْ ...... وأزرى به أن لا يزال يعاتبُهْ
خليليَّ لا تستكثر لوعة الهوىَ .. ولا سلوةَ المحزون شَطَّتْ حبائبُهْ

يقول فيها:

إذا كنتَ في كل الأمور معاتباً .. صديقكَ لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ
فعش واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنهُ .... مُقارفُ ذنبٍ مرةً ومُجَانبُهْ
إذا أنت لم تشرب مراراً على القَذَى .. ظمئتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربه
رُوَيداً نصاهل بالعراق جيادنا .... كأنك بالضحاك قد قام نادبُهْ

ومنها:

وَسامٍ لمروان ومن دونه الشَّجا .. وهولٌ كلُجِّ البحر جاشت غواربُهْ
أحلتْ به أمُّ المنايا بناتها .... بأسيافنا إنا رَدَى مَنْ نحاربه
وكنا إذا دبّ العدوُّ لسخطنا .... وراقبنا في ظاهرٍ لا نراقبُهْ
رَكبنا له جهراً بكلِّ مثقَّفٍ .... وأبيضَ تستسقي الدماءَ مضاربُهْ
وجيشٍ كجنح الليل يزحف بالحصا .. وبالشوك والخَطِّيِّ حمراً ثعالبُهْ

ومنها:

غدونا له والشمسُ في خِدْرِ أمها .... نطالعها والطلّ لم يجرِ ذائبُهْ
بِضرب يذوقُ الموتَ من ذاق طعمه .. وتدركُ من نَجيَّ الفرارُ مثالبهْ

وبعده البيت، وبعده:

بعثنا لهم موت الفُجَاءة إننا ..... بنو الموت خَفَّاقٌ علينا سبائبُهْ
فراحوا فريقٌ في الأسَارَى ومثلهُ .. قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهْ
إذا الملكُ الجبارُ صَعَّر خدَّهُ .... مشينا إليه بالسيوف نعاتبُهْ

وهي طويلة، فوصله ابن هبيرة بعشرة آلاف درهم، وكانت أو عطية سنية أعطيها بشار بالشعر ورفعت من ذكره.

والنقع: الغبار، ومعنى تهاوى كواكبه يتساقط بعضها في إثر بعض والأصل تهاوى فحذفت إحدى التاءين.

والشاهد فيه: المركب الحسي في التشبيه الذي طرفاه مركبان الحاصل من الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم، فوجه الشبه مركب كما ترى، وكذا طرفاه، كما في أسرار البلاغة.

يروى أنه قيل لبشار، وقد أنشد هذا البيت: ما قيل أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا، ولم تر الدنيا قط ولا شيئاً منها؟ فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حسه وتذكو قريحته، وأنشدهم قوله من الطويل:

عميتُ جنيناً والذكاءُ من العمى .. فجئت عجيب الظن للعلم مَوْئلا

أي: تتساقط بعضها إثر بعض، والأصل: تتهاوى، حذفت إحدى التائين.

(من الهيئة الحاصلة من هوى) بفتح الهاء أي سقوط.

(أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم) فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا الطرفان لأنه لم يقصد تشبيه الليل بالنقع والكواكب بالسيوف بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من اغمادها وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب وتضطرب اضطرابا شديدا وتتحرك بسرعة إلى جهات مختلفة وعلى أحوال تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض مع التلاقي والتداخل والتصادم والتلاصق.

وكذا في جانب المشبه به فإن للكواكب في تهاويها تواقعا وتداخلا واستطالة لاشكالها.

(و) المركب الحسي.

(فيما طرفاه مختلفان) أحدهما مفرد والآخر مركب.

(كما مر في تشبيه الشقيق) بـ:

أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْنَ ... عَلى رماحٍ من زَبَرْجَدْ(1)

=

وغاضَ ضياءُ العين للعلم رافداً .... لقلب إذا ما ضيعَ الناسُ حَصَّلا
وشعرٍ كنَوْر الروض لاءَمْت بينهُ ... بقول إذا ما أحزن الشعرُ أسهلا

(١)البيتان من الكامل المجزوء المرفل، ولم أقف على اسم قائلهما، ورأيت بعض هل العصر نسبهما في مصنف له إلى الصنوبري الشاعر.

والشقيق: أراد به شقائق النعمان، وهو النور المعروف، ويطلق على الواحد والجمع، وسمي بذلك لحمرته تشبيهاً بشقيقة البرق، وأضيف إلى النعمان بن المنذر - وهو آخر ملوك الحيرة - لأنه خرج إلى ظهر الحيرة وقد اعتم نبته ما بين أصفر وأحمر وأخضر، وإذا فيه من هذه الشقائق شيء كثير، فقال: ما أحسنها احموها، فكان أول من حماها، فنسبت إليه.

وكان أبو العميثل يقول: النعمان اسم من أسماء الدم، ولذلك قيل شقائق النعمان نسبت إلى الدم لحمرتها، قال: وقولهم إنها منسوبة إلى النعمان بن المنذر ليس بشيء. قال: وحدثت الأصمعي بهذا فنقله عني، انتهى. والذي قدمناه هو الذي ذكره أرباب اللغة.

والشاهد فيهما: التشبيه الخيالي، وهو المعدوم الذي فرض مجتمعاً من أمور كل واحدٍ منها مما يدرك بالحس، فإن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرجدية مما لا يدركه الحس، إنما يدرك ما هو موجود في المادة

من الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤس أجرام خضر مستطيلة فالمشبه مفرد وهو الشقيق والمشبه به مركب، وهو ظاهر وعكسه تشبيه نهار مشمس قد شابه أي خالطه زهر الربا بليل مقمر على ما سيجيء.

(ومن بديع المركب الحسي ما) أي: وجه الشبه الذي.

(يجيء الهيئات التي تقع عليها الحركة) أي: يكون وجه الشبه الهيئة التي تقع عليها الحركة من الاستدارة والاستقامة وغيرهما ويعتبر فيها تركيب.

(ويكون) ما يجيء في تلك الهيئات.

(على وجهين: أحدهما: أن يقترن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون) والأوضح عبارة أسرار بلاغة اعلم أن ما يزداد به التشبيه دقة وسحرا أن يجيء بالهيئات التي تقع عليها الحركات والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين أحدهما أن تقرن بغيرها من الأوصاف والثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يزاد عليها غيرها فالأول.

(كما في قوله [الرجز]: وَالشَمسُ كَالمِرآةِ في كَفِّ الأَشَل[1] **من الهيئة)** بيان لما في قوله كما.

=

حاضر عنه المدرك على هيآت محسوسة مخصوصة، لكن مادته التي تركب منها كالأعلام والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر.

(١) كأن شُعَاعَ الشمسِ في كل غُدْوةٍ .. على ورَقِ الأشجار أول طالع
دنانيرُ في كف الأشل يَضُمها .. لقَبْضٍ فتَهْوِي من فُروج الأصابع

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي من الوافر:

وألقى الشرق منها في ثيابي .. دنانيراً تَفِرُّ من البَنَان

وأخذه أيضا القاضي عبد الرحيم الفاضل فقال من الكامل:

والشمسُ من بين الأرائِكِ قد حكَتْ .. سيفاً صَقيلاً في يَدِ رعْشاءِ

وما أبدع قول الشهاب التلعفري من البسيط:

أفْدِي الذي زارَني في الليل مُستتراً .. أحلى من الأَمْنِ عندَ الخائِفِ الدهِشِ
ولاحَتِ الشمس تحكي عند مَطْلعها ...... مرآةَ تبرٍ بَدَتْ في كف مرتَعِشِ

وقول النامي من الطويل:

سماء غصُونٍ تحْجُبُ الشمسَ أن تُرَى .. على الأرضِ إلا مثلَ نثرِ الدراهِمِ

(الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له) يقال بدا له إذا ندم والمعنى ظهر له رأى غير الأول.

(فيرجع) من الانبساط الذي بداه.

(إلى الانقباض) كأنه يرجع من الجوانب إلى الوسط؛ فإن الشمس إذا أحد الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة الموصوفة وكذلك المرآة في كف الأشل.

(و) الوجه.

(الثاني أن تجرد) الحركة.

(عن غيرها) من الأوصاف.

(فهناك أيضا) يعني: كما أنه لابد في الأول من أن يقترن بالحركة غيرها من الأوصاف فكذا في الثاني.

(لابد من اختلاط حركات) كثيرة للجسم.

=

البيت لابن المعتز، من قصيدة من المديد، وأولها:

عَرَفَ الدار فحيًّا وناحا .. بعدما كان صَحا واستَرَاحَا
ظَلَّ يَلحاه العَذُولُ ويأبى .... في عِنَان العَذْلِ إلا جِمَاحا
عَلِّموني كيف أسْلُو وإلا ..... فخذوا من مُقْلَتيَّ الملاحَا
من رأى بَرْقاً يُضيءُ التهاما .... ثَقَبَ الليلَ سَنَاهُ فَلاَحَا

وبعده البيت، وبعده:

لم يزل يلمعُ بالليل حتى .. خِلْتُه نَبه فيه صَبَاحَا
وكأن الرَّعْدَ فحلُ لِقَاح .. كلما يُعْجِبُهُ البرق صاحا

والبرق: واحد بروق السحاب، أو هو ضرب ملك السحاب وتحريكه إياه لينساق فترى النيران.

والشاهد فيه: الوجه الثاني، وهو تجريد الحركة عن غيرها من الأوصاف مع اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفل؛ ليتحقق التركيب وإلا لكان وجه الشبه مفرداً وهو الحركة لا مركباً، فحركة المصحف الشريف في انطباقه وانفتاحه فيها تركيب لأن المصحف يتحرك في الحالتين إلى جهتين في كل حالة إلى جهة.

(إلى جهات مختلفة) له كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفل ليتحقق التركيب وإلا لكان وجه الشبه مفردا وهو الحركة.

(فحركة الرحى والدولاب والسهم لا تركيب فيها) لاتحادها.

(بخلاف حركة المصحف في قوله وكأن البرق مصحف قار) بحذف الهمزة أي قارئ.

(فانطباق مرة وانفتاحا) أي: فينطبق انطباقا مرة وينفتح انفتاحا أخرى فإن فيها تركيبا لأن المصحف يتحرك في حالتى الانطباق والانفتاح إلى جهتين في كل حالة إلى جهة واحدة.

(وقد يقع التركيب في هيئة السكون كما في قوله في صفة كلب يقعي) أي: يجلس على اليتيه.

(جلوس البدوي المصطلي) من اصطلى بالنار.

(من الهيئة الحاصلة من موقع كل عضو منه) أي: من الكلب.

(في إقعائه) فإنه يكون لكل عضو منه في الإقعاء موقع خاص وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع، وكذلك صورة جلوس البدوى عند الاصطلاء بالنار الموقدة على الارض.

(و) المركب (العقلي) من وجه الشبه.

(كحرمان الانتفاء بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة:٥]) جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب فإنه أمر عقلي منتزع من عدة أمور؛ لأنه روعى من الحمار فعل مخصوص هو الحمل وأن يكون المحمول أوعية العلوم وأن الحمار جاهل بما فيها وكذا في جانب المشبه.

(واعلم أنه قد ينتزع) وجه الشبه.

(من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر) من ذلك المتعدد.

(كما إذا انتزع) وجه الشبه.

(من الشطر الأول من قوله:

كما أَبْرَقَتْ قَوْماً عِطَاشاً)

في الأساس: أبرقت لي فلانة إذا تحسنت لك وتعرضت، فالكلام ههنا على حذف الجار، وإيصال الفعل أي: أبرقت لقوم عطاش جمع عطشان.

(غَمَامَةٌ فلمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وتجَلَّتِ)(١)

أي: تفرقت وانكشفت فانتزاع وجه الشبه من مجرد قوله كما ابرقت قوما عطاشا غمامة خطأ.

(لوجوب انتزاعه من الجميع) أعني جميع البيت.

(فإن المراد التشبيه) أي: تسبيه الحالة المذكورة في الأبيات السابقة بحالة ظهور غمامة للقوم العطاش ثم تفرقها وانكشافها وبقائهم متحيرين.

(باتصال) أي: باعتبار اتصال فالباء ههنا مثلها في قولهم التشبيه بالوجه العقلي الاعم إذ الأمر المشترك فيه ههنا هو اتصال.

(ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس) وهذا بخلاف التشبيهات المجتمعة كما في قولنا: زيد كالأسد والسيف والبحر، فإن القصد فيها إلى التشبيه لكل واحد من الأمور على حدة حتى لو حذف ذكر البعض لم يتغير حال الباقي في إفادة معناه بخلاف المركب فإن المقصود منه يختل باسقاط بعض الأمور.

---

(١) البيت من الطويل، ولا أعرف قائله.
والمعنى: أبرقت الغمامة للقوم، فحذف الجار وأوصل الفعل، ومعنى أقشعت وتجلت: تفرقت وانكشفت.
والشاهد فيه: المركب العقلي من وجه الشبه، وأنه قد ينتزع من متعدد فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر، كما إذا انتزع وجه الشبه من الشطر الأول من البيت، فإنه يكون خطأ لوجوب انتزاعه من جميعه، فإن المراد تشبيه الحالة المذكورة في الأبيات السابقة على هذا البيت بظهور الغمامة لقوم عطاش ثم تفرقها وانكشافها بواسطة اتصال مطمع بانتهاء موئس، لأن البيت مثل في أن يظهر للمضطر إلى الشيء الشديد الحجة إليه أمارة وجوده ثم يفوته ويبقى تحسره وزيادة ترجيه.
وفي معناه قول مسلم بن الوليد من الطويل:

وشِمْتُكَ إذ أقبلت في عارِضِ الغِنَى .. فأقْلَعْتَ لم تَنْبض بِريٍّ ولا مَحْلِ

وانظر معاهد التنصيص ١ / ١٧.

(والمتعدد الحسي كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى و) المتعدد.

(العقلي كحدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد) أي: نزو الذكر على الأنثى.

(في تشبيه طائر بالغراب و) المتعدد.

(المختلف) الذي بعضى حسي وبعضه عقلي.

(كحسن الطلعة) الذي هو حسي.

(ونباهة الشأن) أي: شرفه واشتهاره الذي هو عقلي.

(في تشبيه إنسان بالشمس) ففى المتعدد يقصد اشتراك الطرفين في كل من الأمور المذكورة ولا يعمد إلى انتزاع هيئة منها تشترك هي فيها.

(واعلم أنه قد ينتزع الشبه) أي: التماثل يقال بينهما شبه بالتحريك أي تشابه، والمراد به ههنا ما به التشابه أعني وجه التشبيه.

(من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه) أي: في التضاد لكون كل منهما متضادا للآخر.

(ثم ينزل) التضاد.

(منزلة التناسب بواسطة تمليح) أي: إتيان بما فيه ملاحة وظرافة. يقال ملح الشاعر إذا اتى بشيء مليح. وقال الإمام المرزوقي في قول الحماسي:

أتاني من أبي أنس وعيد ... فسل لغيظة الضحاك جسمي

أن قائل هذه الأبيات قد قصد بها الهزؤ والتمليح. وأما الإشارة إلى قصة أو مثل أو شعر فانما هو التلميح بتقديم اللام على الميم وسيجيء ذكره في الخاتمة. والتسوية بينهما إنما وقعت من جهة العلامة الشيرازي رحمه الله تعالى وهو سهو.

(أو تهكم) أي: سخرية واستهزاء.

(فيقال للجبان: ما أشبهه بالأسد، وللبخيل: أنه هو حاتم) كل من المثالين صالح للتمليح والتهكم، وإنما يفرق بينهما بحسب المقام فإن كانالقصد إلى ملاحة وظرافة دون استهزاء وسخرية بأحد فتمليح، وإلا فتهكم.

وقد سبق إلى بعض الأوهام نظرا إلى ظاهر اللفظ أن وجه الشبه في قولنا للجبان: هو أسد، وللبخيل: هو حاتم، هو التضاد المشترك بين الطرفين باعتبار الوصفين المتضادين.

وفيه نظر؛ لأنا إذا قلنا الجبان كالأسد في التضاد أي في كون كل منهما متضادا للاخر لا يكون هذا من التمليح والتهكم في شيء كما إذا قلنا السواد كالبياض في اللونية أو في التقابل ومعلوم أنا إذا اردنا التصريح بوجه الشبه في قولنا للجبان هو أسد تمليحا أو تهكما لم يتأت لنا إلا أن نقول في الشجاعة.

لكن الحاصل في الجبان إنما هو ضد الشجاعة فنزلنا تضادهما منزلة التناسب وجعلنا الجبن بمنزلة الشجاعة على سبيل التمليح والهزؤ.

(وأداته) أي: أداة التشبيه.

(الكاف وكأن). وقد تستعمل عند الظن بثبوت الخبر من غير قصد إلى التشبيه سواء كان الخبر جامدا أو مشتقا نحو :كأن زيدا أخوك وكأنه قدم وكانك قلت وكأني قلت.

(ومثل، وما في معناه) مما يشتق من المماثلة والمشابهة ومما يؤدى هذا المعنى.

(والأصل في نحو الكاف) أي: في الكاف ونحوها كلفظ نحو ومثل وشبه بخلاف كأن وتماثل وتشابه.

(أن يليه المشبه به) لفظا نحو زيد كالأسد أو تقديرا نحو قوله تعالى " أو كصيب من السماء " على تقدير أو كمثل ذوى صيب.

(وقد يليه) أي: نحو الكاف.

(غيره) أي: غير مشبه به.

(نحو: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ ﴾ [الكهف: ٤٥]) الآية إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتحمل تقديره بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات الحاصل من الماء يكون اخضر ناضرا شديد الخضرة ثم ييبس فتطيره الرياح كأن لم يكن ولا حاجة إلى تقدير كمثل ماء لأن المعتبر

هو الكيفية الحاصلة من مضمون الكلام المذكور بعد الكاف واعتبارها مستغن عن هذا التقدير.

ومن زعم أن التقدير كمثل ماء وأن هذا مما يلي الكاف غير المشبه به بناء على أنه محذوف فقدسها سهوا بينا لأن المشبه به الذي يلي الكاف قد يكون ملفوظا به وقد يكون محذوفا على ما صرح به في الإيضاح.

(وقد يذكر فعل ينبئ عنه) أي: عن التشبيه.

(كما في: علمت زيدا أسدا أن قرب) التشبيه وادعى كمال المشابهة لما في علمت من معنى التحقيق.

(وحسبت) زيدا أسدا.

(أن بعد) التشبيه لما في الحسبان من الأشعار بعدم التحقيق والتيقن وفى كون مثل هذه الأفعال منبئا عن التشبيه نوع خفاء والأظهر أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه في القرب والبعد.

(والغرض منه) أي: من التشبيه.

(في الأغلب يعود إلى المشبه وهو) أي: الغرض العائد إلى المشبه.

(بيان إمكانه) أي: المشبه. وذلك إذا كان أمرا غريبا يمكن أن يخالف فيه ويدعي امتناعه.

(كما في قوله: [الوافر]

فَإِن تَفُقِ الأَنامَ وَأَنتَ مِنهُم ... فَإِنَّ المِسكَ بَعضُ دَمِ الغَزالِ [1]

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الوافر، يرثي بها والدة سيف الدولة بن حمدان، أولها:

نُعِدُّ المَشْرفيَّة والعَوالي .... وتَقتلنا المَنونُ بلا قِتَالِ

ونرتَبِطُ السَّوابِقَ مُقرَبَاتٍ .. وما يُنجِينَ من خَبَبِ الليالي

وهي طويلة، وقبل البيت قوله يخاطب سيف الدولة:

رَأيتُكَ في الذين أرى ملُوكاً .. كأنكَ مُستقيمٌ في مُحالِ

فإنه لما ادعى أن الممدوح قد فاق الناس حتى صار أصلا برأسه وجنسا بنفسه وكان هذا في الظاهر كالممتنع احتج لهذه الدعوى وبين امكانها بأن شبه هذه الحال بحال المسك الذي هو من الدماء ثم إنه لا يعد من الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم. وهذا التشبيه ضمني ومكنى عنه لا صريح.

(أو حاله) عطف على إمكانه أي بيان حال المشبه بأنه على أي وصف من الأوصاف.

(كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد) إذا علم السامع لون المشبه به دون المشبه.

(أو مقدارها) أي: بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف والزيادة والنقصان.

(كما في تشبيهه) أي: تشبيه الثوب الأسود.

(بالغراب في شدته) أي: في شدة السواد.

(أو تقريرها) مرفوع عطفا على بيان امكانه أي تقرير حال المشبه في نفس السامع وتقوية شأنه.

=

حكى أن المتنبي قيل له: إن المحال لا يطابق الاستقامة، ولكن القافية أجأتك إلى ذلك، فلو فرض أنك قلت: كأنك مستقيم في اعوجاج، كيف كنت تصنع في الثاني؟ فقال ولم يتوقف: فإن البيض بعض دم الدجاج. فاستحسن هذا من بديهته.

والشاهد فيه: بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود، وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعي امتناعه، فإنه أراد أن يقول: إن الممدوح قد فاق الناس، بحيث لم يبق بينه وبينهم مشابهة بوجه، بل صار أصلاً برأسه وجنساً بمفرده، وهذا في الظاهر كالممتنع، لاستبعاد أن تتناهى بعض آحاد النوع في الفضائل الخاصة بذلك النوع إلى أن يصير كأنه ليس منها، فاحتج لهذه الدعوى وبين إمكانها بأن شبه حاله بحال المسك الذي هو من الدماء ثم إنه لا يعد منها لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا توجد في الدم، ويسمى مثل هذا تشبيهاً ضمنياً أو مكنياً عنه، لدلالة البيت عليه ضمنا.

وقد أحسن السراج الوراق تضمينه بقول من الوافر:

وأَصْيَدَ ظَلَّ يدركُ يومَ صَيْدٍ .... طَرائدَهُ بجُرْدٍ كالسَّعَالي

فإن عَبِقَتْ لنا يمناهُ مِسْكا .. فإن المسكَ بعضُ دم الغزَالِ.

(كما في تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على الماء) فإنك تجد فيه من تقرير عدم الفائدة وتقوية شأنه ما لا تجده في غيره لأن الألف بالحسيات أتم منه بالعقليات لتقدم الحسيات وفرط الف النفس بها.

(وهذه) أي: الأغراض.

(الأربعة تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم وهو به أشهر) أي: وأن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر وأعرف وظاهر هذه.

العبارة أن كلا من الأربعة يقتضي الأتمية والأشهرية. لكن التحقيق أن بيان الامكان وبيان الحال لا يقتضيان إلا الأشهرية ليصح القياس، ويتم الاحتجاج في الأول ويعلم الحال في الثاني وكذا بيان المقدار لا يقتضي الأتمية بل يقتضي أن يكون المشبه به على حد مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص ليتعين مقدار المشبه على ما هو عليه.

وأما تقرير الحال فيقتضي الأمرين جميعا لأن النفس إلى الأتم والأشهر أميل فالتشبيه به بزيادة التقرير والتقوية أجدر.

(أو تزيينه) مرفوع عطفا على بيان إمكانه أي تزيين المشبه في عين السامع.

(كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الظبي أو تشويهه) أي: تقبيحه.

(كما في تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة) جمع ديك.

(أو استطرافه) أي: عد المشبه طريفا حديثا بديعا.

(كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب لإبرازه) أي: إنما استطرف المشبه في هذا التشبيه لإبراز المشبه.

(في صورة الممتنع) الوقوع.

(عادة) وأن كان ممكنا عقلا ولا يخفى أن الممتنع عادة مستطرف غريب.

(وللاستطراف وجه آخر) غير الابراز في صورة الممتنع عادة.

(وهو أن يكون المشبه نادر الحضور في الذهن إما مطلقا كما مر) في تشبيه فحم فيه جمر موقد.

(وأما عند حضور المشبه كما في قوله [البسيط]: ولازَوَرْدِيَّةٍ) يعني البنفسج.

(تزهُو) قال الجوهرى في الصحاح: زهى الرجل فهو مزهو إذا تكبر. وفيه لغة أخرى حكاها ابن دريد: زها يزهو زهوا.

(بزُرْقَتِهَا بين الرياض على حُمْرِ اليواقيتِ)

يعني: الأزهار والشقائق الحمر.

(كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائلُ النَّار في أطراف كِبْرِيتِ)[1]

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة حضور بحر من المسك موجه الذهب لكن يندر حضورها عند حضور صورة البنفسج فيستطرف بمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية البعد.

(وقد يعود) أي: الغرض من التشبيه.

(أي: المشبه به وهو ضربان: أحدهما إيهام أنه أتم من المشبه) في وجه الشبه.

(وذلك في التشبيه المقلوب) الذي يجعل فيه الناقص مشبها به قصدا إلى ادعاء أنه أكمل.

---

(١) البيتان لابن الرومي يصف البنفسج، وقبلهما:

بنفسجٌ جُمِعَتْ أوْرَاقُهُ فحكَى .. كُحلاً تَشَرَّبَ دَمعاً يوم تشتيتِ

وهي من قصيدة من البسيط: والشاهد فيهما: كون المشبه به نادر الحضور في الذهن عند حضور المشبه فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت يندر حضورها في الذهن عند حضور صورة البنفسج، فيستطرف لمشاهدة عناق بين صورتين متباعدتين غاية التباعد فإنه أراك شبهاً لنبات غض يرف، وأوراق رطبة من لهب نار، استولى عليه اليبس، ومبنى الطبائع على أن الشيء إذا ظهر من موضع لم يعهد ظهوره منه كان ميل النفوس إليه أكثر، وهي بالشغف به أجدر.

وهذان البيتان من نادر التشبيه وغريبه، وليس يعد لهما إلا قول النميري من البسيط:

بَنفسجٌ بذكِيِّ المسك مخصوصُ .. ما في زمانكَ إن وافاكَ تنغيص

كأنها شُعَلُ الكبريت منظرهُ ... أو خدٌّ أغيدَ بالتخميش مَقْروصُ

(كقوله: [مجزوء الكامل]

وبدا الصباحُ كأنَّ غُرَّتَه)

هي بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم استعيرت لبياض الصبح.

(وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتَدَحُ)(١)

فإنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء، وفي قوله: حين يمتدح دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالإصغاء إليه والارتياح له وعلى كماله في الكرم حيث يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح.

(و) الضرب.

(الثاني) من الغرض العائد إلى المشبه به.

(بيان الاهتمام به) أي: بالمشبه به.

---

(١) البيت لمحمد بن وهيب الحميري، من قصيدة من الكامل، يمدح بها المأمون، أولها:

العذرُ إن أنصفتَ متضحُ .. وشهودُ حبكَ أدمُعٌ سفُحُ
وإذا تكلمتِ العيونُ علىَ ...... إعْجامها فالسرُّ مفتضحُ
فضحتْ ضميرَكَ عن ودَائعهِ .. إن الجفون نواطقٌ فُصُحُ
رُبَمَا أبيتُ مُعانقي قمرٌ .... للحسن فيه مخايلٌ تَضِحُ
نشرَ الجمالُ على محاسنهِ .... بِدَعاً وأذهَبَ همهُ الفرحُ
يختالُ في حُلَلِ الشبابِ، بِهِ .... مَرَحٌ وَدَاؤُكَ أنهُ مَرِحُ
مازَالَ يُلْثمني مَرَاشفهُ .... ويعلّني الإبريقُ والقدحُ
حتى استردَّ الليلُ خِلعتَهُ ...... ونشَا خِلاَلَ سَوادِهِ وَضَحُ

وبعده البيت، ثم إنه يقول فيها:

نشرَتْ بكَ الدُّنيا محاسنها ... وتزَينتْ بصفاتكَ المِدَحُ
وكأنَّ ما قد غابَ عنكَ لهُ .. بإزاء طرفكَ عارضاً شبَحُ
وإذا سَلمْتَ فكلُّ حادثة .... جَلَلٌ، فلاَ بُؤْسٌ ولا تَرحُ

والشاهد في البيت: إيهام أن المشبه به أتم من المشبه، ويسمى التشبيه المقلوب، فإنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء، وفي قوله حين يمتدح دلالة على اتصاف الممدوح بمعرفة حق المادح وتعظيم شأنه عند الحاضرين بالإصغاء إليه والارتياح له، وعلى كونه كاملا في الكرم، يتصف بالبشر والطلاقة عند استماع المديح.

(كتشبيه الجائع وجها كالبدر في الاشراق والاستدارة بالرغيف ويسمى هذا) أي: التشبيه المشتمل على هذا النوع من الغرض.

(إظهار المطلوب، هذا) الذي ذكرناه من جعل أحد الشيئين مشبها والآخر مشبها به إنما يكون.

(إذا أريد إلحاق الناقص) في وجه الشبه.

(حقيقة) كما في الغرض العائد إلى المشبه.

(أو ادعاء) كما في الغرض العائد إلى المشبه به.

(بالزايد) في وجه الشبه.

(فإن أريد الجمع بين شيئين في امر) من الأمور من غير قصد إلى كون أحدهما ناقصا والآخر زائدا سواء وجدت الزيادة والنقصان أم لم توجد.

(فالأحسن ترك التشبيه) ذاهبا.

(إلى الحكم بالتشابه) ليكون كل واحد من الشيئين مشبها ومشبها به.

(احترازا عن ترجيح أحد المتساويين) في وجه الشبه.

(كقوله:

تَشَابَهَ دَمْعِي إِذْ جَرَى وَمُدَامَتي ... فمِنْ مِثْلِ مَا في الكأسِ عَيْنِي تَسْكبُ

فوالله ما أَدْري أَباِلخمر أَسْبَلَتْ ... جُفونِيَ ....)

يقال: أسبل الدمع والمطر إذا هطل، وأسبلت السماء فالباء في قوله " أبالخمر " للتعدية. وليست بزائدة على ما توهم بعضهم.

(أمْ من عَبْرَتي كُنْتُ أشْرَبُ)[1]

---

(١) البيتان لأبي إسحاق الصابي، من الطويل، ورأيت في اليتيمة البيت الأول بلفظ تورد بدل تشابه.
والشاهد فيهما: ترك التشبيه والعدول إلى الحكم بالتشابه، ليكون كل واحد من الشيئين مشبهاً ومشبهاً به، احترازاً من ترجيح أحد المتساويين في وجه الشبه، فإن الشاعر لما اعتقد التساوي بين الخمر والدمع ولم يعتقد أن أحدهما زائد في الحمرة والآخر ناقص يلحق به حكم بينهما بالتشابه وترك التشبيه.

لما اعتقد التساوى بين الدمع والخمر ترك التشبيه إلى التشابه.

(ويجوز) عند إرادة الجمع بين شيئين في أمر.

(التشبيه أيضا) لأنهما وإن تساويا في وجه الشبه بحسب قصد المتكلم إلا أنه يجوز له ان. يعجل أحدهما مشبها والآخر مشبها به لغرض من الأغراض، وسبب من الأسباب مثل زيادة الاهتمام وكون الكلام فيه.

(كتشبيه غرة الفرس بالصبح وعكسه) أي: تشبيه الصبح بغرة الفرس.

(متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه) أي: من ذلك المنير من غير قصد إلى المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلاء لؤ ونحو ذلك إذ لو قصد ذلك لوجب جعل الغرة مشبها والصبح مشبها به.

(وهو) أي: التشبيه.

(باعتبار الطرفين) المشبه والمشبه به أربعة أقسام لأنه.

(إما تشبيه مفرد بمفرد وهما) أي: المفردان.

(غير مقيدين كتشبيه الخد بالورد أو مقيدان كقولهم) لمن لا يحصل من سعيه على طائل.

(هو كالراقم على الماء) فالمشبه هو الساعي المقيد بأن لا يحصل من سعيه على شيء والمشبه به وهو الراقم المقيد بكون رقمه على الماء لأن وجه الشبه هو التسوية بين الفعل وعدمه وهو موقوف على اعتبار هذين القيدين.

=

وفي معناه قول الصاحب بن عباد من الكامل:

رقَّ الزجاجُ ورَاقَتِ الخمرُ .. وتَشَابها فَتشاكلَ الأمرُ

والصابي هو إبراهيم بن هلال بن هارون الحراني. قال في حقه أبو منصور الثعالبي: هو أوحد العراق في البلاغة، ومن به تثنى الخناصر في الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة. وكان قد بلغ التسعين في خدمة الخلفاء، وخلافة الوزراء، وتقلد الأعمال الجلائل، مع ديوان الرسائل، وحلب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره، ولابس خيره ومارس شره، ورئس ورأس، وخدم وخدم، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء، وشاع ذكره في الآفاق، ودون له من الكلام البهي النقي العلوي ما تناثرت درره وتكاثرت غرره.

(أو مختلفان) أي: أحدهما مقيد والآخر غير مقيد.

(كقوله: وَالشَمسُ كَالمِرآةِ فِي كَفِّ الأَشَل) فالمشبه به أعني المرآة مقيدة بكونه في كف الأشل بخلاف المشبه أعني الشمس.

(وعكسه) أي: تشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس فالمشبه مقيد دون المشبه به.

(وأما تشبيه مركب بمركب) بأن يكون كل من الطرفين كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا.

(كما في بيت بشار).

كأنّ مُثارَ النَّقعِ فوقَ رُؤُوسنا وأسيافَنا...............

على ما سبق تقريره.

(وأما تشبيه مفرد بمركب كما مر من تشبيه الشقيق) وهو مفرد باعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وهو مركب من عدة امور، والفرق بين المركب والمفرد المقيد احوج شيء إلى التأمل فكثيرا مما يقع الالتباس.

(وأما تشبيه مركب بمفرد كقوله: يا صاحبي تقصيا نظريكما) في الأساس تقصيته أي بلغت اقصاه أي اجتهدا في النظر وابلغا أقصى نظريكما.

(تريا وجود الأرض كيف تصور) أي: تتصور حذفت التاء، يقال صوره الله صورة حسنة فتصور.

(تريا نهارا مشمسا) أي: ذا شمس لم يستره غيم.

(قد شابه) أي: خالطه.

(زهر الربا) خصها لأنها انضر وأشد خضرة ولأنها المقصود بالنظر.

(فكأنما هو) أي: ذلك النهار المشمس الموصوف.

obeikandl.com

(مقمر)(١) أي: ليل ذو قمر لأن الازهار باخضرارها قد نقصت من ضوء الشمس حتى صارت تضرب إلى السواد فالمشبه مركب والمشبه به مفرد وهو المقمر.

(وأيضًا) تقسيم آخر للتشبيه باعتبار الطرفين وهو أنه.

(إن تعدد طرفاه فإما ملفوف) وهو أن يؤتى أولا بالمشبهات على طريق العطف أو غيره ثم بالمشبه به كذلك.

---

(١) البيتان لأبي تمام الطائي، من قصيدة من الكامل يمدح بها المعتصم.

يا صَاحِبيّ تَقَصَّيَا نَظَرَيكما .. تَرَيا وجُوهَ الأرضِ كَيْفَ تُصَوَّرُ
تَرَيا نَهاراً مُشمِساً قَدْ شَابَهُ ...... زَهْرُ الرُّبا فَكأنّما هُوَ مُقْمِرُ

أولها:

رقّتْ حَوَاشي الدهرِ فهي تَمَرْمَرُ .. وغدا الثرى في حَلْيِهِ يتكسرُ
بذلتْ مقدمة المصيف حيدةً ..... ويد الشتاء جديدة لا تكفر
لولاَ الذي غرس الشتاء بكفِّهِ ... قاسي المصيفُ هشائماً لا تُثْمرُ
كم ليلةٍ آسى البلاد بنفسه ...... فيها ويـــــوم وبلُهُ متفجرُ
مطرٌ يذوب الصخرُ منه وبعدُه .. صَحْوٌ يكاد من الغضارة يقطر
غَيْثان فالأنواء غيثٌ ظاهرٌ ... لكَ وجهه والصَّحو غيث مضمرُ
ونَدًى إذا ادَّهَنتْ بِهِ لِمَمُ الثرى .. خلتَ السحاب أتاه له وَهو معذرُ
أربيعنا في تسع عشرة حجةً .... حقاً لَـــــوَجْهكَ لَلرَّبيعُ الأزهر
ما كانت الأيامُ تسلب بهجةً ...... لو أن حسن الروض كان يُعَمَّرُ
أولا ترى الأشياء إن هي غيرتْ . سمُجتْ وحسن الأرض حين تغيرُ

وبعده البيتان، وبعدهما:

دنيا مَعاش للورى حتى إذا ...... حَلَّ الربيعُ فإنما هيَ منظرُ
أضْحَتْ تصوغُ بطونُها لظُهُورِها .. نَوْراً تكادُ له القلوبُ تُنَوِّرُ
من كل زَاهرةٍ ترقرقُ بالنَّدى .... فكأنها عينٌ لديكَ تَحَدَّرُ

وهي طويلة.

ومعنى تقصيا نظريكما: ابلغا أقصى نظريكما وغاية ما تبلغانه، واجتهدا في النظر، وتصور أصلها تتصور فحذف إحدى التاءين.

والشاهد فيهما: تشبيه المركب بالمفرد، فإنه شبه المشمس الذي اختلط به أزهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صار يضرب إلى السواد، بالليل المقمر، فالمشبه مركب، والمشبه به مفرد، قيل: ولا يخلو هذا من تسامح.

(كقوله) في صفة العقاب بكثرة اصطياد الطيور.

(كأن قلوب الطير رطبا) بعضها.

(ويابسا) بعضها.

(لدي وكرها العناب والحشف) وهو أردأ التمر.

(البالي)[1] شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالي؛ إذ ليس لاجتماعها هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها إلا أنه ذكر أولا المشبهين ثم المشبه بهما على الترتيب.

(أو مفروق) وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر.

(كقوله: النشر) أي: الطيب والرائحة.

(مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكف). وروى أطراف البنان.

(عنم)[2] هو شجر أحمر لين.

---

(١) البيت من الطويل، وقائله امرؤ القيس من قصيدته السابقة في أول هذا الفن، وقبله:

كأني بفتْخَاءِ الجناحين لِقْوَةٍ .... على عجَلٍ منها أطاطئ شِيَالي
تخطَّفُ خِزَّان الأُنَيْعِمِ بالضحى .. وقد حجرت منها ثعالبُ أورال

وبعده البيت، وبعده:

فلوْ أنَّ ما أسْعَى لأدنى مَعِيشَةٍ ..... كفاني ولم أطلُبْ قليلٌ من المالِ
ولكنما أسْعَى لمجدٍ مُؤثَّلٍ .... وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤَثَّلَ أمثالي
وَمَا المرْءُ ما دَامَتْ حُشَاشَةُ نفسه .. بمُدْرِكٍ أطرافِ الخطوب ولا آلي

والحشف: أردأ التمر، والضعيف الذي لا نوى له، أو اليابس الفاسد.

والشاهد فيه: التشبيه الملفوف، وهو: أن يؤتى على طريق العطف أو غيره بالمشبهات أولاً ثم بالمشبه بها، فهنا شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالي، إذ ليس لاجتماعها هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها، ولذا قال الشيخ عبد القاهر: إنه نما يتضمن الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه، لا أن للجمع فائدةً في عين التشبيه.

(٢) البيت لمرقش الأكبر، من قصيدة من السريع، قالها في مرثية عم له، أولها:

هل بالديار أن تجيبَ صَمَمْ ..... لو أن حيّاً ناطِقاً كلَّمْ
الدارُ وحْشٌ والرسُوم كما ... رَقَّشَ في ظَهْر الأديم قَلَمْ

(وإن تعدد طرفه الأول) يعني: المشبه دون الثاني يعني المشبه به.

(فتشبيه التسوية كقوله:

صدغ الحبيب وحالي ... كلاهما كالليـــالي[1]

وإن تعدد طرفه الثاني) يعني: المشبه به دون الأول.

(فتشبيه الجمع كقوله: [السريع])

باتَ نَديماً لِيَ حَتّى الصَباح ... أغيَدُ مَجدولُ مَكانِ الوِشاح

(كأنما يبسم) ذلك الأغيد أي الناعم البدن.

(عن لؤلؤ منضد) منظم.

=

ديارُ أسماء التي سَلَبَتْ ...... قلبي فَعَيني ماؤها يَسْجُمْ

أضحَتْ خلاءً نبْتُها ثَئِدٌ .... نوَّرَ فيها زهرُه فَاعْتَمّ

بل هَل شجَتك الظُّعْنُ باكرةً ... كأنها النَّخْلُ من مَلهَم

وبعده البيت، ومنها:

لسنا كأقْوام خَلائقُهُمْ ..... نَثُّ الحديثِ ونَهْكة المحَرمْ

إن يُخْصِبُوا يَبْغُوا بخصبهمُ .. أو يُجْدِبوا فهمْ به ألأمْ

وهي قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن، ولا حسنة الروي، ولا متخيرة اللفظ، ولا لطيفة المعنى، قال ابن قتيبة: ولا أعلم فيها شيئاً يستحسن إلا قوله النشر مسك .. البيت.

ويستجاد منها أيضاً قوله:

ليس على طولِ الحياةِ نَدَم .. ومن وراء المرْءِ ما يعْلَمْ

النشر: الريح الطيبة، أو أعم، أو ريح فم المرأة وأعطافها بعد النوم. والعنم: شجر لين الأغصان يشبه بنان الجواري. وقيل: هي أطراف الخروب. الشامي عن أبي عبيدة. وقيل: هو شجر له أغصان حمر، وقيل: هو ثمر العوسج يكون أحمر ثم يسود إذا عقد ونضج.

والشاهد فيه: التشبيه المفروق، وهو: أن يؤتى بمشبه ومشبه به، ثم آخر وآخر، وهو واضح في البيت.

(١)هو من المجتث، ولا أعرف قائله.

والشاهد فيه: تشبيه التسوية، وهو تعدد طرف المشبه، وهو هنا الصدغ والحال، دون المشبه به، وهو الليالي.

ومثله قول أبي محمد المطراني من الوافر:

مُهفهفةٌ لها نصفٌ قصيفٌ .. كخُوط البان في نصف رداحِ

حكتْ لوناً وليناً واعتدالاً .. ولحظاً قاتلاً سُمْرَ الرِّمَاحِ، وانظر معاهد التنصيص ١/ ١٥٩.

(أو برد) هو حب الغمام.

(أو أقاح)[1] جمع أقحوان وهو ورد له نور شبه ثغره بثلاثة أشياء.

(وباعتبار وجهه) عطف على قوله باعتبار الطرفين.

(إما تمثيل وهو ما) أي: التشبيه الذي.

(وجهه) وصف.

(منتزع من متعدد) أي: أمرين أو أمور.

(كما مر) من تشبيه الثريا وتشبيه مثار النقع مع الأسياف، وتشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل وغير ذلك.

(وقيده) أي: المنتزع من متعدد.

(السكاكي بكونه غير حقيقي) حيث قال: التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل.

(كما في تشبيه: مثل اليهود بمثل الحمار) فإن وجه الشبه هو حرمان الانتفاع بابلغ نافع مع الكد والتعب في استصحابه فهو وصف مركب من متعدد وليس بحقيقى بل وهو عائد إلى التوهم.

(وإما غير تمثيل وهو بخلافه) أي: بخلاف التمثيل يعني ما لا يكون وجهه منتزعا من متعدد وعند السكاكي ما لا يكون منتزعا من متعدد ولا يكون وهميا واعتباريا بل يكون حقيقا فتشبيه الثريا بالعنقود المنور تمثيل عند الجمهور دون السكاكي.

---

(١)البيت للبحتري، من قصيدة من السريع، يمدح بها أبا نوح عيسى ابن إبراهيم، أولها:

بات نديماً لِيَ حَتَّى الصباحْ .. أغيدُ مجْدولُ مكان الوِشَاحْ

كأنما يضحكُ عن لؤلؤ .... منظَّمٍ أو بردٍ أو أقاح

والمنضد: المنظم، والبرد: حب الغمام، والأقاح: جمع أقحوان، وهو ورد له نور.

والشاهد فيه: تعدد طرف المشبه به - وهو هنا اللؤلؤ والبرد والأقاح - دون المشبه، وهو الثغر.

وقد جاء تشبيه الثغر بخمسة في قول الحريري من البسيط:

يفترُّ عن لؤلؤ رطبٍ وعن بَرَدٍ .. وعن أقاح وعن طَلْع وعن حَبَبِ.

(وأيضًا) تقسيم آخر للتشبيه باعتبار وجهه وهو أنه.

(إما مجمل وهو ما لم يذكر وجهه فمنه) أي: فمن المجمل.

(ما هو ظاهر) وجهه أو فمن الوجه الغير المذكور ما هو ظاهر.

(يفهمه كل أحد) ممن له مدخل في ذلك.

(نحو: زيد كالأسد، ومنه خفي لا يدركه إلا الخاصة كقول بعضهم) ذكر الشيخ عبد القاهر: أنه قول من وصف بني المهلب للحجاج لما سأله عنهم وذكر جار الله أنه قول الانهارية فاطمة بنت الخرشب وذلك أنها سئلت عن بنيها أيهم أفضل فقالت عمارة لا بل فلان لابل فلان ثم قالت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل.

(هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، أي: هم متناسبون في الشرف) يمتنع تعين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه.

(كما أنها) أي: الحلقة المفرغة متناسبة الأجزاء في الصورة يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا لكونها مفرغة مصمتة الجوانب كالدائرة.

(وأيضًا منه) أي: من المجمل وقوله منه دون أن يقول وأيضًا إما كذا وأما كذا اشعار بأن هذا من تقسيمات المجمل لا من تقسيمات مطلق التشبيه أي ومن المجمل.

(ما لم يذكر فيه أحد الطرفين) يعني الوصف الذي يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه نحو زيد أسد.

(ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده) أي: الوصف المشعر بوجه الشبه كقولها هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها.

(ومنه ما ذكر فيه وصفهما) أي: المشبه والمشبه به كليهما.

(كقوله: صَدَفْتُ عنهُ) أي: اعرضت عنه.

(ولم تَصْدِف مواهبُهُ عني، وعاوَدَهُ ظني فلم يَخِبِ

كالغيثِ إنْ جئتهُ وافاكَ.

أي: أتاك. (رَيِّقُهُ). يقال: فعله في روق شبابه وريقه أي أول وأصابه ريق المطر. وريق كل شيء أفضله.

(وإن ترحَّلْتَ عنهُ لج في الطلب)(١)

وصف المشبه أعني الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض، وكذا وصف المشبه به أعني الغيث بأنه يصيبك أن جئته أو ترحلت عنه والوصفان مشعر أن بوجه الشبه أعني الإضافة في حالتي الطلب وعدمه وحالتي الاقبال عليه والإعراض منه.

(وإما مفصل) عطف على إما مجمل.

(وهو ما ذكر وجهه كقوله:

وثغره في صفاء   وأدمعي كاللآلي(٢)

---

(١) البيتان لأبي تمام، من قصيدة من البسيط يمدح بها الحسن بن رجاء ابن الضحاك، أولها:

أَبدَتْ أسىً أن رَأتني مُخْلَسَ القصبِ .. وآلَ ما كانَ من عُجْبٍ إلى عَجَبِ
ستّ وعشرونَ تدعوني فأتبعها .... إلى المشيبِ ولم تظلم ولم تَحِبِ
يَوْمي من الدهر مثلُ الدهر تجربةً ..... حزماً وعزماً وساعي منه كالحِقَبِ
وأصغري أنَّ شيباً لاحَ لي حدثاً .... وأكبري أنني في المهد لم أشبِ
ولاَ يؤرِّقْكِ إيماضُ القتير بهِ .... فإنّ ذاكَ ابتسامُ الرأي والأدبِ

يقول في مديحها.

مستصبحُ العيشُ بي والليل عندَ فتىً .. كثير ذكر الرِّضى في ساعة الغضب

وبعده البيتان.

ومعنى صدفت أعرضت وريق كل شيء: أوله وأصله، والرواية في ديوان أبي تمام مروءته بدل مواهبه، وكان بدل لج.

وذكرت بقوله فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب قول أبي الحسن علي بن طاهر بن منصور من الخفيف:

أعرَضَتْ حينَ أبصرَتْ شعراتٍ ......في عِذَارِي كأنهنَّ الثُّغَامُ
قلتُ: هذا تبسمُ الدّهرِ، قالتْ: . قد سعى في صدُودِكَ الابتسامُ

والشاهد في البيتين: التشبيه المجمل المذكور فيه وصف المشبه والمشبه به، فإنه وصف الممدوح بأن عطاياه فائضة عليه أعرض أو لم يعرض، وكذا وصف الغيث بأنه يصيبك جئته أو ترحلت عنه، وهذان الوصفان مشعران بوجه الشبه، أعني الإفاضة في حالتي الطلب وعدمه، وحالتي الإقبال عليه والإعراض عنه.

(٢)البيت من المجتث، وهو كالبيت السابق.

opeikanon.com

وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه) أي: بأن يذكر مكان وجه الشبه ما يستلزمه أي يكون وجه الشبه تابعا لازما له في الجملة.

(كقولهم للكلام الفصيح: هو كالعسل في الحلاوة فإن الجامع فيه لازمها) أي: وجه الشبه في هذا التشبيه لازم الحلاوة.

(وهو ميل الطبع) لأنه المشترك بين العسل والكلام لا الحلاوة التي هي من خواص المطعومات.

(وأيضًا) تقسيم ثالث للتشبيه باعتبار وجهه وهو أنه.

(إما قريب مبتذل، وهو ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه في بادي الرأي) أي: في ظاهره إذا جعلته من بدا الأمر يبدو أي ظهر وأن جعلته مهموزا من بدأ فمعناه في أول الرأى وظهور وجه الشبه في بادى الرأى يكون لامرين إما.

(لكونه أمرا جمليا) لا تفصيل فيه.

=

والشاهد فيه: التشبيه المفصل، وهو ما ذر فيه وجه الشبه، وهو هنا الصفاء.

حَمَلْتُ رُدَيْنِياً كأن سنانَهُ .. سنَا لَهبٍ لم يَتَّصِلْ بدُخانِ

البيت لامرئ القيس، من قصيدة من الطويل، أولها:

لمنْ طللٌ أبصَرْتُهُ فشَجَانِي .... كخطِّ زَبورٍ في عسيبِ يمانِي

دِيار لهندٍ والرَّباب وفَرْتَنَى .... ليَاليِنا بالنَّعْفِ من بدَلانِ

ليالِيَ يدعوني الصبا فأجيبهُ .... وأعيُنُ مَنْ أهوى إليَّ رَوَاني

فإنْ أمسِ مكرُوباً فيا ربّ بهمةٍ .. كشفتُ إذا ما اسودّ وجهُ جبان

وإن أمس مَكْرُوباً فيا رُبّ قينةٍ ..... مُنعمــــةٍ أعملتها بكرَانِ

لها مِزْهرٌ يعلو الخميسَ بصوتهِ .... أجشّ إذَا ما حرَّكَتْهُ يدَانِ

وهي طويلة.

والرديني: الرمح، نسبة إلى امرأة كان تعمل الرماح اسمها ردينة والشاهد فيه: تفصيل التشبيه، وهو على وجوه، أعرفها أن يأخذ بعضاً من الأوصاف، ويدع بعضاً كما فعل امرؤ القيس هنا حيث عزل الدخان عن السنا وجرده.

(فإن الجملة أسبق إلى النفس) من التفصيل ألا ترى أن إدراك الإنسان من حيث أنه شيء أو جسم أو حيوان أسهل وأقدم من إدراكه من حيث أنه جسم نام حساس متحرك بالإرادة ناطق.

(أو) لكون وجه الشبه.

(قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة) بين المشبه والمشبه به. إذ لا يخفى أن الشيء مع ما يناسبه أسهل حضورا منه مع ما لا يناسبه.

(كتشبيه الجرة الصغيرة بالكوز في المقدار والشكل) فإنه قد اعتبر في وجه الشبه تفصيل ما أعني المقدار والشكل إلا أن الكوز غالب الحضور عند حضور الجرة في الذهن.

(أو مطلقا) عطف على قوله عند حضور المشبه ثم غلبة حضور المشبه به في الذهن مطلقا تكون.

(لتكرره) أي: المشبه به.

(على الحس) فإن المتكرر على الحس كصورة القمر غير منخسف أسهل حضورا مما لا يتكرر على الحس كصورة القمر منخسفا.

(كالشمس) أي: كتشبيه المشس.

(بالمرآة المجلوة في الاستدارة والاستنارة) فإن في وجه الشبه تفصيلا ما لكن المشبه به أعني المرآة غالب الحضور في الذهن مطلقا.

(لمعارضة كل من القرب والتكرر التفصيل) أي: وإنما كانت قلة التفصيل في وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به بسبب قرب المناسبة أو التكرر على الحس سببا لظهوره المؤدى إلى الابتذال مع أن التفصيل من أسباب الغرابة لأن قرب المناسبة في الصورة الأولى والتكرر على الحس في الثانية يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المشبه إلى المشبه به فيصير وجه الشبه كأنه أمر جملي لا تفصيل فيه فيصير سببا للابتذال.

(وإما بعيد غريب) عطف على قوله إما قريب مبتذل.

(وهو بخلافه) أي: ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر وتدقيق نظر.

(لعدم الظهور) أي: لخفاء وجهه في بادي الرأى. وذلك أعني عدم الظهور.

(إما لكثرة التفصيل كقوله: وَالشَمسُ كَالمِرآةِ في كَفِّ الأَشَل). فإن وجه التشبه فيه من التفصيل ما قد سبق؛ ولذا لا يقع في نفس الرائي للمرآة الدائمة الاضطراب إلا بعد أن يستأنف تأملا ويكون في نظره متمهلا.

(أو ندور) أي: أو لندور.

(حضور المشبه به إما عند حضور المشبه لبعد المناسبة كما مر) من تشبيه البنفسج بنار الكبريت.

(وإما مطلقا) وندور حضور المشبه به مطلقا يكون.

(إما لكونه وهميا) كأنياب الاغوال.

(أو مركبا خياليا) كـ:

أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْنَ عَلى رماحٍ من زَبَرْجَدْ

(أو) مركبا.

(عقليا) ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

(كما مر) إشارة إلى الأمثلة التي ذكرناها آنفا.

(أو لقلة تكرره) أي: المشبه به.

(على الحس كقوله: وَالشَمسُ كَالمِرآةِ في كَفِّ الأَشَل) فإن الرجل ربما ينقضي عمره ولم يتفق له أن يرى مرآة في يد الأشل.

(فالغرابة فيه) أي: في تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل.

(من وجهين) أحدهما كثرة التفصيل في وجه الشبه والثاني قلة التكرر على الحس. فإن قلت كيف تكون ندرة حضور المشبه به سببا لعدم ظهور وجه الشبه. قلت لأنه فرع الطرفين

والجامع المشترك الذي بينهما إنما يطلب بعد حضور الطرفين فإذا ندر حضورهما ندر التفات الذهن إلى ما يجمعهما ويصلح سببا للتشبيه بينهما.

(والمراد بالتفصيل أن ينظر في أكثر من وصف) واحد لشئ واحد أو أكثر بمعنى أن يعتبر في الأوصاف وجودها أو عدمها أو وجود البعض وعدم البعض كل من ذلك في أمر واحد أو امرين أو ثلاثة أمور أو أكثر فلهذا قال.

(ويقع) أي: التفصيل.

(على وجوه) كثيرة.

(أعرفها أن تأخذ بعضها) من الأوصاف.

(وتدع بعضا) أي: تعتبر وجود بعضها وعدم بعضها.

(كما في قوله: حملت ردينيا) يعني رمحا منسوبا إلى ردينة.

(كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان) فاعتبر في اللهب الشكل واللون واللمعان وترك الاتصال بالدخان ونفاه.

(وأن تعتبر الجميع كما مر من تشبيه الثريا) بعنقود الملاحية المنورة باعتبار اللون والشكل وغير ذلك.

(وكلما كان التركيب) خياليا كان أو عقليا.

(من أمور أكثر كان التشبيه ابعد) لكون تفاصيله أكثر.

(و) التشبيه.

(البليغ ما كان من هذا الضرب) أي: من البعيد الغريب دون القريب المبتذل.

(لغرابته) أي: لكون هذا الضرب غريبا غير مبتذل.

(ولأن نيل الشيء بعد طلبه الذ) وموقعه في النفس الطف، وإنما يكون البعيد الغريب بليغا حسنا إذا كان سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعاني على البعض فإن المعاني الشريفة قلما تنفك عن بناء ثان على أول ورد تال على سابق فيحتاج إلى نظر وتأمل.

(وقد يتصرف في) التشبيه.

(القريب) المبتذل.

(بما يجعله غريبا) ويخرجه عن الابتذال.

(كقوله: [الكامل]

لَمْ تَلقَ هَذا الوَجهَ شَمسُ نَهارِنا إِلّا بِوَجهٍ لَيسَ فيهِ حَيــاءُ[1]

فتشبيه الوجه بالشمس قريب مبتذل إلا أن حديث الحياء وما فيه من الدقة والخفاء.

أخرجه إلى الغرابة.

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدة من الكامل يمدح بها هارون بن عبد العزيز الأوارجي، وأولها:

أمِنَ ازدِيارَكِ في الدُّجى الرُّقباءُ .. إِذْ حَيْثُ كنتِ مِنَ الظلام ضياء
قلق المليحة وهو مسك هتكها ..... ومَسيرُها في الليل وهيَ ذُكاء
أسَفي على أسَفِي الذي دَلَّهْتِنِي .... عن علمه فبِهِ عليَّ خَفاء
وشَكيتي فَقدُ السَّقَامِ لأنه .... قد كانَ لمَّا كان لي أعْضَاء
مَثَلَت عَينك في حَشَايَ جراحةً .... فتشابها كلتاهما نَجْلاء
نَفَذَتْ عليَّ السابريَّ وربما .... تندق فيه الصَّعْدة السمراء
أنا صَخْرَةُ الوادي إذا ما زُوحِمَتْ .... فإذا نَطَقْتُ فإنني الجوْزاءُ
وإذا خَفيتُ على الغَنِيِّ فَعاذرٌ .... أن لا تراني مُقلةٌ عمياء

ومنها:

فإذا سُئِلْتَ فلا لأنَّكَ محوجٌ .... وإذا كُتِمت وشَتْ بك الآلاء
وإذا مُدِحتَ فلا لتكسِبَ رفعَةً ...... للشاكرينَ على الإله ثَنَاء
وإذا مُطرتَ فلا لأنك مُجْدِبٌ .. يُسْقَى الخصيبُ وتمطر الدَّأْماءُ

والشاهد في البيت: التصرف في التشبيه القريب المبتذل بما يجعله غريباً ويخرجه عن الابتذال، فإن تشبيه الوجه بالشمس قريب مبتذل، لكن حدوث الحياء عنه قد أخرجه عن الابتذال إلى الغرابة لاشتماله على زيادة دقة وخفاء، ثم إن كحان قوله لم تلق من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه فيه مكني غير مصرح، وإنه كان بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبىء عن التشبيه: أي لم تقابله ولم تعارضه في الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء.

وقوله: لم تلق إن كان من لقيته بمعنى أبصرته فالتشبيه مكنى غير مصرح به، وإن كان من لقيته بمعنى قابلته وعارضته فهو فعل ينبئ عن التشبيه أي لم تقابله في الحسن والبهاء إلا بوجه ليس فيه حياء.

(وقوله:

عَزَماتهُ مِثْلُ النُّجُوم ثَواقِباً)

أي: لوامعا.

(لو لم يكن للثَّاقِبَاتِ أُفُولُ)(١)

فتشبيه العزم بالنجم مبتذل؛ إلا أن اشتراط عدم الأفول أخرجه إلى الغرابة.

(ويسمى) مثل (هذا) التشبيه.

(التشبيه المشروط) لتقييد المشبه أو المشبه به أو كليهما بشرط وجودي أو عدمي يدل عليه بصريح اللفظ أو بسياق الكلام.

(وباعتبار) أي: والتشبيه باعتبار.

(أداته إما مؤكد وهو ما حذفت أداته مثل قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨]) أي: مثل مر السحاب.

(ومنه) أي: ومن المؤكد ما أضيف المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة.

(نحو قوله: والريح تعبث بالغصون) أي: تميلها إلى الاطراف والجوانب.

(وقد جرى ذهب الأصيل) هو الوقت بعد العصر إلى المغرب بعد من الاوقات الطيبة كالسحر ويوصف بالصفرة كقوله: [الطويل]

---

(١)البيت لرشيد الدين الوطواط، من قصيدة من الكامل.
والثواقب: جمع ثاقب، وهو النجم المرتفع على النجوم، والأفول: الغيبة.
والشاهد فيه: كما في البيت الذي فان قبله، تشبيه العزم بالنجم مبتذل، لكن الشرط المذكور أخرجه إلى الغرابة، ويسمى هذا التشبيه المشروط وهو أن يقيد المشبه أو المشبه به أو كلاهما بشرط وجودي أو عدمي يدل عليه بصريح اللفظ أو سياق الكلام.

obeikandl.com

وربَّ نهارٍ للفراقِ أصيلُه ... ووَجْهي كلا لونيهما متناسبُ

فذهب الأصيل صفرته وشعاع الشمس فيه.

(على لجين الماء)(١) أي: على ماء كاللجين أي الفضة في الصفاء والبياض فهذا تشبيه مؤكد ومن الناس من لم يميز بين لجين الكلام ولجينه ولم يعرف هجانه من هجينه حتى ذهب بعضهم إلى أن اللجين إنما هو بفتح اللام وكسر الجيم يعني الورق الذي يسقط من الشجر وقد شبه به وجه الماء وبعضهم إلى أن الاصيل هو الشجر الذي له أصل وعرق وذهبه ورقه الذي اصفر ببرد الخريف وسقط منه على وجه الماء وفساد هذين الوهمين غنى عن البيان.

(أو مرسل) عطف على إما مؤكد.

(وهو بخلافه) أي: ما ذكر أداته فصار مرسلا عن التأكيد المستفاد من حذف الأداة المشعر بحسب الظاهر بأن المشبه عين المشبه به.

(كما مر) من الأمثلة المذكورة فيها أداة التشبيه.

(و) التشبيه.

(باعتبار الغرض إما مقبول وهو الوافي بإفادته) أي: إفادة الغرض.

(كأن يكون المشبه به) أعرف شيء بوجه التشبيه.

(في بيان الحال أو) كأن يكون المشبه به.

(أتم شيء فيه) أي: في وجه التشبيه.

---

(١) البيت من الكامل، ولا أعرف قائله.

وعبث الريح بالغصون عبارة عن إمالتها إياها، والأصيل: هو الوقت من بعد العصر إلى الغروب، ويوصف بالصفرة، قال الشاعر من الطويل:

وَرُبَّ نهارٍ للفراق أصيلُهُ .. ووجهي كلا لونَيْهما مُتَنَاسِبُ

وما أحسن قول الخطيب أبي القاسم بن معاوية فيه من الوافر:

كأنَّ الموج في عُبْرَيْهِ تُرسٌ ...... تُذَهِّبُ مَتْنَهُ كفُّ الأصيل

والشاهد في البيت: حذف أداة التشبيه، ويسمى التشبيه المؤكد، وهو هنا تشبيه صفرة الأصيل بالذهب وبياض الماء وصفائه باللجين، وهو الفضة. وانظر معاهد التنصيص ١/ ١٦٠.

(في إلحاق الناقص بالكامل أو) كان يكون المشبه به.

(مسلم الحكم فيه) أي: في وجه التشبيه.

(معروفة عند المخاطب في بيان الامكان أو مردود) عطف على إما مقبول.

(وهو بخلافه) أي: ما يكون قاصرا عن إفادة الغرض بأن لا يكون على شرط المقبول كما سبق ذكره.

(خاتمة) في تقسيم التشبيه بحسب القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر الأركان وتركها، وقد سبق أن الأركان أربعة والمشبه به مذكور قطعا فالمشبه إما مذكور أو محذوف وعلى التقديرين فوجه الشبه إما مذكور أو محذوف وعلى التقدير الأربعة فالأداة إما مذكورة أو محذوفة تصير ثمانية.

(وأعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة) إذا كان اختلاف المراتب وتعددها.

(باعتبار ذكر أركانه) أي: أركان التشبيه.

(كلها أو بعضها) أي: بعض الأركان. فقوله باعتبار متعلق بالاختلاف الدال عليه سوق الكلام لأن أعلى المراتب قد يكون بالنظر إلى عدة مراتب مختلفة. وإنما قيد بذلك لأن اختلاف المراتب قد يكون باعتبار اختلاف المشبه به نحو زيد كالأسد وزيد كالذئب في الشجاعة. وقد يكون باختلاف الأداة نحو زيد كالأسد وكأن زيدا الأسد، وقد يكون باعتبار ذكر الأركان كلها أو بعضها بأنه إذا ذكر الجميع فهو أدنى المراتب، وإن حذف الوجه والأداة فاعلاها وإلا فمتوسط. وقد توهم بعضهم أن قوله باعتبار متعلق بقوة المبالغة فاعترض بأنه لا قوة مبالغة عند ذكر جميع الأركان فالأعلى.

(حذف وجهه واداته فقط) أي: بدون حذف المشبه نحو زيد أسد.

(أو مع حذف المشبه) نحو أسد في مقام الأخبار عن زيد.

(ثم) الأعلى بعد هذه المرتبة.

(حذف أحدهما) أي: وجهه أو أداته.

(كذلك) أي: فقط أو مع حذف المشبه نحو زيد كالأسد ونحو كالأسد عند الأخبار عن زيد ونحو زيد أسد في الشجاعة ونحو أسد في الشجاعة عند الأخبار عن زيد.

(ولا قوة لغيرهما) وهما الاثنان الباقيان أعني ذكر الأداة. والوجه جميعا إما مع ذكر المشبه أو بدونه نحو زيد كالأسد في الشجاعة ونحو كالأسد في الشجاعة خبرا عن زيد وبيان ذلك أن القوة إما بعموم وجه الشبه ظاهرا أو بحمل المشبه به على المشبه بأنه هو هو فما اشتمل على الوجهين جميعا فهو على غاية القوة وما خلا عنهما فلا قوة له وما اشتمل على أحدهما فقط فهو متوسط والله أعلم.

الحقيقة والمجاز

هذا هو المقصد الثاني من مقاصد علم البيان، أي هذا بحث الحقيقة والمجاز والمقصود الأصلي بالنظر إلى علم البيان هو المجاز إذ به يتأتى اختلاف الطرق دون الحقيقة، إلا أنها لما كانت كالأصل للمجاز إذ الاستعمال في غير ما وضع له فرع الاستعمال فيما وضع له جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أولا.

(**وقد يقيدان باللغويين**) ليتميزا عن الحقيقة والمجاز العقليين الذين هما في الإسناد. والاكثر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم أنه مقابل للشرعي والعرفي.

الحقيقة: في الأصل فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء إذا ثبت أو بمعنى مفعول من حققته إذا أثبته نقل إلى الكلمة الثابتة أو المثبتة في مكانها الأصلي والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسمية وهي في الاصطلاح.

(**الكلمة المستعملة فيما**) أي: في معنى.

(**وضعت**) تلك الكلمة.

(**له في اصطلاح به التخاطب**) أي: وضعت له في اصطلاح به يقع التخاطب بالكلام المشتمل على تلك الكلمة فالظرف أعني في اصطلاح متعلق بقوله وضعت وتعلقه بالمستعملة على ما توهمه البعض مما لا معنى له فاحترز بالمستعملة عن الكلمة قبل الاستعمال فإنها لا تسمى حقيقة ولا مجازا وبقوله فيما وضعت له عن الغلط نحو خذ هذا الفرس مشيرا إلى كتاب وعن المجاز المستعمل فيما لم يوضع له في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره كالأسد في الرجل الشجاع لأن الاستعارة وأن كانت موضوعة بالتأويل إلا أن المفهوم من إطلاق الوضع إنما هو الوضع بالتحقيق.

واحترز بقوله في اصطلاح به التخاطب عن المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر غير الاصطلاح الذي يقع به التخاطب كالصلاة إذا استعملها المخاطب.

بعرف الشرع في الدعاء فإنها تكون مجازا لاستعماله في غير ما وضع له في الشرع أعني الأركان المخصوصة وإن كانت مستعملة فيما وضع له في اللغة.

(والوضع) أي: وضع اللفظ.

(تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه) أي: ليدل بنفسه لا بقرينة تنضم إليه. ومعنى الدلالة بنفسه أن يكون العلم بالتعيين كافيا في فهم المعنى عند إطلاق اللفظ وهذا شامل للحرف أيضا لانا نفهم معاني الحروف عند إطلاقها بعد علمنا باوضاعها إلا أن معانيها ليست تامة في انفسها بل تحتاج إلى الغير بخلاف الاسم والفعل.

نعم لا يكون هذا شاملا لوضع الحرف عند من يجعل معنى قولهم الحرف ما دل على معنى في غيره أنه مشروط في دلالته على معناه الأفرادى ذكر متعلقه.

(فخرج المجاز) عن أن يكون موضوعا بالنسبة إلى معناه المجازي.

(لأن دلالته) على ذلك المعنى إنما تكون.

(بقرينة) لا بنفسه.

(دون المشترك) فإنه لم يخرج لأنه قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه وعدم فهم أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافى ذلك فالقرء مثلا عين مرة للدلالة على الطهر بنفسه ومرة آخر للدلالة على الحيض بنفسه فيكون موضوعا بالتعيين.

وفى كثير من النسخ بدل قوله: دون المشترك دون الكناية، وهو سهو؛ لأنه أن أريد أن الكناية بالنسبة إلى معناها الأصلي موضوعة فكذا المجاز ضرورة أن الأسد في قولنا رأيت أسدا يرمى موضوع للحيوان المفترس وإن لم يستعمل فيه وأن أريد انها موضوعة بالنسبة إلى معنى الكناية أعني لازم المعنى الأصلي ففساده ظاهر لأنه لا يدل عليه بنفسه بل بواسطة القرينة.

لا يقال معنى قوله بنفسه أي من غير قرينة مانعة عن إرادة الموضوع له أو من غير قرينة لفظية فعلى هذا يخرج من الوضع المجاز دون الكناية. لأنا نقول أخذ الموضوع في تعريف

الوضع فاسد للزوم الدور، وكذا حصرّ القرينة في اللفظي لأن المجاز قد يكون قرّينة فيه معنوية لا يقال معنى الكلام أنه خرج عنه تعريف الحقيقة المجاز دون الكناية، فإنها أيضا حقيقة على ما صرح به صاحب المفتاح.

لأنا نقول هذا فاسد على رأي المصنف لأن الكناية لم تستعمل عنده فيما وضع له، بل إنما استعملت في لازم الموضوع له مع جواز إرادة الملزوم وسيجيء لهذا زيادة تحقيق.

(والقول بدلالة اللفظ لذاته ظاهره فاسد) يعني ذهب بعضهم إلى أن دلالة الألفاظ على معانيها لا تحتاج إلى الوضع بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية تقتضي دلالة كل لفظ على معناه لذاته فذهب المصنف، وجميع المحققين على أن هذا القول فاسد ما دام محمولا على ما يفهم منه ظاهرا لأن دلالة اللفظ على المعنى لو كانت لذاته كدلالته على اللافظ لوجب أن تختلف اللغات باختلاف الامم وأن يفهم كل أحد معنى كل لفظ لعدم انفكاك المدلول عن الدليل ولا متنع أن يجعل اللفظ بواسطة القرينة بحيث يدل على المعنى المجازي دون الحقيقي لأن ما بالذات لا يزول بالغير ولا متنع نقله من معنى إلى معنى آخر بحيث لا يفهم منه عند الإطلاق إلا المعنى الثاني.

(وقد تأوله) أي: القول بدلالة اللفظ لذاته.

(السكاكي) أي: صرفه عن ظاهره وقال إنه تنبيه على ما عليه أئمة علمي الاشتقاق والتصريف من أن للحروف في انفسها خواص بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينهما وغير ذلك وتلك الخواص تقتضي أن يكون العالم بها إذا أخذ في تعيين شيء مركب منها لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة كالفصم بالفاء الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين والقسم بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين وأن لهيئات تركيب الحروف أيضا خواص كالفعلان والفعلى بالتحريك لما فيه حركة كالنزوان والحيدى وكذا باب فعل بالضم مثل شرف وكرم للافعال الطبيعية اللازمة.

والمجاز في الأصل مفعل من جاز المكان يجوزه إذا تعداه نقل إلى الكلمة الجائزة أي المتعدية مكانها الأصلي أو الكلمة المجوز بها على معنى أنهم جازوا بها وعدوها مكانها الأصلي كذا ذكره الشيخ في أسرار البلاغة وذكر المصنف أن الظاهر أنه من قولهم جعلت كذا مجازا إلى حاجتى أي طريقا لها على أن معنى جاز المكان سلكه فإن المجاز طريق إلى تصور معناه. فالمجاز.

(مفرد ومركب) وهما مختلفان فعرفوا كلا على حدة.

(أما المفرد فهو الكلمة المستعملة) احترز بها عن الكلمة قبل الاستعمال فإنها ليست بمجاز ولا حقيقة.

(في غير ما وضعت له) احترز به عن الحقيقة مرتجلا كان أو منقولا أو غيرهما وقوله.

(في اصطلاح به التخاطب) متعلق بقوله وضعت. قيد بذلك ليدخل المجاز المستعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر كلفظ الصلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازا فإنه وأن كان مستعملا فيما وضع له في الجملة فليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي وقع به التخاطب أعني الشرع وليخرج من الحقيقة ما يكون له معنى آخر باصطلاح آخر كلفظ الصلاة المستعملة بحسب الشرع في الأركان المخصوصة فإنه يصدق عليه أنه كلمة مستعملة في غير ما وضعت له لكن بحسب اصطلاح آخر وهو اللغة لا بحسب اصطلاح به التخاطب وهو الشرع.

(على وجه يصح) متعلق بالمستعملة.

(مع قرينة عدم ارادته) أي: إرادة الموضوع له.

(فلابد) للمجاز.

(من العلاقة) ليتحقق الاستعمال على وجه يصح. وإنما قيد بقوله على وجه يصح واشترط العلاقة.

(ليخرج الغلط) من تعريف المجاز كقولنا خذ هذا الفرس مشيرا إلى كتاب لأن هذا الاستعمال ليس على وجه يصح.

(و) إنما قيد بقوله مع قرينة عدم ارادته لتخرج.

(الكناية) لأنها مستعملة في غير ما وضعت له مع جواز إرادة ما وضعت له.

(وكل منهما) أي: من الحقيقة والمجاز.

(لغوي وشرعي وعرفي خاص) وهو ما يتعين ناقله كالنحوي والصرفى وغير ذلك.

(أو) عرفى.

(عام) لا يتعين ناقله. وهذه القسمة في الحقيقة بالقياس إلى الواضع فإن كان واضعها واضع اللفظ واللغة فلغوية وأن كان الشارع فشرعية وعلى هذا القياس وفى المجاز باعتبار الاصطلاح الذي وقع الاستعمال في غير ما وضعت له في ذلك الاصطلاح فإن كان هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوي وأن كان اصطلاح الشرع فشرعي وإلا فعرفى عام أو خاص.

(كأسد للسبع) المخصوص.

(والرجل الشجاع) فإنه حقيقة لغوية في السبع مجاز لغوي في الرجل الشجاع.

(والصلاة للعبادة) المخصوصة.

(والدعاء) فإنها حقيقة شرعية في العبادة ومجاز شرعى في الدعاء.

(وفعل للفظ) المخصوص أعني ما دل على معنى في نفسه مقترنا باحد الأزمنة الثلاثة.

(والحدث) فإنه حقيقة عرفية خاصة أي نحوية في اللفظ مجاز نحوى في الحدث.

(ودابة لذوى الاربع والانسان) فإنها حقيقة عرفية عامة في الأول مجاز عرفى عام في الثاني.

(والمجاز مرسل أن كانت العلاقة) المصححة.

(غير المشابهة) بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي.

(وإلا فاستعارة) فعلى هذا الاستعارة هي اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي لعلاقة المشابهة كأسد في قولنا رأيت أسدا يرمى.

(وكثيرا ما تطلق الاستعارة) على فعل المتكلم أعني.

(على استعمال اسم المشبه به في المشبه). فعلى هذا تكون بمعنى المصدر ويصح منه الاشتقاق.

(فهما) أي: المشبه به والمشبه.

(مستعار منه ومستعار له واللفظ) أي: لفظ المشبه به.

(مستعار) لأنه بمنزلة اللباس الذي استعير من أحد فالبس غيره.

(والمرسل) وهو ما كانت العلاقة غير المشابهة.

(كاليد) الموضوعة للجارحة المخصوصة إذا استعملت.

(في النعمة) لكونها بمنزلة العلة الفاعلية للنعمة لأن النعمة منها تصدر وتصل إلى المقصود بها.

(و) كاليد في (القدرة) لأن أكثر ما يظهر سلطان القدرة يكون في اليد وبها يكون الأفعال الدلالة على القدرة من البطش والضرب والقطع والاخذ وغير ذلك.

(والرواية) التي هي في الأصل اسم للبعير الذي يحمل المزادة إذا استعملت.

(في المزادة) أي: المزود الذي يجعل فيه الزاد أي الطعام المتخذ للسفر والعلاقة كون البعير حاملا لها وهي بمنزلة العلة المادية، ولما أشار بالمثال إلى بعض أنواع العلاقة أخذ في التصريح بالبعض الآخر من أنواع العلاقات فقال.

(ومنه) أي: من المرسل.

(تسمية الشيء باسم جزئه) في هذه العبارة نوع من التسامح أي عند إطلاقه على نفس ذلك الشيء لا نفس التسمية مجازا.

(كالعين) وهي الجارحة المخصوصة.

obeikandl.com

(في الربيئة) وهي الشخص الرقيب والعين جزء منه. ويجب أن يكون الجزء الذي يطلق على الكل مما يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل مثلا لا يجوز إطلاق اليد أو الأصبع على الربيئة.

(وعكسه) أي: ومنه عكس المذكور يعني تسمية الشيء باسم كله.

(كالأصابع) المستعملة.

(في الأنامل) التي هي أجزاء من الأصابع في قوله تعالى: ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾ [البقرة:١٩].

(وتسميته) أي: ومنه تسمية الشيء.

(باسم سببه نحو: رعينا الغيث) أي: النبات الذي سببه الغيث.

(أو) تسمية الشيء باسم.

(مسببه نحو: أمطرت السماء نباتا) أي: غيثا لكون النبات مسببا عنه، واورد في الإيضاح في امثلة تسمية السبب باسم المسبب في قولهم فلان اكل الدم أي الدية المسببة عن الدم وهو سهو. بل هو من تسمية المسبب باسم السبب.

(أو ما كان عليه) أي: تسمية الشيء باسم الشيء الذي كان هو عليه في الزمان الماضي لكنه ليس عليه الآن.

(نحو: قوله تعالى: ﴿ وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء:٢]) أي: الذين كانوا يتامى قبل ذلك إذ لا يتم بعد البلوغ أو تسمية الشيء باسم.

(ما يؤول) ذلك الشيء.

(إليه) في الزمان المستقبل.

(نحو: ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦]) أي: عصيرا يؤول إلى الخمر.

(أو) تسمية الشيء باسم.

(محله نحو فليدع ناديه) أي: أهل ناديه الحال فيه. والنادي المجلس.

(أو) تسمية الشيء باسم.

(حاله) أي: باسم ما يحل في ذلك الشيء.

(نحو: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٠٧] أي في الجنة) التي تحل فيها الرحمة.

(أو) تسمية الشيء باسم.

(آلته نحو: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٤]، أي ذكرا حسنا) واللسان اسم لآلة الذكر ولما كان في الأخيرين نوع خفاء صرح به في الكتاب.

فإن قيل: قد ذكر في مقدمة هذا الفن أن مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم وبعض أنواع العلاقة بل أكثرها لا يفيد اللزوم فكيف ذلك.

قلنا: ليس معنى اللزوم ههنا امتناع الانفكاك في الذهن أو الخارج بل تلاصق واتصال ينتقل بسببه من أحدهما إلى الآخر في الجملة وفى بعض الأحيان. وهذا متحقق في كل امرين بينهما علاقة وارتباط.

(والاستعارة) وهي مجاز تكون علاقته المشابهة أي قصد أن الإطلاق بسبب المشابهة فإذا اطلق المشفر على شفة الإنسان فإن قصد تشبيهها بمشفر الإبل في الغلظ فهو استعارة وإن أريد أنه من إطلاق المقيد على المطلق كإطلاق المرسن على الأنف من غير قصد إلى التشبيه فمجاز مرسل فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد قد يكون استعارة وقد يكون مجازا مرسلا والاستعارة.

(قد تقيد بالتحقيقية) ليتميز عن التخييلية والمكنى عنها.

(لتحقق معناها) أي: ما عنى بها واستعملت هي فيه.

(حسا أو عقلا) بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية فالحسي.

(كقوله لدى أسد شاكي السلاح) أي: تام السلاح.

(مقذف أي رجال شجاع) أي: قذف به كثيرا إلى الوقائع. وقيل قذف باللحم ورمى به فصار له جسامة ونبالة فالأسد ههنا مستعار للرجل الشجاع وهو أمر متحقق حسا.

(وقوله) أي: والعقلي كقوله تعالى.

(﴿اهدِنَـا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] أي الدين الحق) وهو ملة الإسلام وهذا أمر متحقق عقلا. قال المصنف رحمه الله فالاستعارة ما تضمن تشبيه معناه بما وضع له. والمراد بمعناه ما عنى باللفظ واستعمل اللفظ فيه. فعلى هذا يخرج من تفسير الاستعارة نحو زيد أسد ورأيت زيدا أسدا ومررت بزيد أسد مما يكون اللفظ مستعملا فيما وضع له وأن تضمن تشبيه شيء به وذلك لأنه إذا كان معناه عين المعنى الموضوع له لم يصح تشبيه معناه بالمعنى الموضوع له لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه على أن ما في قولنا ما تضمن عبارة عن المجاز بقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها وأسد في الأمثلة المذكورة ليس بمجاز لكونه مستعملا فيما وضع له.

وفيه بحث؛ لأنا لا نسلم أنه مستعمل فيما وضع له بل في معنى الشجاع فيكون مجازا أو استعارة كما في رأيت أسدا يرمى بقرينة حمله على زيد. ولا دليل لهم على أن هذا على حذف أداة التشبيه وأن التقدير زيد كأسد، واستدلالهم على ذلك بأنه قد أوقع الأسد على زيد.

ومعلوم أن الإنسان لا يكون أسدا فوجب المصير إلى التشبيه بحذف اداته قصدا إلى المبالغة فاسد لأن المصير إلى ذلك إنما يجب إذا كان أسد مستعملا في معناه الحقيقي وأما إذا كان مجازا عن الرجل الشجاع فحمله على زيد صحيح. ويدل على ما ذكرنا أن المشبه به في مثل هذا المقام كثيرا ما يتعلق به الجار والمجرور كقوله: " أسد علي وفى الحروب نعامة " أي مجترى، صائل على وكقوله والطير اغربه على اي باكية وقد استوفينا ذلك في الشرح، واعلم أنهم قد اختلفوا في أن الاستعارة مجاز لغوي أو عقلي فالجمهور على أنها مجاز لغوي بمعنى أنها لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة.

(ودليل أنها) أي: الاستعارة.

(مجاز لغوي كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا للأعم منهما) أي: من المشبه والمشبه به فاسد في قولنا رأيت أسدًا يرمي موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا لمعنى أعم من السبع والرجل الشجاع كالحيوان المجترى، مثلا ليكون إطلاقه عليهما حقيقة كإطلاق الحيوان على الأسد والرجل الشجاع وهذا معلوم بالنقل عن أئمة اللغة قطعا فإطلاقه على المشبه وهو الرجل الشجاع إطلاق على غير ما وضع له مع قرينة مانعة عن إرادة ما وضع له فيكون مجازا لغويا.

وفى هذا الكلام دلالة على لفظ العام إذا اطلق على الخاص لا باعتبار خصوصه بل باعتبار عمومه فهو ليس من المجاز في شيء كما إذا لقيت زيدا فقلت لقيت رجلا أو إنسانا أو حيوانا بل هو حقيقة إذ لم يستعمل اللفظ إلا في معناه الموضوع له.

(وقيل إنها) أي: الاستعارة.

(مجاز عقلي بمعنى أن التصرف في أمر عقلي لا لغوي لأنها لما لم تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله) أي: دخول المشبه.

(في جنس المشبه به) بأن جعل الرجل الشجاع فردا من أفراد الأسد.

(كان استعمالها) أي: الاستعارة في المشبه استعمالا.

(فيما وضعت له) وإنما قلنا إنها لم تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به لأنها لو لم تكن كذلك لما كانت استعارة لأن مجرد نقل الاسم لو كانت استعارة لكانت الأعلام المنقولة استعارة ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة إذ لا مبالغة في إطلاق الاسم المجرد عاريا من معناه.

ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسدا وأراد به زيدا أنه جعله أسدا كما لا يقال لمن سمى ولده أسدا أنه جعله أسدا إذ لا يقال جعله اميرا إلا وقد أثبت فيه صفة الإمارة، وإذا كان نقل اسم المشبه به إلى المشبه تبعا لنقل معناه إليه بمعنى أنه أثبت له معنى الأسد الحقيقي ادعاء ثم اطلق عليه اسم الأسد كان الأسد مستعملا فيما وضع له فلا يكون مجازا لغويا بل

عقليا بمعنى أن العقل جعل الرجل الشجاع من جنس الأسد وجعل ما ليس في الواقع واقعا مجاز عقلي.

(ولهذا) أي: ولأن إطلاق اسم المشبه به على المشبه إنما يكون بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به.

(صح التعجب في قوله: قامت تظللني) أي: توقع الظل عليَّ.

(من الشمس نفس أعز عليَّ من نفسي

قامت تظلني ومن عجب شمس)

أي غلام كالشمس في الحسن والبهاء.

(تظللني من الشمس)[1] فلولا أنه ادعى لذلك الغلام معنى الشمس الحقيقي وجعله شمسا على الحقيقة لما كان لهذا التعجب معنى إذ لا تعجب في أن يظل إنسان حسن الوجه إنسانا آخر.

---

(١) البيتان لابن العميد، وهما من الكامل، قالها في غلام حسن قام على رأسه يظلله من الشمس، وقال ابن النجار في تاريخه: قرأت على إسماعيل بن سعد الله أنبأنا بكر بن علي التاجر، قال: أنشدنا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي الواعظ في ولده أبي العباس، لأنه كان يقوم إذا جاءت عليه الشمس ويظلله فقال:

قامت تظللني من الشمس .... نفسٌ أعزُّ على من نفسي
قامت تظللني ومن عجب .. شَمْسٌ تظللني من الشمس
لَمّا رَأيْتُ الشمسَ بارزةً ... ستَّرتُ عين الشمسِ بالخَمْسِ
ثم اسْتَعنتُ على التي اخْتلست .. من الفؤاد بِآيةِ الكرْسي

وقال ياقوت في معجم الأدباء: كان أبو إسحاق الصابي واقفاً بين يدي عضد الدولة وعلى رأسه غلام تركي جميل، فكان إذا رأى الشمس عليه حجبها عنه، فقال للصابي: هل قلت شيئاً يا إبراهيم؟ فقال:

وَقَفتْ لتحجبُني عن الشمس .. نفسٌ أعزُّ عليَّ من نَفْسي
ظلَّتْ تظللني ومن عجب .. شَمْسٌ تُغيِّبني عن الشمس

فسُرَّ بذلك.

والشاهد فيهما: أن إطلاق المشبه به على المشبه إنما يكون بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به، وإذا كان كذلك فيكون استعماله الاستعارة في المشبه استعمالاً فيما وضعت له، فهنا لولا أنه ادعى له معنى الشمس الحقيقي وجعله شمساً لما كان لهذا التعجب معنى، إذ لا تعجب في أن إنسانا حسناً يظلل إنسانا آخر.

(والنهي عنه) أي: ولهذا صح النهي عن التعجب في قوله:

(لا تعجبوا من بلى غلالته) هي شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا.

(قد زر أزراره على القمر)[1] تقول: زررت القميص عليه أزره إذا شددت أزراره عليه فلو لا أنه جعله قمرا حقيقيا لما كان للنهي عن التعجب معنى، لأن الكتان إنما يسرع إليه البلى بسبب ملابسة القمر الحقيقي، لا بملابسة إنسان كالقمر في الحسن لا يقال القمر في البيت ليس باستعارة لأن المشبه مذكور، وهو الضمير في غلالته وأزراره لأنا نقول لا نسلم أن الذكر على هذا الوجه ينافى الاستعارة المذكورة كما في قولنا سيف زيد في يد أسد فإن تعريف الاستعارة صادق على ذلك.

(ورد) هذا الدليل.

(بأن الادعاء) أي: ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به.

(لا يقتضي كونها) أي: الاستعارة.

---

(١) البيت لأبي الحسن بن طباطبا العلوي، من المنسرح، وقبله:

يا منْ حكى الماءُ فرطَ رِقَّتِهِ ... وقلبهُ في قساوة الحجرِ
يا ليتَ حظي كحظِّ ثوبكَ منْ .. جسمكَ يا واحداً من البشر

وبعد البيت، ورأيته بلفظ:

قد زُرّ كِتَّانُها علىَ القمرِ

ولعله أبلغ في المراد، والغلالة بكسر الغين المعجمة شعار يلبس تحت الثوب.

والشاهد فيه: ما في البيت الذي قله، لأنه لو لم يجعله قمراً حقيقاً لما كان للنهي عن التعجب معنى، لأن الكتان إنما يسرع إليه البلى بسبب ملازمته للقمر الحقيقي، لا بسبب ملابسة إنسان كالقمر حسناً، ورد كون الاستعارة مجازاً عقلياً: بان ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يقتضي كونها مستعملة فيما وضعت له، للعلم الضروري بأنها مستعملة في الرجل الشجاع مثلاً، والموضع له هو السبب المخصوص، وأما التعجب والنهي عنه في البيت والذي قبله فللبناء على تناسي التشبيه، قضاء لحق المبالغة، ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلاً، حتى أن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهي عنه يترتب على المشبه أيضاً.

(مستعملة فيما وضعت له) للعلم الضروري بأن أسدا في قولنا رأيت أسدا يرمى مستعمل في الرجل الشجاع والموضوع له هو السبع المخصوص. وتحقيق ذلك أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به مبنى على أنه جعل أفراد الأسد بطريق التأويل قسمين: أحدهما المتعارف وهو الذي له غاية الجرأة ونهاية القوة في مثل تلك الجثة المخصوصة والثاني غير المتعارف وهو الذي له تلك الجرأة لكن لا في تلك الجثة المخصوصة. والهيكل المخصوص ولفظ الأسد إنما هو موضوع للمتعارف فاستعماله في غير المتعارف استعمال في غير ما وضع له والقرينة مانعة عن إرادة المعنى المتعارف ليتعين المعنى الغير المتعارف. وبهذا يندفع ما يقال إن الاصرار على دعوى الأسدية لرجل الشجاع ينافى نصب القرينة المانعة عن إرادة السبع المخصوص.

(وأما التعجب والنهي عنه) كما في البيتين المذكورين.

(فللبناء على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة) ودلالة على أن المشبه بحيث لا يتميز عن المشبه به أصلا حتى أن كل ما يترتب على المشبه به من التعجب والنهي عن التعجب يترتب على المشبه أيضا.

(والاستعارة تفارق الكذب بوجهين بالبناء على التأويل) في دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به بأن يجعل أفراد المشبه به قسمين متعارفا وغير متعارف كما مر ولا تأويل في الكذب.

(ونصب) أي: وبنصب.

(القرينة على إرادة خلاف الظاهر) في الاستعارة لما عرفت أنه لابد للمجاز من قرينة مانعة عن إرادة المعنى الحقيقي الموضوع له بخلاف الكذب فإن قائله لا ينصب فيه قرينة على إرادة خلاف الظاهر بل يبذل المجهود في ترويج ظاهره.

(ولا تكون) أي: الاستعارة.

(علما) لما سبق من انها تقتضي ادخال المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين متعارفا وغير متعارف ولا يمكن ذلك في العلم.

(لمنافاته الجنسية) لأنه يقتضي التشخص ومنع الاشتراك والجنسية يقتضي العموم وتناول الأفراد.

(إلا إذا تضمن) العلم.

(نوع وصفية) بواسطة اشتهاره بوصف من الأوصاف.

(كحاتم) المتضمن للاتصاف بالجود وكذا ومادر بالبخل وسحبان بالفصاحة وباقل بالفهاهة.

فحينئذ يجوز أن يشبه شخص بحاتم في الجود ويتأول في حاتم فيجعل كأنه موضوع للجواد سواء كان ذلك الرجل المعهود أو غيره كما مر في الأسد. فبهذا التأويل يتناول حاتم الفرد المتعارف والمعهود والفرد الغير المتعارف ويكون إطلاقه على المعهود أعني حاتما الطائى حقيقة وعلى غيره ممن يتصف بالجود استعارة نحو رأيت اليوم حاتما.

(وقرينتها) يعني أن الاستعارة لكونها مجاز لابد لها من قرينة مانعة عن إرادة المعنى الموضوع له وقرينتها.

(ما أمر واحد كما في قولك رأيت أسدا يرمى أو اكثر) أي: امران أو أمور يكون كل واحد منها قرينة.

(كقوله: وأن تعافوا) أي: تكرهوا.

(العدل والايمانا، فإن في إيماننا نيرانا) أي: سيوفا تلمع كشعل النيران فتعلق قوله تعافوا بكل واحد من العدل والايمان قرينة على أن المراد بالنيران السيوف لدلالته على أن جواب هذا الشرط تحاربون وتلجأون إلى الطاعة بالسيوف.

(أو معان ملتئمة) مربوطة بعضها ببعض يكون الجميع قرينة لا كل واحد. وبهذا ظهر فساد قول من زعم أن قوله أو أكثر شامل لقوله أو معان فلا يصح جعله مقابلا له وقسيما.

(كقوله: وصاعقة من نصله) أي: من نصل سيف الممدوح.

(تنكفى بها) من انكفاء أي انقلب والباء للتعدية والمعنى رب نار من حد سيفه يقلبها.

(على أرؤس الأقران خمس سحائب) أي: أنامله الخمس التي هي في الجود وعموم العطايا سحائب، أي: تصبها على أكفائه في الحرب فيهلكهم بها. ولما استعار السحائب لأنامل الممدوح ذكر أن هناك صاعقة وبين أنها من نصل سيفه، ثم قال على أرؤس الأقران، ثم قال خمس فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الأنامل.

(وهي) أي: الاستعارة.

(باعتبار الطرفين) المستعار منه والمستعار له.

(قسمان لأن اجتماعهما) أي: اجتماع الطرفين.

(في شيء إما ممكن نحو احييناه) في قوله تعالى.

(﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي: ضالا فهديناه) استعار الإحياء من معناه الحقيقي وهو جعل الشيء حيا للهداية التي هي الدلالة على طريق يوصل إلى المطلوب. والإحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء واحد.

وهذا أولى من قول المصنف: أن الحياة والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء واحد لأن المستعار منه هو الإحياء لا الحياة. وإنما قال نحو احييناه لأن الطرفين في استعارة الميت للضال مما لا يمكن اجتماعهما في شيء إذ الميت لا يوصف بالضلال.

(ولتسم) الاستعارة التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء.

(وفاقية) لما بين الطرفين من الاتفاق.

(وإما ممتنع) عطف على إما ممكن.

(كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم غنائه) هو بالفتح النفع أي لانتفاءه النفع في ذلك الموجود كما في المعدوم.

ولا شك أن اجتماع الوجود والعدم في شيء ممتنع وكذلك استعارة اسم الموجود لمن عدم أو فقد لكن بقيت آثاره الجميلة التي تحي ذكره وتديم في الناس اسمه.

(ولتسم) الاستعارة التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء.

(عنادية) لتعاند الطرفين وامتناع اجتماعهما.

(ومنها) أي: من العنادية الاستعارة.

(التهكمية والتمليحية وهما ما استعمل في ضده) أي: الاستعارة.

التي استعملت في ضد معناها الحقيقي.

(أو نقيضه لما مر) أي: لتنزيل التضاد أو التناقص منزلة التناسب بواسطة تمليح أو تهكم على ما سبق تحقيقه في باب التشبيه.

(نحو: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤]) أي: أنذرهم. استعيرت البشارة التي هي الأخبار بما يظهر سرورا في المخبر له للانذار الذي هو ضده بادخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء وكقولك: رأيت أسدا وأنت تريد جبانا على سبيل التمليح والظرافة. ولا يخفى امتناع اجتماع التبشير والإنذار من جهة واحدة وكذا الشجاعة والجبن.

(و) الاستعارة.

(باعتبار الجامع) أي: ما قصد اشتراك الطرفين فيه.

(قسمان لأنه) أي: الجامع.

(ما داخل في مفهوم الطرفين) المستعار له والمستعار منه.

(نحو) قوله عليه الصلاة والسلام خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه.

(كلما سمع هيعة طار إليها) أو رجل في شعفة في غنيمة يعبد الله حتى يأتيه الموت.

قال جار الله: الهيعة الصيحة التي تفزع منها وأصلها من هاع يهيع إذا جبن والشعفة رأس الجبل والمعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد في سبيل الله أو رجل

اعتزل الناس وسكن في رؤس بعض الجبال في غنم له قليل يرعاها ويكتفى بها في أمر معاشه ويعبد الله حتى يأتيه الموت. استعار الطيران للعدو والجامع داخل في مفهومها.

(فإن الجامع بين العدو والطيران هو قطع المسافة بسرعة وهو داخل فيهما) أي: في مفهوم العدو والطيران إلا أنه في الطيران أقوى منه في العدو. والأظهر أن الطيران هو قطع المسافة بالجناح والسرعة لازمة له في الأكثر لا داخلة في مفهومه فالأولى أن يمثل باستعارة التقطيع الموضوع لازالة الاتصال بين الاجسام الملتزقة بعضها ببعض لتفريق الجماعة وابعاد بعضها عن بعض في قوله تعالى وقطعناهم في الأرض أمما.

والجامع إزالة الاجتماع الداخلة في مفهومها وهي في القطع أشد، والفرق بين هذا وبين إطلاق المرسلين على الأنف مع أن في كل من المرسن والتقطيع خصوص، وصف ليس في الأنف وتفريق الجماعة هو أن خصوص الوصف الكائن في التقطيع مرعي، وملحوظ في استعارته لتفريق الجماعة بخلاف خصوص الوصف في المرسن.

والحاصل: أن التشبيه ههنا منظور بخلافة ثمة.

فإن قلت: قد تقرر في غير هذا الفن أن جزء الماهية لا يختلف بالشدة والضعف فيكف يكون جامعا والجامع يجب أن يكون في المستعار منه اقوى.

قلت: امتناع الاختلاف إنما هو في الماهية الحقيقية والمفهوم لا يجب أن يكون ماهية حقيقية، بل قد يكون أمرا مركبا من أمور بعضها قابل للشدة والضعف فيصح كون الجامع داخلا في مفهوم الطرفين مع كونه في أحد المفهومين أشد وأقوى ألا ترى أن السواد جزء من مفهوم الأسود أعني المركب من السواد، والمحل مع اختلافه بالشدة والضعف.

(وإما غير داخل) عطف على إما داخل.

(كما مر) من استعارة الأسد للرجل الشجاع والشمس للوجه المتهلل ونحو ذلك لظهور أن الشجاعة عارض للأسد لا داخل في مفهومه، وكذا التهلل للشمس.

(وأيضًا) للاستعارة تقسيم آخر باعتبار الجامع وهو أنها.

(إما عامية وهي المبتذلة لظهور الجامع فيها نحو رأيت أسدا يرمي، أو خاصية وهي الغريبة) التي لا يطلع عليها إلا الخاصة الذين أوتوا ذهنا به ارتفعوا عن طبقة العامة.

(والغرابة قد تكون في نفس الشبه) بأن يكون تشبيها فيه نوع غرابة.

(كما في قوله) في وصف الفرس بأنه مؤدب وأنه إذا نزل صاحبه عنه وألقى عنانه في قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه.

(وإذا احتبى قربوسه) أي: مقدم سرجه.

(بعنانه   علك الشكيم إلى انصراف الزائر[1]

الشكيم والشكيمة: هي الحديدة المعترضة في فهم الفرس. وأراد بالزائر نفسه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتدا إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب في موقعه من ركبتي المحتبى ممتدا إلى جانبي ظهره ثم استعار الاحتباء، وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره لوقوع العنان في قربوس السرج فجائت الاستعارة غريبة لغرابة التشبيه.

(وقد تحصل) أي: الغرابة.

(بتصرف في) الاستعارة.

---

(١) قاله يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان، من قصيدة من الكامل يصف فرساً له بأنه مؤدب، وأنه إذا نزل عنه وألقى عنانه في قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه، وتمامه:

عَلكَ الشَّكيم إِلَى انْصِرَافِ الزائِرِ

والقربوس - بفتح الراء، ولا تسكن إلا في ضرورة الشعر - وهو حنو السرج، وهما قربوسان، والعنان بكسر العين سير اللجام الذي تمسك به الدابة، والشكيم، والشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس فيها الفأس، وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله، وهو:

عَوَّدتُهُ فيما أَزُورُ حَبَائبي .. إِهْمَالَه وكَذَاكَ كلُّ مُخاطِرِ

والشاهد فيه: الاستعارة الخاصة، وهي: الغريبة، والغرابة قد تكون في نفس الشبه كما في البيت، فإنه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس السرج ممتداً إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركبة المحتبي، ممتداً إلى جانبي ظهره وساقيه بثوب أو غيره كوقوع العنان في قربوس السرج فجاءت الاستعارة غريبة كغرابة المشبه.

(العامية كما في قوله:)

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا (وسالت بأعناق المطي الأباطح)(١)

جمع أبطح وهو مسيل الماء فيه دقاق الحصى استعار سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل سيرا حثيثا في غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة والشبه فيها ظاهر عامى لكن قد تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة.

---

(١) قائله كثير عزة، من قصيدة من الطويل، وصدره:

أَخَذْنا بأَطْرَافِ الأحاديثِ بينَنَا

وقبله:

ولما قَضَيْنَا من مِنىً كل حاجَةٍ .... ومسّحَ بالأركان مَنْ هوَ ماسِحُ
وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارى رحالُنَا .. ولم يَنْظُرِ الغَادِي الذي هو رائحُ

وقيل: الأبيات لابن الطثرية. وذكر الشريف الرضي في كتابه غرر الفرائد قال: أنشدني ابن الأعرابي للمضرب، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى رحمهم الله تعالى:

وما زِلْتُ أرجو نَفْعَ سَلْمى ووُدَّها ... وتَبْعُدُ حتى أبيض مني المسائحُ
وحتى رأيْتُ الشَّخصَ يَزْدَادُ مِثْلَهُ .... إليهِ وحتى نصْفُ رأسيَ واضحُ
عَلاَ حاجبَيَّ الشيبُ حتى كأنَّهُ .... ظباءٌ جَرَتْ منها سَنيحٌ وبارحُ
وهَزَّةَ أظْعَانٍ عليهِنَّ بهجَةٌ .... طَلَبْتُ ورَيْعَانُ الصِّبَا بي جامحُ
فلما قضينا من منى كل حاجة .... ومسح بالأركان من هو ماسحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا .... وسالت بأعناق المطي الأباطحُ
وشُدَّت على حدب لمهارى رحالها .... ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
قَفَلْنا على الخوصِ المراسيل وارْتَمَتْ .. بِهِنَّ الصَّحَارى والصِّفَاح الصَّحَاصِحُ

والأباطح: جمع أبطح، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

والمعنى: لما فرغنا من أداء مناسك الحج، ومسحنا أركان البيت الشريف عند طواف الوداع، وشددنا الرحال على المطايا، وارتحلنا ولم ينظر السائرون في الغداة السائرين في الرواح للاستعجال، أخذنا في الأحاديث وأخذت المطايا في سرعة السير.

والشاهد فيه: حصول الغرابةفي الاستعارة العامية بتصرف فيها، فإنه استعار سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل سيراً عنيفاً حثيثاً في غاية السرعة المشتملة على لين وسلاسة، والشبه فيها ظاهر عامي، لكنه تصرف فيه بما أفاد اللطف والغرابة حين أسند الفعل وهو سالت إلى الأباطح، دون المطي أو أعناقها، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الإبل، وأدخل الأعناق في السير لأن السرعة والبطء في سر الإبل يظهران غالباً في الأعناق، ويتبين أمرهما في الهوادي، وسائر الأجزاء يستند إليها في الحركة ويتبعها في الثقل والخفة.

(إذ أسند الفعل) أعني سالت.

(إلى الأباطح دون المطى) وأعناقها حتى أفاد أنه امتلائت الأباطح من الإبل كما في قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:٤].

(أو أدخل الأعناق في السير) لأن السرعة والبطؤ في سير الإبل يظهر أن غالبا في الاعناق ويتبين أمر هما في الهوادى وسائر الأجزاء تستند إليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة.

(و) الاستعارة.

(باعتبار الثلاثة) المستعار منه والمستعار له والجامع.

(ستة أقسام) لأن المستعار منه والمستعار له إما حسيان أو عقليان أو المستعار منه حسي والمستعار له عقلي، أو بالعكس تصير أربعة، والجامع في الثلاثة الاخيرة عقلي لا غير لما سبق في التشبيه لكنه في القسم الأول إما حسي أو عقلي أو مختلف فتصير ستة والى هذا أشار بقوله:

(لأن الطرفين إن كانا حسيين فالجامع إما حسي نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ﴾ [طه: ٨٨]. فإن المستعار منه ولد البقرة والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حلى القبط) التي سبكتها نار السامري عند إلقائه في تلك الحلى التربة التي أخذها من موطىء فرس جبريل عليه السلام.

(والجامع الشكل) فإن ذلك الحيوان كان على شكل ولد البقرة.

(والجميع) من المستعار منه والمستعار له والجامع.

(حسي) أي: مدرك بالبصر.

(وإما عقلي نحو: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ [يس: ٣٧] فإن المستعار منه) معنى السلخ وهو.

(كشط الجلد عن نحو الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل) وهو موضع إلقاء ظله.

(وهما حسيان والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر) أي: حصوله عقيب حصوله دائما أو غالبا كترتب ظهور اللحم على الكشط وترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل والترتب أمر عقلي.

وبيان ذلك: أن الظلمة هي الأصل والنور فرع طار عليها يسترها بضوئه فإذا غربت الشمس فقد سلخ النهار من الليل أي كشط وأزيل كما يكشف عن الشيء الشيء الطارئ عليه .... له فجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار بمنزلة ظهور المسلوخ بعد سلخ اهابه عنه وحينئذ صح قوله تعالى فإذا هم مظلمون، لأن الواقع عقيب إذهاب الضوء عن مكان الليل هو الإظلام.

وأما على ما ذكر في "المفتاح" من أن المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل ففيه اشكال لأن الواقع بعده إنما هو الابصار دون الاظلام.

وحاول بعضهم التوفيق بين الكلامين بحمل كلام صاحب "المفتاح" على القلب أي ظهور ظلمة الليل من النهار أو بأن المراد من الظهور التمييز أو بأن الظهور بمعنى الزوال كما في قول الحماسي:

وذلك عارٌ يا ابن ريطة ظاهر

وفي قول أبي ذؤيب:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

أي: زائل وذكر العلامة في شرح المفتاح أن السلخ قد يكون بمعنى النزع مثل سلخت الإهاب عن الشاة.

وقد يكون بمعنى الإخراج نحو: سلخت الشاة عن الإهاب فذهب صاحب المفتاح إلى الثاني وصح قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس: ٣٧] بالفاء لأن التراخي وعدمه مما يختلف باختلاف الأمور والعادات وزمان النهار وإن توسط بين إخراج النهار من الليل وبين دخول الظلام لكن لعظم شأن دخول الظلام بعد اضائة النهار وكونه مما ينبغي أن

يحصل إلا في أضعاف ذلك الزمان من الليل عد الزمان قريبا وجعل الليل كأنه يفاجئهم عقيب إخراج النهار من الليل بلا مهلة.

وعلى هذا حسن إذا المفاجاة كما يقال: أخرج النهار من الليل ففاجأه دخول الليل. ولو جعلنا السلخ بمعنى النزع وقلنا نزع ضوء الشمس عن الهواء ففجأه الظلام لم يستقم أو لم يحسن كما إذا قلنا كسرت الكوز ففاجاه الانكسار فلا يجوز ذلك.

(وأما مختلف) بعضه حسي وبعضه عقلي.

(كقولك: " رأيت شمسا " وأنت تريد إنسانا كالشمس في حسن الطلعة) وهي حسي.

(ونباهة الشأن) وهي عقلية.

(وإلا) عطف على قوله: وإن كانا حسيين، أي وإن لم يكن الطرفان حسيين.

(فهما) أي: الطرفان.

(إما عقليان نحو قوله تعالى: ﴿ مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس: ٥٢]. فإن المستعار منه الرقاد) أي: النوم على أن يكون المرقد مصدرا ميميا وتكون الاستعارة أصلية أو على أنه بمعنى المكان إلا أنه اعتبر التشبيه في المصدر لأن المقصود بالنظر في اسم المكان وسائر المشتقات إنما هو في المعنى القائم بالذات لا نفس الذات واعتبار التشبيه في المقصود الاهم أولى وستسمع لهذا زياده تحقيق في الاستعارة التبعية.

(والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والجميع عقلي). وقيل عدم ظهور الأفعال في المستعار له أعني الموت اقوى. ومن شرط الجامع أن يكون المستعار منه أقوى فالحق أن الجامع هو البعث الذي هو في النوم اظهر واشهر واقوى لكونه مما لا شبهة فيه لاحد وقرينة الاستعارة هي كون هذا الكلام كلام الموتى مع قوله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.

(وإما مختلفان) أي: أحد الطرفين حسي والآخر عقلي.

(والحسي هو المستعار منه نحو قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [النحل:٩٤]، فإن المستعار منه كسر الزجاج، وهو حسي والمستعار له التبليغ والجامع التأثير وهما عقليان) والمعنى ابن الأمر إبانة أي لا تنمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة.

(وإما عكس ذلك) أي: الطرفان مختلفان والحسي هو المستعار له.

(نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١]. فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي والمستعار منه التكثير والجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان و) الاستعارة.

(باعتبار اللفظ) المستعار.

(قسمان لأنه) أي: اللفظ المستعار.

(إن كان اسم جنس) حقيقة أو تأويلا كما في الأعلام المشتهرة بنوع وصفية.

(فاصلية) أي: فالاستعارة أصلية.

(كأسد) إذا استعير للرجل الشجاع.

(وقتل) إذا استعير للضرب الشديد الأول اسم عين والثاني اسم معنى.

(وإلا فتبعية) أي: وأن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس فالاستعارة تبعية.

(كالفعل وما يشتق منه) مثل اسمى الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وغير ذلك.

(والحرف) وإنما كانت تبعية لأن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يقتضي كون المشبه موصوفا بوجه الشبه أو بكونه مشاركا للمشبه به في وجه الشبه.

وإنما يصلح للموصوفية الحقائق اي الأمور المتقررة الثابتة كقولك جسم أبيض وبياض صاف دون معاني الأفعال والصفات المشتقة منها لكونها متجددة غير متقررة بواسطة دخول الزمان في مفهوم الأفعال وعروضه للصفات دون الحروف وهو ظاهر كذا ذكروه.

obeikandl.com

وفيه بحث: لأن هذا الدليل بعد استقامته لا يتناول اسم الزمان والمكان والالة لأنها تصلح للموصوفية وهم أيضا صرحوا بأن المراد بالمشتقات هو الصفات دون اسم الزمان والمكان والآلة.

فيجب أن تكون الاستعارة في اسم الزمان ونحو أصلية بأن يقدر التشبيه في نفسه لا في مصدره وليس كذلك للقطع بأنا إذا قلنا هذا مقتل فلان للموضع الذي ضرب فيه ضربا شديدا أو مرقد فلان لقبره فإن المعنى على تشبيه الضرب بالقتل والموت بالرقاد وأن الاستعارة في المصدر لا في نفس المكان.

بل التحقيق أن الاستعارة في الأفعال وجميع المشتقات التي يكون القصد بها إلى المعاني القائمة بالذوات تبعية لأن المصدر الدال على المعنى القائم بالذات هو المقصود الأهم الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه وإلا لذكرت الألفاظ الدالة على نفس الذوات دون ما يقوم بها من الصفات.

(فالتشبيه في الأولين) أي: في الفعل وما يشتق منه.

(المعنى المصدر وفى الثالث) أي: الحرف.

(لمتعلق معناه) أي: لما تعلق به معنى الحرف. قال صاحب المفتاح: المراد بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر بها عنها عند تفسير معانيها مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية وفى معناها الظرفية، وكي معناها الغرض فهذه ليست معاني الحروف وإلا لما كانت حروفا بل أسماءا لأن الاسمية والحرفية إنما هي باعتبار المعنى.

وإنما هي متعلقات لمعانيها أي إذا أفادت هذه الحروف معاني ترجع تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام.

فقول المصنفَ في تمثيل متعلق معنى الحروف:

(كالمجرور في قولنا زيد في نعمة) ليس بصحيح. وإذا كان التشبيه لمعنى المصدر ولمتعلق معنى الحروف.

(فيقدر) التشبيه.

(في نطقت الحال والحال ناطقة بكذا للدلالة بالنطق) أي: يجعل دلالة الحال مشبها ونطق الناطق مشبها به ووجه الشبه ايضاح المعنى وايصاله إلى الذهن ثم يستعار للدلالة لفظ النطق ثم يشتق من النطق المستعار الفعل والصفة فتكون الاستعارة في المصدر أصلية وفى الفعل والصفة تبعية وأن اطلق النطق وعلى الدلالة لا باعتبار التشبيه بل باعتبار أن الدلالة لازمة له يكون مجازا مرسلا. وقد عرفت أنه لا امتناع في أن يكون اللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد استعارة ومجازا مرسلا باعتبار العلاقتين.

(و) يقدر التشبيه.

(في لام التعليل نحو قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾) أي: موسى عليه السلام.

(﴿آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص:٨] للعداوة) أي: يقدر التشبيه للعداوة.

(والحزن) الحاصلين.

(بعد الالتقاط بعلته) أي: علة الالتقاط.

(الغائية) كالمحبة والتبنى في الترتب على الالتقاط والحصول بعده ثم استعمل في العداوة والحزن ما كان حقه أن يستعمل في العلة الغائية فتكون الاستعارة فيها تبعا للاستعارة في المجرور.

وهذا الطريق مأخوذ من كلام صاحب الكشاف ومبني على أن متعلق معنى اللام هو المجرور على ما سبق، لكنه غير مستقيم على مذهب المصنف في الاستعارة المصرحة لأن المتروك يجب أن يكون هو المشبه سواء كانت الاستعارة أصلية أو تبعية. وعلى هذا الطريق المشبه أعني العداوة والحزن مذكور لا متروك.

بل تحقيق استعارة التبعية ههنا أنه شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علته الغائية عليه ثم استعمل في المشبه اللام الموضوعة للمشبه به أعني ترتب علة الالتقاط الغائية

على فجرت الاستعارة أولا في العلية والفرضية وتبعيتها في اللام كما مر في نطقت الحال فصار حكم اللام حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه العلية وصار متعلق معنى اللام هو العلية والفرضية لا المجرور على ما ذكره المصنف سهوا. وفى هذا المقام زيادة تحقيق أوردناها في الشرح.

(ومدار قرينتها) أي: قرينة الاستعارة التبعية.

(في الأولين) أي: في الفعل وما يشتق منه.

(على الفاعل نحو: نطقت الحال) بكذا فإن النطق الحقيقي لا يسند إلى الحال.

(أو المفعول نحو:) جمع الحق لنا في امام.

(قتل البخل وأحيا السماحا)(١) فإن القتل والإحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود.

(ونحو نقريهم لهذميات نقد بها)(٢) ما كان خاط عليهم كل زراد. اللهذم من الأسنة القاطع فاراد بلهذميات طعنات منسوبة إلى الأسنة القاطعة أو أراد نفس الأسنة والنسبة

---

(١) هو لابن المعتز من قصيدته السابقة في التشبيه وصدره:

جُمع الحقُّ لنا في إمامِ

وبعده قوله:

إن عفا لم يُلْغِ لله حقاً .... أو سَطَا لم يخش منه جناحا
ألف الهيجاء طفلاً وكهلاً .. يحسبُ السيفَ عليه وشاحا

والشاهد فيه: مدار قرينة الاستعارة التبعية على المفعول فإن القتل والإحياء الحقيقيين لا يتعلقان بالبخل والجود.

(٢) قائله القطامي، ولفظه:

نقريهمُ لهذميات نَقُدُّ بها .. ما كانَ خاطَ عليهم كلُّ زَرَّادِ

وهو من قصيدة من البسيط يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي أولها:

ما اعْتادَ حُبُّ سُلَيْمَى غير مُعتادِ .. ولا تَقَضَّى بوافي دَينها الطَّادِي
بيضاء مَحْطُوطَةُ المَتْنَيْنِ بَهْكَنَةٌ .... ريَّا الرَّوادِف لم تَمغَلْ بأولادِ
ما للكَواعِبِ ودَّعْنَ الحياةَ كما .. ودَّعْنَني واتَّخَذْنَ الشَّيب ميعادِي
أبصارُهُنَّ إلى الشبانِ مائِلةٌ .... وقد أراهُنَّ عني غيرَ صُدَّادِ
إذ باطِلِي لم تَقَشَّعْ جاهِلِيَّتُهُ .... عني ولم يترُكِ الخُلاّنُ تَقوادِي

للمبالغة كأحمري،والقد القطع وزرد الدرع وسردها نسجها فالمفعول الثاني أعني لهذميات قرينة على أن نقريهم استعارة.

(أو المجرور نحو: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الانشقاق:٢٤]) فإن ذكر العذاب قرينة على أن بشر استعارة تبعية تهكمية. وإنما قال ومدار قرينتها على كذا لأن القرينة لا تنحصر فيما ذكر بل قد تكون حالية كقولك: قتلت زيدا إذا ضربته ضربا شديدا.

(و) الاستعارة.

(باعتبار آخر) غير اعتبار الطرفين والجامع.

واللفظ:

(ثلاثة أقسام) لأنها إما أن تقترن بشيء يلائم المستعار له والمستعار منه أو تقترن بما يلائم المستعار له أو تقترن بما يلائم المستعار منه. الأول.

(مطلقة وهي ما لم تقترن بصفة ولا تفريع) أي: تفريع كلام مما يلائم المستعار له والمستعار منه نحو: عندي أسد.

(والمراد) بالصفة.

(المعنوية) التي هي معنى قائم بالغير.

(لا النعت) النحوي الذي هو أحد التوابع.

=

كَبِيَّةِ الحيِّ مِنْ ذي الْيَقْظَةِ احتملوا .. مُسْتَحْقِبِينَ فؤاداً ما له فادي
باتوا وكانت حَيَاتي في اجتماعِهِمُ ... وفي تَفَرُّقِهِمْ قتلي وإقصَادِي
يَقْتُلْنَنا بحديثٍ ليسَ يعلمُهُ .... من يَتَّقِينَ ولا مكنونُهُ بادِي
فهُنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يصبنَ به .. مواقعَ الماءِ من ذي الغُلةِ الصادِي

وهي طويلة.

واللهذم: القاطع من الأسنة، وأراد بلهذميات طعنات منسوبة إلى الأسنة القاطعة، أو أراد نفس الأسنة، والتشبيه للمبالغة، والقد: القطع، والزراد: صانع الدروع.

والشاهد فيه: أن مدار قرينة الاستعارة التبعية في الفعل وما يشتق منه على الفاعل أو المفعول كما هنا، فإن المفعول الثاني - وهو اللهذميات - قرينة على أن نقريهم استعارة.

(و) الثاني.

(مجردة: وهي ما قرن بها يلائم المستعار له كقوله: غمر الرداء) أي: كثير العطاء استعار الرداء للعطاء لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه.

ثم وصفه بالغمر الذي يناسب العطاء دون الرداء تجريدا للاستعارة والقرينة سياق الكلام أعني قوله.

(إذا تبسم ضاحكا) أي: شارعا في الضحك آخذا فيه. وتمامه:

غلقت بضحكته رقاب المال[1]

أي إذا تبسم غلقت رقاب امواله في ايدى السائلين. يقال غلق الرهن في يد المرتهن إذا لم يقدر على أنفكاكه.

(و) الثالث.

(مرشحة وهي ما قرن بها يلائم المستعار منه نحو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم) استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار. ثم فرع عليها ما يلائم الاشتراء من الربح والتجارة.

(وقد يجتمعان) أي: التجريد والترشيح.

---

(١)هو من الكامل. وهو من قصيدة لكثير عزة، وأراد بغمر الرداء كثير العطاء والشاهد فيه: الاستعارة المجردة، وهي ما قرنت بملائم المستعار له، فإنه استعار الرداء للعطاء، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه، ثم وصفه بالغمر الذي يلائم العطاء دون الرداء تجريداً للاستعارة، والقرينة سياق الكلام، وهو قوله: " إذا تبسم ضاحكاً " أي شارعاً في الضحك آخذاً فيه، غلقت لضحكته رقاب المال، يقال " غلق الرهن في يد المرتهن " إذا لم يقدر على أنفكاكه، وهو يريد في البيت أن ممدوحه إذا تبسم غلقت رقاب أمواله في أيدي السائلين.

ومن استعارة الرداء قوله من الوافر:

يُنَازعني ردائي عَبْدُ عمرٍو .. رُوَيْدَكَ يا أخا عمرِو بن بكرِ
لِيَ الشطرُ الذي مَلَكت يميني .. فَدُونك فاعتجر منه بشَطْرِ

فإنه استعار الرداء للسيف، وأثبت له الاعتجار وهو من صفة الرداء.

(كقوله: لدي أسد شاكي السِلاح) هذا تجريد لأنه وصف بها يلائم المسيتعار له أعني الرجل الشجاع.

(مقذف له لبد أظفاره لم تقلم)[١] هذا ترشيح لأن هذا الوصف مما يلائم المستعار منه أعني الأسد الحقيقي. واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه والتقليم مبالغة القلم وهو القطع.

(والترشيح أبلغ) من الإطلاق والتجريد ومن جمع التجريد والترشيح.

(لاشتماله على تحقيق المبالغة) في التشبيه لأن في الاستعارة مبالغة في التشبيه فترشيحها بما يلائم المستعار منه تحقيق ذلك وتقوية له.

(ومبناه) أي: مبنى الترشيح.

(على تناسي التشبيه) وادعاء أن المستعار له نفس المستعار منه لا شيء شبيه به.

(حتى أنه يبنى على علو القدر) الذي يستعار له علو المكان.

(ما يبنى على علو المكان كقوله:

ويصعد حتى يظن الجهول ... بأن له حاجة في السماء[٢]

---

(١)تقدم قريباً أن قائله زهير بن أبي سلمى، من قصيدة من الطويل واللبد بالكسر شعر زبرة الأسد، وكنيته أبو لبد، والتقليم: مبالغة القلم وهو قطع الأظفار.

والشاهد فيه: اجتماع التجريد والترشيح في الاستعارة، فالتجريد قد عرف قبله، والترشيح هو: ما قرن بملائمة المستعار منه، فقوله هنا لدى أسد شاكي السلاح، تجريد، لأنه وصف يلائم المستعار له وهو الرجل الشجاع، وباقي البيت ترشيح لأنه وصف يلائم المستعار منه، وهو الأسد الحقيقي.

ومعنى البيت أخذه زهير من قول أوس بن حجر حيث قال من الطويل:

لَعَمْرُكَ إنَّا والأحاليفَ هؤلا .. لفي حِقْبَةٍ أظفارها لم تُقَلَّم

(٢) البيت لأبي تمام الطائي، من قصيدة من المتقارب يرثي بها خالد بن يزيد الشيباني ويذكر أباه، وأولها:

نَعَاءِ إلى كلِّ حَيٍّ نَعاء ... فتى العَرَب اخْتَطَّ ربْعَ الفناءِ

أُصِبْنا جميعاً بسهمِ النِّضال .. فَهلا أصبنَا بسهم الغِلاَءِ

ألا أيها المَوْتُ فَجَعْتنا .... بماءِ الحياةِ وماءِ الحياءِ

فماذا حَبَوتَ به حاضراً ..... وماذا خَبأتَ لأهلِ الخِباء

استعار الصعود لعلو القدر والارتقاء في مدارج الكمال ثم بنى عليه ما يبنى على علو المكان والارتقاء إلى السماء من ظن الجهول أن له حاجة في السماء.

وفي لفظ الجهول زيادة مبالغة في المدح لما فيه من الإشارة إلى أن هذا إنما يظنه الجهول وأما العاقل فيعرف أنه لا حاجة له في السماء لا تضافه بسائر الكمالات.

وهذا المعنى مما خفي على بعضهم فتوهم أن في البيت تقصيرا في وصف علوه حيث أثبت هذا الظن للكامل الجهل بمعرفة الأشياء.

(ونحو) أي: مثل البناء على علو القدر ما يبنى على علو المكان لتناسي التشبيه.

(ما مر من التعجب) في قوله:

قامت تظللني ومن عجب ... شمس تظللني من الشمس

(والنهي عنه) أي: عن التعجب في قوله:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... قد زر أزراره على القمر

=

نعاء نعاء شَقيقَ النَّدَى .... إليه نعيّاً قَليلَ الجَدَاءِ
وكانا زَماناً شريكَيْ عِنانٍ .. رَضيعَىْ لِبانٍ خَليلَىْ صفاءِ

إلى أن قال يخاطب ولده:

أبا جَعْفر لِيُعِزْكَ الزَّما ...... نُ عزّاً ويكْسُــــكَ طول البَقَاء
فما مُزْنُكَ المزْتَجَى بالجَهَام .... ولا ريحُنُــــا منكَ بالجِرْبِيَاء
فَلاَ رجعَتْ فيك تلك الظنون .. حيارَى ولا انسَدَّ شِعْبُ الرجاء
وقد نُكِسَ الثُّغْر فابعث لهُ .. صُدُورَ القَنافي ابتِغَاء الشُّفاء
فقَدْ ماتَ جَدُّك جد الملوكِ .. ونجمُ أبيكَ حَدِيثُ الضياء
ولم يَرْض قَبَضَتهُ للحسام ..... ولا حَمْــــل عاتقه لِلُّواء
فما زال يقرعُ فلكَ العُلاَ .... مع النجــــم مرتَدِياً بالعَمَاء

وبعده البيت، وهي قصيدة طويلة، وهذا البيت في مدح أبيه وذكر علوه.

والشاهد فيه: أن مبنى الترشيح على تناسي التشبيه، حتى أن المرشح يبنى على علو القدر الذي يستعار له علو المكان ما يبنى على علو المكان والارتقاء إلى السماء، فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصر على أنكاره فيجعله صاعداً في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه.

إذ لو لم يقصد تناسي التشبيه وانكاره لما كان للتعجب والنهي عنه جهة على ما سبق، ثم أشار إلى زيادة تقرير لهذا الكلام فقال.

(وإذا جاز البناء على الفرع) أي: المشبه به.

(من الاعتراف بالأصل) أي: المشبه. وذلك لأن الأصل في التشبيه وإن كان هو المشبه به من جهة أنه أقوى وأعرف إلا أن المشبه هو الأصل من جهة أن الغرض يعود إليه وأنه المقصود في الكلام بالنفي والإثبات.

(كما في قوله:

هي الشمس مسكنها في السماء فعز)

أمر من عزاه حمله على العزاء وهو الصبر.

(الفؤاد عزاء جميلا فلن تسطتيع)

أنت **(إليها)** أي: إلى الشمس الصعود ولن تستطيع الشمس.

(إليك النزولا)(١) والعامل في إليها وإليك هو المصدر بعد هما إن جوزنا تقديم الظرف على المصدر وإلا فمحذوف يفسره الظاهر.

---

(١) البيتان للعباس بن الأحنف، من المتقارب.

والشاهد فيهما: جواز البناء على الفرع – وهو المشبه به – مع جحد الأصل وهو المشبه، لأنه هنا طوى ذكر الأصل، وجعل الكلام خلواً منه، ويسمى هذا المجاز المفرد، ومنه قول الفرزدق من الطويل:

أبى أحمدُ الغيثين صعصعةُ الذي .. متى تبخلِ الجوزاءُ والدَّلو يُمْطِرِ

وقل عدي بن الرقاع يصف حمارين وحشيين من الكامل:

يتعاوَرانِ من الغبارِ مُلاءَةً ...... بيضاء محكمةً إذا نسجاهَا

تُطوَى إذا وَرَدَا مكاناً حزناً .. وإذا السنابكُ أسهلت نشراهَا

وقول سعيد الكاتب التستري النصراني من مجزوء الخفيف:

قلتُ زوري فأرسلتْ .. أنا آتيك سُحرَهْ

قلتُ فالليلُ كان... أخفى وأدنى مسرّه

فأجَابتْ بحجةٍ ... زَادتِ القلبَ حسرَةْ

أنا شمسٌ وإنّما .... تطلعُ الشمسُ بكرَهْ.

فقوله: هي الشمس تشبيه لا استعارة وفى التشبيه اعتراف بالمشبه ومع ذلك فقد بنى الكلام على المشبه به أعني الشمس وهو واضح. فقوله وإذا جاز البناء شرط جوابه قوله.

(فمع جحده) أي: جحد الأصل كما في الاستعارة البناء على الفرع.

(أولى) بالجواز لأنه قد طوى فيه ذكر المشبه أصلا وجعل الكلام خلوا عنه ونقل الحديث إلى المشبه به. وقد وضع في بعض اشعار العجم النهي عن التعجب من التصريح بأداة التشبيه. وحاصله لا تعجبوا من قصر ذوائبه فإنها كالليل، ووجهه كالربيع والليل في الربيع مائل إلى القصر. وفى هذا المعنى من الغرابة والملاحة بحيث لا يخفى.

(وأما) المجاز.

(المركب فهو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي) أي: بالمعنى الذي يدل عليه ذلك اللفظ بالمطابقة.

(تشبيه التمثيل) وهو ما يكون وجهه منتزعا من متعدد واحترز بهذا على الاستعارة في المفرد.

(للمبالغة) في التشبيه.

(كما يقال للمتردد في أمر إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى) شبه صورة تردده في ذلك الأمر بصورة تردد من قام ليذهب فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر أخرى. فاستعمل في الصورة الأولى الكلام الدال بالمطابقة على الصورة الثانية ووجه الشبه وهو الاقدام تارة والاحجام أخرى منتزع من عدة أمور كما ترى.

(وهذا) المجاز المركب.

(يسمى التمثيل) لكون وجهه منتزعا من متعدد.

(على سبيل الاستعارة) لأنه قد ذكر فيه المشبه به واريد المشبه كما هو شأن الاستعارة.

(وقد يسمى التمثيل مطلقا) من غير تقييد بقولنا على سبيل الاستعارة ويمتاز عن التشبيه بأن يقال له تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي.

وفى تخصيص المجاز المركب بالاستعارة نظر لأنه كما أن المفردات موضوعة بحسب الوضع الشخصي فالمركبات موضوعة بحسب النوع فإذا استعمل المركب في غير ما وضع له فلابد من أن يكون ذلك بعلاقة فإن كانت هي المشابهة فاستعارة وإلا فغير استعارة وهو كثير في الكلام كالجمل الخبرية التي لم تستعمل في الأخبار.

(**ومتى فشا استعماله**) أي: المجاز المركب.

(**كذلك**) أي: على سبيل الاستعارة.

(**يسمى مثلا ولهذا**) أي: ولكون المثل تمثيلا فشا استعماله على سبيل الاستعارة.

(**لا تغير الأمثال**) لأن الاستعارة يجب أن يكون لفظ المشبه به المستعمل في المشبه. فلو غير المثل لما كان لفظ المشبه به بعينه فلا يكون استعارة فلا يكون مثلا.

ولهذا لا يلتفت في الأمثال إلى مضاربها تذكيرا وتأنيثا وأفرادا وتثنية وجمعا بل إنما ينظر إلى مواردها كما يقال للرجل بالصيف ضعيت اللبن بكسر تاء الخطاب لأنه في الأصل للامرأة.

obeikandl.com

فصل في بيان
الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية

ولما كانتا عند المصنف أمرين معنويين غير داخلين في تعريف المجاز أوردهما على حدة ليستوفي المعاني التي يطلق عليها لفظ الاستعارة فقال:

(قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه) وأما وجوب ذكر المشبه به فإنما هو في التشبيه المصطلح عليه، وقد عرفت أنه غير الاستعارة بالكناية.

(ويدل عليه) أي: على ذلك التشبيه المضمر في النفس.

(بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به) من غير أن يكون هناك أمر متحقق حسا أو عقلا يطلق عليه اسم ذلك الأمر.

(فيسمى التشبيه) المضمر في النفس.

(استعارة بالكناية أو مكنيا عنها) إما الكناية فلأنه لم يصرح به بل إنما دل عليه بذكر خواصه ولوازمه وأما الاستعارة فمجرد تسمية خالية عن المناسبة.

(و) يسمى.

(إثبات ذلك الأمر) المختص بالمشبه به.

(للمشبه استعارة تخييلية) لأنه قد استعير للمشبه ذلك الأمر الذي يختص المشبه به وبه يكون كمال المشبه به أو قوامه في وجه الشبه ليخيل أن المشبه من جنس المشبه به.

(كما في قول الهذلي: وإذا المنية انشبت) أي: علقت.

(أظفارها)[1] ألفيت كل تميمة لا تنفع. التميمة الخرزة التي تجعل معاذة أي تعويذا أي إذا علق الموت مخلبه في شيء ليذهب به بطلت عنده الحيل.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، من قصيدة من الكامل، قالها وقد هلك له خمس بنين في عام واحد، وكانوا فيمن هاجر إلى مصر، فرثاهم بهذه القصيدة، وأولها:

أمِنَ المنونِ وَرَيبِها تتوجَّعُ .. والدهرُ ليسَ بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

(شبه) الهذلي في نفسه.

(المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار) ولا رقة لمرحوم ولا بقيا على ذى فضيلة.

(فأثبت لها) أي: للمنية.

(الأظفار التي لا يكمل ذلك) الاغتيال.

(فيه) أي: في السبع.

=

قالتْ أُمامةُ ما لجسمكَ شاحباً .. منذُ ابتذلتَ ومثلُ مالكَ ينفعُ
أمْ ما لجسمكَ لا يلائم مضجعاً .. إلا أقضَّ عليكَ ذاك المضجعُ
فأجبتها أمّا لجسميَ أنهُ ...... أودى بَنِيّ من البــــلاد فودّعُوا
أَوْدى بَنِيّ فأعقبوني حسرةً .... عنــــد الرّقاد وعَبْرةً لا تُقْلِعُ
فالعينُ بعدُهمُ كأنّ حداقَهَا .... كُـــحِلت بشوك فيه عُورٌ تَدمعُ
فَغَبَرْتُ بعدهم بعيش ناصبٍ ..... وإخـــالُ أني لاحقٌ مستتبعُ
سبقوا هَوَىّ وأعنقوا لهواهمُ ... فتُخُرّمـــوا ولكل جنبٍ مَصْرعُ
ولقد حرصتُ بأن أدافعَ عنهمُ ..... فإذا المنيــــة أقبلتْ لا تُدْفَعُ

وبعده البيت، وبعده:

وتجلُّدِي للشامتين أُريهُم ... أني لريب الدهرِ لا أتضعضعُ
حتى كأني للحوادث مَرْوَةٌ ... بصفا المشْرق كلَّ يومٍ تُقرعُ
والدّهرُ لا يَبْقَى على حَدثانهِ .. جَونُ السّراةِ له جدائد أربعُ

يروى أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما استأذن على معاوية في مرض موته ليعوده، فادهن واكتحل، وأمر أن يعقد ويسند، وقال: ائذنوا ه، وليسلمْ قائماً ولينصرف، فلما سلم عليه وولى، أنشد معاوية قول الهذلي في هذه القصيدة: وتجلدي للشامتين.. البيت. فأجابه ابن عباس على الفور: وإذا المنية أنشبت.. البيت. ثم خرج من داره حتى سمع الناعية عليه.

والشاهد فيه: الاستعارة بالكناية، والاستعارة التخييلية، فهو هنا شبه في نفسه المنية بالسبع في اغتياله النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ولا رقة لمرحوم، فأثبت لها الأظفار التي لا يكمل الاغتيال في السبع بدونها تحقيقاً للمبالغة في التشبيه، فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية، وإثبات الأظفار لها استعارة تخييلية.

وأبو ذؤيب اسمه: خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم، ينتهي نسبه لنزار، وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، ولم تثبت له رؤية.

(بدونها) تحقيقا للمبالغة في التشبيه. فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية وإثبات الأظفار لها استعارة تخييلية.

(وكما في قول الآخر:

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق[1]

شبه الحال بإنسان متكلم في الدلالة على المقصود) وهو استعارة بالكناية.

(فأثبت لها) أي: للحال.

(اللسان الذي به قوامها) أي: قوام الدلالة.

(فيه) أي: في الإنسان المتكلم. وهذا الإثبات استعارة تخييلية، فعلى هذا كل من لفظي الأظفار والمنية حقيقة مستعملة في معناها الموضوع له وليس في الكلام مجاز لغوي. والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية فعلان من أفعال المتكلم متلازمان إذ التخييلية يجب أن تكون قرينة للمكنية البتة والمكنية يجب أن تكون قرينتها تخييلية البتة فمثل قولنا: (أظفار المنية المشبهة بالسبع أهلكت فلانا) يكون ترشيحا للتشبيه كما أن أطولكن في قوله عليه السلام أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا أي نعمة ترشيح للمجاز هذا، ولكن تفسير الاستعارة بالكناية بما ذكره المصنف شيء لا مستند له في كلام السلف ولا هو مبني على مناسبة لغوية ومعناها المأخوذ من كلام السلف هو: أن لا يصرح بذكر المستعار بل بذكر رديفه ولازمه الدال عليه فالمقصود بقولنا أظفار المنية استعارة السبع للمنية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع.

إلا أنا لم نصرح بذكر المستعار أعني السبع بل اقتصرنا على ذكر لازمه وهو الأظفار لينتقل منه إلى المقصود كما هو شأن الكناية فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية.

---

(١) البيت من الكامل، ولا أعرف قائله.

والشاهد فيه: ما في البيت قبله، فإنه شبه الحال بإنسان متكلم في الدلالة على المقصود، وهذا هو الاستعارة بالكناية، فأثبت لها اللسان الذي له قوام الدلالة في الإنسان المتكلم، وهذه الاستعارة التخييلية.

قال صاحب الكشاف: إن من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بذلك الرمز على مكانه نحو: شجاع يفترس افتراسة. ففيه تنبيه على أن الشجاع أسد. هذا كلامه وهو صريح في أن المستعار هو اسم المشبه به المتروك صريحا المرموز إليه بذكر لوازمه، وسيجيء الكلام على ما ذكره السكاكي.

(وكذا قول زهير: صحا) أي: سلا مجازا من الصحو خلاف السكر.

(القلب عن سلمى وأقصر باطله)

يقال: أقصر عن الشيء إذا اقلع عنه أي تركه وامتنع عنه أي امتنع باطله عنه وتركه بحاله.

(وعرى أفراس الصبا ورواحله)(١)

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو أول قصيدة من الطويل، ويعده:

وأقصرتُ عما تعلمين وُسدِّدتْ .. عليّ سوى قصد السبيل معادِلُهْ

إلى أن يقول فيها:

فقلنا له أبصر وسَدِّد طريقهُ ...... وما هو فيه عن وَصاتيَ شاغلُه
وقلت تعلم أن في الصيد غِرّةً .... وإن لا تضيعه فإنك قاتلُه
فأتبع آثار الشياه وليدُنا ...... كشؤبوب غيث يحفش الأكْمَ وابلُه
نظرت إليه نظرة فرأيته .... على كل حال مرة وَهْوَ حاملُهْ

وهي طويلة.

يقال: أقصر عن الشيء، بمعنى انتهى أو عجز عنه.

والشاهد فيه: ما في البيت قبله أيضاً، فإنه أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه من المحبة زمن الجهل والغي، وأعرض عن معاودته فطبلت آلاته، فشبه في نفسه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها الوطر فأهملت آلاتها.

ووجه الشبه: الاشتغال التام به وركوب المهامه والمسالك الصعبة غير مبال بمهلكة ولا متحرز عن معركة.

وهذا التشبيه المضمر في النفس استعارة بالكناية أثبت له بعض ما يختص بتلك الجهة – وهي الأفراس والرواحل التي بها قوام السير والسفر – فإثبات الأفراس والرواحل استعارة تخييلية، والصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة، ويحتمل أنه أراد بالأفراس والرواحل دواعي النفس وشهواتها

أراد) زهيرَ.

(أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه زمن المحبة من الجهل والغي، وأعرض عن معاودته فبطلت آلاته) الضمير في معاودته وآلاته لما كان يرتكبه.

(فشبه) زهير في نفسه.

(الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضى منها) أي: من تلك الجهة.

(الوطر فأهملت آلاتها) ووجه الشبه الاشتغال التام وركوب المسالك الصعبة فيه غير مبال بمهلكة ولا محترز عن معركة، وهذا التشبيه المضمر في النفس استعارة بالكناية.

(فأثبت له) أي: للصبا بعض ما يختص تلك الجهة أعني.

(الأفراس والرواحل) التي بها قوام جهة المسير والسفر. فاثبات الافراس والرواحل استعارة.

(فالصبا) على هذا التقدير.

(من الصبوة بمعنى الميل إلى الجهل والفتوة) يقال صبا يصبو صبوا أي مال إلى الجهل والفتوة كذا في الصحاح لامن الصباء بالفتح والمد يقال صبى صباء مثل سمع سماعا أي لعب مع الصبيان.

(ويحتمل أنه) أي: زهير.

(أراد) بالأفراس والرواحل.

(دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات أو أراد بها الأسباب التي قلما تتخذ في اتباع الغي إلا أوان الصبا) وعنفوان الشباب مثل المال والمنال والاخوان والأعوان.

=

والقوى الحاصلة لها في استيفاء اللذات، أو أراد بها الأسباب التي قلما تتخذ في اتباع الغي إلا أوان الصبا وعنفوان الشباب فتكون استعارة الأفراس والرواحل تحقيقية لتحقق معناها عقلاً إذا أريد بها الدواعي وحساً إذا أريد بها اتباع أسباب الغي.

(فتكون الاستعارة) أي: استعارة الأفراس والرواحل.

(تحقيقية) لتحقق معناها عقلا إذا أريد بها الدواعي وحسا إذا أريد بها أسباب اتباع الغي من المال والمنال مثل المصنف أمثلة:

الأول: ما تكون التخييلية إثبات ما به كمال المشبه به.

والثاني: ما تكون إثبات ما به قوام المشبه به.

والثالث: ما يحتمل التخييلية والتحقيقية.

obeikandl.com

(فصل)

في مباحث من الحقيقة والمجاز

والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وقعت في المفتاح مخالفة لما ذكره المصنف والكلام عليها.

(عرف السكاكي الحقيقة اللغوية) أي: غير العقلية.

(بالكلمة المستعملة فيما وضعت هي له من غير تأويل في الوضع واحترز بالقيد الأخير) وهو قوله من غير تأويل في الوضع.

(عن الاستعارة على أصح القولين) وهو القول بأن الاستعارة مجاز لغوي لكونها مستعملة في غير الموضوع له الحقيقي فيجب الاحتراز عنها، وأما على القول بأنها مجاز عقلي واللفظ مستعمل في معناه اللغوي فلا يصح الاحتراز عنها.

(فإنها) أي: إنما وقع الاحتراز بهذا القيد عن الاستعارة لأنها.

(مستعملة فيما وضعت له بتأويل) وهو ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراده قسمين متعارفا وغير متعارف.

(وعرف) السكاكي.

(المجاز اللغوي بالكلمة) في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع.

وقوله بالنسبة متعلق بالغير واللام في الغير للعهد أي المستعملة في معنى غير المعنى الذي الكلمة موضوعة له في اللغة أو الشرع غيرا بالنسبة إلى نوع حقيقة تلك الكلمة حتى لو كان نوع حقيقتها لغويا يكون الكلمة قد استعملت في غير معناها اللغوي فيكون مجازا لغويا.

وعلى هذا القياس ولما كان هذا القيد بمنزلة قولنا في اصطلاح به التخاطب مع كون هذا أوضح وأدل على المقصود اقام المصنف مقام أخذا بالحاصل من كلام السكاكي فقال:

(في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التخاطب مع قرينة مانعة عن إرادته) أي: إرادة معناها في ذلك الاصطلاح.

(وأتى) السكاكي.

(بقيد التحقيق) حيث قال موضوعة له بالتحقيق.

(لتدخل) في تعريف المجاز.

(الاستعارة) التي هي مجاز لغوي.

(على ما مر) من أنها مستعملة فيما وضعت له بالتأويل لا بالتأويل لا بالتحقيق، فلو لم يقيد الوضع بالتحقيق لم تدخل هي في التعريف لأنها ليست مستعملة في غير ما وضعت له بالتأويل.

وظاهر عبارة صاحب المفتاح ههنا فاسد لأنه قال: وقولي بالتحقيق احتراز عن أن لا تخرج الاستعارة وظاهر: أن الاحتراز إنما هو عن خروج الاستعارة لا عن عدم خروجها فيجب أن تكون لا زائدة، أو يكون المعنى احترازا لئلا تخرج الاستعارة.

(ورد) ما ذكره السكاكي.

(بأن الوضع) وما يشتق منه كالموضوعة مثلا.

(إذا أطلق لا يتناول الوضع بتأويل). لأن السكاكي نفسه قد فسر الوضع بتعيين اللفظ بازاء المعنى بنفسه وقال: وقولي بنفسه احتراز عن المجاز المعين بإزاء معناه بقرينة ولا شك أن دلالة الأسد على الرجل الشجاع إنما هو بالقرينة فحينئذ لا حاجة إلى تقييد ذلك الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفى تعريف المجاز بالتحقيق. اللهم إلا أن يقصد زيادة الإيضاح لا تتميم الحد.

ويمكن الجواب بأن السكاكي لم يقصد أن مطلق الوضع بالمعنى الذي ذكره يتناول الوضع بالتأويل بل مراده أنه قد عرض للفظ الوضع اشتراك بين المعنى المذكور وبين الوضع

بالتأويل كما في الاستعارة فقيده بالتحقيق ليكون قرينة على أن المراد بالوضع معناه المذكور لا المعنى الذي يستعمل فيه أحيانا وهو الوضع بالتأويل.

وبهذا يخرج الجواب عن سؤال آخر وهو أن يقال لو سلم تناول الوضع للوضع بالتأويل فلا تخرج الاستعارة أيضا لأنه يصدق عليها انها مستعملة في غير ما وضعت له في الجملة أعني الوضع بالتحقيق إذ غاية ما في الباب أن الوضع يتناول الوضع بالتحقيق والتأويل لكن لا جهة لتخصيصه بالوضع بالتأويل فقط حتى تخرج الاستعارة البتة.

(و) رد أيضا ما ذكره.

(بأن التقييد باصطلاح به التخاطب) أو ما يؤدي معناه.

(كما لابد منه في تعريف المجاز) ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله الشارع في الدعاء مجازا كذلك.

(لابد منه في تعريف الحقيقة) أيضا ليخرج عنه نحو هذا اللفظ لأنه مستعمل فيما وضع له في الجملة وأن لم يكن ما وضع له في هذا الاصطلاح.

ويمكن الجواب: بأن قيد الحيثية مراد في تعريف الأمور التي تختلف باختلاف الاعتبارات والاضافات.

ولا يخفى أن الحقيقة والمجاز كذلك لأن الكلمة الواحدة بالنسبة إلى المعنى الواحد قد تكون حقيقة وقد تكون مجازا بحسب وضعين مختلفين، فالمراد أن الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من حيث إنها موضوعة له لا سيما أن تعليق الحكم بالوصف مفيد لهذا المعنى كما يقال الجواد لا يخيب سائله أي من حيث إنه جواد.

وحينئذ يخرج عن التعريف مثل لفظ الصلاة المستعمل في عرف الشرع في الدعاء لأن استعماله في الدعاء ليس من حيث إنه موضوع الدعاء بل من حيث أن الدعاء جزء من الموضوع له، وقد يجاب بأن قيد اصطلاح به التخاطب مراد في تعريف الحقيقة لكنه اكتفى بذكره في تعريف المجاز لكون البحث عن الحقيقة غير مقصود بالذات في هذا الفن وبان

اللام في الوضع للعهد أي الواضع الذي وقع به التخاطب فلا حاجة إلى هذا القيد وفى كليهما نظر.

واعترض أيضا على تعريف المجاز بأنه يتناول الغلط لأن الفرس في خذ هذا الفرس مشيرا إلى كتاب بين يديه مستعمل في غير ما وضع له والاشارة إلى الكتاب قرينة على أنه لم يرد بالفرس معناه الحقيقي.

(وقسم) السكاكي.

(المجاز اللغوي) الراجع إلى معنى الكلمة المتضمن للفائدة.

(إلى الاستعارة وغيرها) بأنه أن تضمن المبالغة في التشبيه فاستعارة وإلا فغير استعارة.

(وعرف) السكاكي.

(الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به) أي: بالطرف المذكور.

(الآخر) أي: الطرف المتروك.

(مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به) كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الرجل الشجاع مدعيا أنه من جنس الأسد فتثبت له ما يختص السبع المشبه به وهو اسم جنسه وكما تقول انشبت المنية أظفارها.

وأنت تريد بالمنية السبع بادعاء السبعية لها فتثبت لها ما يختص السبع المشبه به وهو الأظفار ويسمى المشبه به سواء كان هو المذكور أو المتروك مستعارا منه ويسمى اسم المشبه به مستعارا ويسمى المشبه بالمشبه به مستعارا له.

(وقسمها) أي: الاستعارة.

(إلى المصرح بها والمكنى عنها وعنى بالمصرح بها أن يكون) الطرف.

(المذكور) من طرفي التشبيه.

(هو المشبه به وجعل منها) أي: من الاستعارة المصرح بها.

(تحقيقية وتخييلية) وإنما لم يقل قسمها إليهما؛ لأن المتبادر إلى الفهم من التحقيقية والتخييلية ما يكون على الجزم وهو قد ذكر قسما آخر سماه المحتملة للتحقيق والتخييل كما ذكر في بيت زهير.

(وفسر التحقيقية بما مر) أي: بما يكون المشبه المتروك متحققا حسا أو عقلا.

(وعد التمثيل) على سبيل الاستعارة كما في قولك: إني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى.

(منها) أي: من التحقيقية حيث قال في قسم الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع ومن الأمثلة استعارة وصف احدى صورتين منتزعتين من أمور لوصف صورة أخرى.

(ورد) ذلك (بأنه) أي: التمثيل.

(مستلزم للتركيب المنافي للأفراد) فلا يصح عده من الاستعارة التي هي من أقسام المجاز المفرد لأن تنافى اللوازم يدل على تنافى الملزومات وإلا لزم اجتماع المتنافيين ضرورة وجود اللازم عند وجود الملزوم.

والجواب: أنه عد التمثيل قسما من مطلق الاستعارة التصريحية التحقيقية لا من الاستعارة التي هي مجاز مفرد وقسمة المجاز المفرد إلى الاستعارة وغيرها لا توجب كون كل استعارة مجازا مفردا كقولنا: الأبيض إما حيوان أو غيره، والحيوان قد يكون أبيض وقد لا يكون على أن لفظ المفتاح صريح في أن المجاز الذي جعله منقسما إلى أقسام ليس هو المجاز المفرد المفسر بالكلمة المستعملة في غير ما وضعت له؛ لأنه قال بعد تعريف المجاز: إن المجاز عند السلف قسمان لغوي وعقلي، واللغوي قسمان راجع إلى معنى الكلمة وراجع إلى حكم الكلمة والراجع إلى المعنى قسمان خال عن الفائدة ومتضمن لها والمتضمن للفائدة قسمان استعارة وغير استعارة.

وظاهر أن المجاز العقلي والراجع إلى حكم الكلمة خارجان عن المجاز بالمعنى المذكور فيجب أن يريد بالراجع إلى معنى الكلمة أعم من المفرد والمركب ليصح الحصر في القسمين.

وأجيب بوجوه أُخر:

الأول: أن المراد بالكلمة اللفظ الشامل للمفرد والمركب نحو كلمة الله.

والثاني: أنا لا نسلم أن التمثيل يستلزم التركيب بل هو استعارة مبنية على التشبيه التمثيلي وهو قد يكون طرفاه مفردين كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ الآية [البقرة:١٧].

والثالث: أن إضافة الكلمة إلى شيء أو تقييدها واقترانها بألف شيء لا يخرجها عن أن تكون كلمة فالاستعارة في مثل إنى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى هو التقديم المضاف إلى الرجل المقترن بتأخيره أخرى والمستعار له هو التردد فهو كلمة في غير ما وضعت له. وفى الكل نظر أوردناه في الشرح.

(وفسر) السكاكي الاستعارة.

(التخييلية بما لا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل هو) أي: معناه.

(صورة وهمية محضة) لايشعر بها شيء من التحقق العقلي أو الحسى.

(كلفظ الأظفار في قول الهذلي).

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمــــة لا تنفع

(فإنه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال أخذ الوهم في تصويرها) أي: المنية.

(بصورته) أي: السبع.

(واختراع لوازمه لها) أي: لوازم السبع للمنية وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال السبع للنفوس به.

(فاخترع لها) أي: للمنية صورة.

(مثل صورة الأظفار) المحققة.

(ثم أطلق عليه) أي: على ذلك المثل أعني الصورة التي هي مثل صورة الأظفار.

(لفظ الأظفار) فيكون استعارة تصريحية لأنه قد اطلق اسم المشبه به وهو الأظفار المحققة على المشبه، وهو صورة وهمية شبيهة بالسبع فصرح بالتشبيه لتكون الاستعارة في الأظفار فقط من غير استعارة بالكناية في المنية. وقال المصنف: إنه بعيد جدا لا يوجد له مثال في الكلام.

(وفيه) أي: في تفسير التخييلية بما ذكره.

- (تعسف) أي: أخذ على غير الطريق لما فيه من كثرة الاعتبارات التي لا تدل عليها دليل ولا تمس إليها حاجة، وقد يقال: إن التعسف فيه هو إنه لو كان الأمر كما زعم لوجب أن تسمى هذه الاستعارة توهمية لا تخييلية.

وهذا في غاية السقوط؛ لأنه يكفى في التسمية أدنى مناسبة على أنهم يسمون حكم الوهم تخييلا ذكر في الشعاء أن القوة المسماة بالوهم هي الرئيسة الحاكمة في الحيوان حكما غير عقلي ولكن حكما تخييليا.

(ويخالف) تفسيره للتخييلية بما ذكره.

(تفسير غيره لها) أي: غير السكاكي للتخييلية.

(بجعل الشيء للشئ) كجعل اليد للشمال وجعل الأظفار للمنية.

قال الشيخ عبد القاهر: أنه لا خلاف في أن اليد استعارة ثم أنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شيء إلى شيء إذ ليس المعنى على أنه شبه شيئا باليد بل المعنى على أنه أراد أن يثبت للشمال يدا، ولبعضهم في هذا المقام كلمات واهية بينا فسادها في الشرح.

نعم نتيجته أن يقال: إن صاحب المفتاح في هذا الفن خصوصا في مثل هذه الاعتبارات ليس بصدد التقليد لغيره حتى يعترض عليه بأن ما ذكره هو مخالف لما ذكره غيره.

(ويقتضي) ما ذكره السكاكي في التخييلية.

(أن يكون الترشيح) استعارة.

(تخييلية للزوم مثل ما ذكره) السكاكي في التخييلية من إثبات صورة وهمية.

(فيه) أي: في الترشيح لأن في كل من التخييلية والترشيح إثبات بعض ما يخص المشبه به للمشبه فكما أثبت للمنية التي هي المشبه ما يخص السبع الذي هو المشبه به من الأظفار كذلك أثبت لاختيار الضلالة على الهدى الذي هو المشبه ما يخص المشبه به الذي هو الاشتراء الحقيقي من الربح والتجارة.

فكما اعتبر هنالك صورة وهمية شبيهة بالأظفار فليعتبر ههنا أيضا أمر وهمي شبيه بالتجارة وآخر شبيه بالربح ليكون استعمال الربح والتجارة بالنسبة إليهما استعارتين تخييليتين إذ لا فرق بينهما، إلا بأن التعبير عن المشبه الذي أثبت له ما يخص المشبه به كالمنية مثلا في التخييلية بلفظ الموضوع له كلفظ المنية، وفي الترشيح بغير لفظه كلفظ الاشتراء المعبر به عن الاختيار والاستبدال الذي هو المشبه مع أن لفظ الاشتراء ليس بموضوع له.

وهذا الفرق لا يوجب اعتبار المعنى المتوهم في التخييلية وعدم اعتباره في الترشيح فاعتباره في أحدهما دون الآخر تحكم.

والجواب: أن الأمر الذي هو من خواص المشبه به لما قرن في التخييلية بالمشبه كالمنية مثلا جعلناه مجازا عن أمر متوهم يمكن إثباته للمشبه، وفي الترشيح لما قرن بلفظ المشبه به لم يحتج إلى ذلك لأن المشبه به جعل كأنه هو هذا المعنى مقارنا للوازمه وخواصه حتى أن المشبه به في قولنا رأيت أسدا يفترس أقرانه وهو الأسد الموصوف بالافتراس الحقيقي من غير احتياج إلى توهم صورة، واعتبار مجاز في الافتراس، بخلاف ما إذا قلنا رأيت شجاعا يفترس اقرانه فانا نحتاج إلى ذلك ليصح اثباته للشجاع فليتأمل ففى الكلام دقة ما.

(وعني بالمكنى عنها) أي: أراد السكاكي بالاستعارة المكنى عنها.

(أن يكون) الطرف.

(المذكور) من طرفي التشبيه.

(هو المشبه) ويراد به المشبه به.

(على أن المراد بالمنية) في مثل انشبت المنية أظفارها هو.

(السبع بادعاء السبعية لها) وانكار أن يكون شيئا غير السبع.

(بقرينة إضافة الأظفار) التي هي من خواص السبع.

(إليها) أي: إلى المنية فقد ذكر المشبه وهو المنية واراد به المشبه به وهو السبع فالاستعارة بالكناية لا تنفك عن التخييلية بمعنى أنه لا توجد استعارة بالكناية بدون الاستعارة التخييلية لأن في إضافة خواص المشبه به إلى المشبه استعاره تخييلية.

(ورد) ما ذكره من تفسير الاستعارة المكنى عنها.

(بأن لفظ المشبه فيها) أي: في الاستعارة بالكناية كلفظ المنية مثلا.

(مستعمل فيما وضع له تحقيقا) للقطع بأن المراد بالمنية هو الموت لا غير.

(والاستعارة ليست كذلك) لأنه قد فسرها بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ولما كان ههنا مظنة سؤال، وهو أنه لو أريد بالمنية معناها الحقيقي فما معنى إضافة الأظفار إليها أشار إلى جوابة بقوله.

(وإضافة نحو الأظفار قرينة التشبيه) المضمر في النفس يعني تشبيه المنية بالسبع وكان هذا الاعتراض من أقوى اعتراضات المصنف على السكاكي.

وقد يجاب عنه: بأنه وإن صرح بلفظ المنية إلا أن المراد به السبع إدعاءا كما أشار إليه في المفتاح من أنا نجعل ههنا اسم المنية اسما للسبع مرادفا له بأن ندخل المنية في جنس السبع للمبالغة في التشبيه بجعل أفراد السبع قسمين متعارفا وغير متعارف، ثم يخيل أن الواضع كيف يضع اسمين كلفظي المنية والسبع لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين فيتأتى لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية.

وفيه نظر؛ لأن ما ذكره لا يقتضي كون المراد بالمنية غير ما وضعت له بالتحقيق حتى يدخل في تعريف الاستعارة للقطع بأن المراد بها الموت، وهذا اللفظ موضوع له بالتحقيق وجعله مرادفا للفظ السبع بالتأويل المذكور لا يقتضي أن يكون استعماله في الموت استعارة.

ويمكن الجواب: بأنه قد سبق أن قيد الحيثية مراد في تعريف الحقيقة أي هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له بالتحقيق.

ولا نسلم أن استعمال لفظ المنية في الموت مثل أظفار المنية استعمال فيما وضع له بالتحقيق من حيث أنه موضوع له بالتحقيق في مثل قولنا دنت منية فلان بل من حيث أن الموت جعل من أفراد السبع الذي لفظ المنية موضوع له بالتأويل.

وهذا الجواب وإن كان مخرجا له عن كونه حقيقة إلا أن تحقيق كونه مجازا أو مرادا به الطرف الآخر غير ظاهر بعد.

(واختار) السكاكي.

(رد) الاستعارة.

(التبعية) وهي ما تكون في الحروف والافعال وما يشتق منها.

(إلى) الاستعارة.

(المكنى عنها بجعل قرينتها) أي: قرينة التبعية استعارة مكنيا عنها.

(و) جعل الاستعارة.

(التبعية قرينتها) أي: قرينة الاستعارة المكنى عنها.

(على نحو قوله) أي: قول السكاكي.

(في المنية وأظفارها) حيث جعل المنية استعارة بالكناية وإضافة الأظفار إليها قرينتها ففى قولنا نطقت الحال بكذا جعل القوم نطقت استعارة عن دلت بقرينة الحال، والحال حقيقة وهو يجعل الحال استعارة بالكناية عن المتكلم ونسبة النطق إليها قرينة الاستعارة.

وهكذا في قوله: "نقريهم لهذميات" بجعل اللهذميات استعارة بالكناية عن المطعومات الشهية على سبيل التهكم ونسبة القرى إليها قرينة الاستعارة، وعلى هذا القياس وإنما اختار ذلك إيثارا للضبط وتقليلا للأقسام.

(ورد) ما اختاره السكاكي.

(بأنه إن قدر التبعية) كنطقت في نطقت الحال بكذا.

(حقيقة) بأن يراد بها معناها الحقيقي.

(لم تكن) التبعية استعارة.

(تخييلية لأنها) أي: التخييلية.

(مجاز عنده) أي: عند السكاكي لأنه جعلها من أقسام الاستعارة المصرح بها المفسرة بذكر المشبه به، وإرادة المشبه إلا أن المشبه فيها يجب أن يكون مما لا تحقق لمعناه حسا ولا عقلا بل وهما فتكون مستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق فتكون مجازا وإذا لم تكن التبعية تخييلية.

(فلم تكن) الاستعارة.

(المكني عنها مستلزمة للتخييلية) بمعنى أنها لا توجد بدون التخييلية.

وذلك لأن المكني عنها قد وجدت بدون التخييلية في مثل نطقت الحال بكذا على هذا التقدير.

(وذلك) أي: عدم استلزام المكنى عنها للتخييلية.

(باطل بالاتفاق) وإنما الخلاف في أن التخييلية هل تستلزم المكنى عنها فعند السكاكي لا تستلزم كما في قولنا أظفار المنية الشبيهة بالسبع. وبهذا ظهر فساد ما قيل أن مراد السكاكي بقوله لا تنفك المكنى عنها عن التخييلية أن التخييلية مستلزمة للمكنى عنها لا على العكس كما فهمه المصنف. نعم يمكن أن ينازع في الاتفاق على استلزام المكنى عنها للتخييلية لأن كلام الكشاف مشعر بخلاف ذلك.

وقد صرح في المفتاح أيضا في بحث المجاز العقلي بأن قرينة المكني عنها قد تكون أمرا وهميا كأظفار المنية، وقد تكون أمرا محققا كالإنبات في أنبت الربيع البقل والهزم في هزم الأمير الجند.

إلا أن هذا لا يدفع الاعتراض عن السكاكي لأنه قد صرح في المجاز العقلي بأن نطقت في نطقت الحال بكذا أمر وهمي جعل قرينة للمكنى عنها.

وأيضًا فلما جوز وجود المكنى عنها بدون التخييلية كما في أنبت الربيع البقل ووجود التخييلية بدونها كما في أظفار المنية الشبيهة بالسبع فلا جهة لقوله: إن المكنى عنها لا تنفك عن التخييلية.

(وإلا) أي: وأن لم تقدر التبعية التي جعلها السكاكي قرينة المكنى عنها حقيقة بل قدرها مجاز.

(فتكون) التبعية كنطقت الحال مثلا.

(استعارة) ضرورة أنه مجاز علاقته المشابهة والاستعارة في الفعل لا تكون إلا تبعية فلم يكن ما ذهب إليه السكاكي من رد التبعية إلى المكنى عنها.

(مغنيا عما ذكره غيره) من تقسيم الاستعارة إلى التبعية وغيرها لأنه اضطر آخر الأمر إلى القول بالاستعارة التبعية.

وقد يجاب بأن كل مجاز تكون علاقته المشابهة لا يجب أن يكون استعارة لجواز أن يكون له علاقة أخرى باعتبارها وقع الاستعمال كما بين النطق والدلالة فإنها لازمة للنطق بل إنما يكون استعارة إذا كان الاستعمال باعتبار علاقته المشابهة وقصد المبالغة في التشبيه.

وفيه نظر؛ لأن السكاكي قد صرح بأن نطقت ههنا أمر مقدر وهمي كأظفار المنية المستعارة للصورة الوهمية الشبيهة بالأظفار المحققة ولو كان مجازا مرسلا عن الدلالة لكان أمرا محققا عقليا على أن هذا لا يجري في جميع الأمثلة.

ولو سلم فحينئذ يعود الاعتراض الأول وهو وجود المكنى عنها بدون التخييلية. ويمكن الجواب بأن المراد بعدم انفكاك الاستعارة بالكناية عن التخييلية أن التخييلية لا توجد بدونها فيما شاع من كلام الفصحاء إذ لا نزاع في عدم شيوع مثل أظفار المنية الشبيهة بالسبع.

وإنما الكلام في الصحة، وأما وجود الاستعارة بالكناية بدون التخييلية فشائع على ما قرره صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ ﴾ [البقرة: ٢٧]، وصاحب المفتاح في مثل: أنبت الربيع البقل.

فصار الحاصل من مذهبه أن قرينة الاستعارة بالكناية قد تكون استعارة تخييلية مثل أظفار المنية ونطقت الحال وقد تكون استعارة تحقيقية على ما ذكر في قوله تعالى: يا أرض ابلعى ماءك أن البلع استعارة عن غور الماء في الأرض، والماء استعارة بالكناية عن الغذاء، وقد تكون حقيقة كما في أنبت الربيع.

فصل

في شرائط حسن الاستعارة

(وحسن كل من) الاستعارة.

(التحقيقية والتمثيل) على سبيل الاستعارة.

(برعاية جهات حسن التشبيه) كان يكون وجه الشبه شاملا للطرفين والتشبيه وافيا بافادة ما علق به من الغرض ونحو ذلك.

(وأن لا يشم رائحته لفظا) أي: وبان لا يشم شيء من التحقيقية والتمثيل رائحة التشبيه من جهة اللفظ لأن ذلك يبطل الغرض من الاستعارة أعني ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لما في التشبيه من الدلالة على أن المشبه به أقوى في وجه الشبه.

(ولذلك) أي: ولأن شرط حسنه أن لا يشم رائحة التشبيه لفظا.

(يوصى أن يكون الشبه) أي: ما به المشابهة.

(بين الطرفين جليا) بنفسه أو بواسطة عرف أو اصطلاح خاص.

(لئلا تصير) الاستعارة.

(إلغازا) وتعمية أن روعى شرائط الحسن ولم تشم رائحة التشبيه وأن لم يراع فات الحسن يقال اللغز في كلامه إذا عمى مراده ومنه اللغز وجمعه الغاز مثل رطب وارطاب.

(كما لو قيل) في التحقيقية.

(رأيت أسدا وأريد إنسان أبخر) فوجه الشبه بين الطرفين خفي.

(و) في التمثيل.

(رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة وأريد الناس) من قوله عليه السلام الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة، وفى الفائق الراحلة البعير الذي يرتحله الرجل جملا كان أو ناقة يعني أن المرضي المنتخب من الناس في عزة وجوده كالنجيبة المنتخبة التي لا توجد في كثير من الإبل.

(وبهذا ظهر أن التشبيه أعم محلا) إذ كل ما يتأتى فيه الاستعارة يتأتى فيه التشبيه من غير عكس لجواز أن يكون وجه الشبه غير جلي فتصير الاستعارة الغازا كما في المثالين المذكورين.

فإن قيل: قد سبق أن حسن الاستعارة برعاية جهات حسن التشبيه ومن جملتها أن يكون وجه الشبه بعيدا غير مبتذل فاشتراط جلائه في الاستعارة ينافي ذلك.

قلنا: الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف فيجب أن يكون من الجلاء بحيث لا يصير مبتذلا ومن الغرابة بحيث لا يصير إلغازا.

(ويتصل به) أي: بما ذكرنا من أنه إذا خفي التشبيه لم تحسن الاستعارة ويتعين التشبيه.

(انه إذا قوى الشبه بين الطرفين حتى اتحدا كالعلم والنور والشبهة والظلمة لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة) لئلا يصير كتشبيه الشيء بنفسه. فإذا فهمت مسألة تقول حصل في قلبي نور ولا تقول علم كالنور، وإذا وقعت في شبهة تقول وقعت في ظلمة ولا تقول في شبهة كالظلمة.

(و) الاستعارة.

(المكنى عنها كالتحقيقية) في أن حسنها برعاية جهات حسن التشبيه لأنها تشبيه مضمر.

(و) الاستعارة.

(التخييلية حسنها بحسب حسن المكنى عنها) لما بينا لأنها لا تكون إلا تابعة للمكنى عنها وليس لها في نفسها تشبيه بل هي حقيقة فحسنها تابع لحسن متبوعها.

(فصل في بيان معنى آخر) يطلق عليه لفظ المجاز على سبيل الاشتراك أو التشابه.

(وقد يطلق المجاز على كلمة تغير حكم إعرابها) أي: حكمها الذي هو الإعراب على أن الإضافة للبيان أي تغير إعرابها من نوع إلى نوع آخر.

(بحذف لفظ أو زيادة لفظ) فالأول.

(كقوله تعالى: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف:٨٢] و) الثاني مثل.

(قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] أي) جاء.

(أمر ربك) لاستحالة المجيء على الله تعالى.

(و) اسأل.

(أهل القرية) للقطع. بأن المقصود ههنا سؤال أهل القرية وأن جعلت القرية مجازا عن اهلها لم يكن من هذا القبيل.

(و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]) لأن المقصود نفي أن يكون شيء مثل الله تعالى لا نفي أن يكون شيء مثل مثله فالحكم الأصلي لربك والقرية هو الجر.

وقد تغير في الأول إلى الرفع وفى الثاني إلى النصب بسبب حذف المضاف والحكم الأصلي في مثله هو النصب لأنه خبر ليس وقد تغير إلى الجر بسبب زيادة الكاف فكما وصفت الكلمة بالمجاز باعتبار نقلها عن معناها الأصلي كذلك وصفت به باعتبار نقلها عن إعرابها الأصلي. وظاهر عبارة المفتاح أن الموصوف بهذا النوع من المجاز هو نفس الإعراب.

وما ذكره المصنف أقرب، والقول بزيادة الكاف في نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] أخذ بالظاهر ويحتمل أن لا تكون زائدة بل تكون نفيا للمثل بطريق الكناية التي هي أبلغ؛ لأن الله تعالى موجود فإذا نفي مثل مثله لزم نفي مثله ضرورة أنه لو كان له مثل لكان هو أعني الله تعالى مثل مثله فلم يصح نفي مثل مثله كما تقول: ليس لأخي زيد أخ، أي: ليس لزيد أخ نفيا للملزوم بنفي لازمه، والله أعلم.

الكناية

الكناية في اللغة: مصدر كنيت بكذا عن كذا أو كنوت إذا تركت التصريح به.

وفى الاصطلاح:

(لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه) أي: إرادة ذلك المعنى مع لازمه كلفظ طويل النجاد والمراد به طول القامة مع جواز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضا.

(فظهر أنه تخالف المجاز من جهة إرادة المعنى) الحقيقي.

(مع إرادة لازمه) كارادة طول القامة بخلاف المجاز فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي للزوم القرينة المانعة عن إرادة المعنى الحقيقي.

وقوله: من جهة إرادة المعنى ليوافق ما ذكره في تعريف الكناية ولأن الكناية كثيرا ما تخلو عن إرادة المعنى الحقيقي للقطع بصحة قولنا فلان طويل النجاد وجبان الكلب ومهزوم الفصيل وأن لم يكن له نجاد ولا كلب ولا فصيل. ومثل هذا في الكلام أكثر من أن يحصى.

وههنا بحث لابد من التنبيه عليه: وهو أن المراد بجواز إرادة المعنى الحقيقي في الكناية هو أن الكناية من حيث إنها كناية لا تنافى ذلك كما أن المجاز ينافيه.

لكن قد يمتنع ذلك في الكناية بواسطة خصوص المادة كما ذكر صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] أنه من باب الكناية كما في قولهم مثلك لا يبخل لأنهم إذا نفوه عمن يماثله وعمن يكون على أخص أوصاف فقد نفوه عنه كما يقولون بلغت أترابه يريدون بلوغه فقولنا ليس كمثله شيء عبارتان متعاقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته مع أنه لا فرق بينهما إلا ما تعطيه الكناية من المبالغة.

ولا يخفى ههنا امتناع إرادة الحقيقة وهو نفي المماثلة عمن هو مماثل له وعمن يكون على أخص أوصافه.

(وفرق) بين الكناية والمجاز.

(بأن الانتقال فيها) أي: في الكناية.

(من اللازم) إلى الملزوم كالانتقال من طول النجاد إلى طول القامة.

(وفيه) أي: في المجاز الانتقال.

(من الملزوم) إلى اللازم كالانتقال من الغيث إلى النبت ومن الأسد إلى الشجاعة.

(ورد) هذا الفرق.

(بأن اللازم ما لم يكن ملزوما) بنفسه أو بانضمام قرينة إليه.

(لم ينتقل منه) إلى الملزوم لأن اللازم من حيث إنه لازم يجوز أن يكون أعم ولا دلالة للعام على الخاص.

(وحينئذ) أي: وإذا كان اللازم ملزوما.

(يكون الانتقال من الملزوم إلى اللازم) كما في المجاز فلا يتحقق الفرق. والسكاكى أيضا معترف بأن اللازم ما لم يكن ملزوما امتنع الانتقال منه، وما يقال إن مراده أن اللزوم من الطرفين من خواص الكناية دون المجاز أو شرط لها دونه فمما لا دليل عليه.

وقد يجاب بأن مراده باللازم ما يكون وجوده على سبيل التبعية كطول النجاد التابع لطول القامة.

ولهذا جوز كون الكلام أخص كالضاحك بالفعل للانسان فالكناية أن يذكر من المتلازمين ما هو تابع ورديف ويراد به ما هو متبوع ومردوف والمجاز بالعكس. وفيه نظر ولا يخفى عليك أن ليس المراد باللزوم ههنا امتناع الانفكاك.

(وهي) أي: الكناية.

(ثلاثة أقسام الأولى:) تأنيثها باعتبار كونها عبارة عن الكناية.

(المطلوب بها غير صفة ولا نسبة فمنها) أي: فمن الأولى.

(ما هي معنى واحد) مثل أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فتذكر نلك الصفة ليتوصل بها إلى ذلك الموصوف.

(كقوله:).

الضاربين بكل أبيض مخذم (والطاعنين مجامع الأضغان)[(١)]

المخذم القاطع والضغن الحقد ومجامع الأضغان معنى واحد كناية عن القلوب.

(ومنها ما هو مجموع معان) بأن تؤخذ صفة فتضم إلى لازم آخر وآخر لتصير جملتها مختصة بموصوف فيتوصل بذكرها إليه.

(كقولنا كناية عن الإنسان: حي مستوي القامة عريض الأظفار) ويسمى هذا خاصة مركبة.

(وشرطهما) أي: وشرط هاتين الكنايتين.

(الاختصاص بالمكنى عنه) ليحصل الانتقال.

وجعل السكاكي الأولى منهما أعني ما هي معنى واحد قريبة بمعنى سهولة المأخوذ والانتقال فيها لبساطتها واستغنائها عن ضم لازم إلى آخر وتلفيق بينهما والثانية بعيدة بخلاف ذلك وهذه غير البعيدة بالمعنى الذي سيجيء.

(الثانية) من أقسام الكناية.

(المطلوب بها صفة) من الصفات كالجود والكرم ونحو ذلك وهي ضربان قريبة وبعيدة.

(فإن لم يكن الانتقال) من الكناية إلى المطلوب بواسطة قريبة والقريبة قسمان.

(واضحة) يحصل الانتقال منها بسهولة.

(كقولهم كناية عن طول القامة طويل نجاده وطويل النجاد والأولى) أي: طويل نجاده كناية.

(ساذجة) لا يشوبها شيء من التصريح.

---

(١) هو من الكامل، ولا أعرف قائله.

والمخذم بالذال المعجمة السيف، والأضغان: جمع ضغن، وهو الحقد. والشاهد فيه: القسم الأول من أقسام الكناية، وهو: أن يكون المطلوب بها غير صفة ولا نسبة، وتكون لمعنى واحد كما هنا، وتكون لمجموع معان، فقوله: بمجامع الأضغان معنى واحد كناية عن القلوب.

(وفى الثانية) أي: طويل النجاد.

(تصريح ما لتضمن الصفة) أي: طويل.

(الضمير) الراجع إلى الموصوف ضرورة احتياجها إلى مرفوع مسند إليه فيشتمل على نوع تصريح بثبوت الطول له.

والدليل على تضمنه الضمير أنك تقول هند طويلة النجاد والزيدان طويلا النجاد والزيدون طوال النجاد فتؤنث وتثنى وتجمع الصفة البتة لاسنادها إلى ضمير الموصوف بخلاف هند طويل نجادها والزيدان طويل نجادهما والزيدون طويل نجادهم. وإنما جعلنا الصفة المضافة كناية مشتملة على نوع تصريح ولم نجعلها تصريحا للقطع بأن الصفة في المعنى صفة للمضاف إليه واعتبار الضمير رعاية لأمر لفظي وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها.

(أو خفية) عطف على واضحة. وخفاؤها بأن يتوقف الانتقال منها على تأمل واعمال روية.

(كقولهم كناية عن الأبله: عريض القفاء) فإن عرض القفاء وعظم الرأس بالافراط مما يستدل به على البلاهة فهو ملزوم لها بحسب الاعتقاد. لكن في الانتقال منه إلى البلاهة نوع خفاء لا يطلع عليه كل أحد. وليس الخفاء بسبب كثرة الوسائط والانتقالات حتى يكون بعيدة.

(وإن كان الانتقال) من الكناية إلى المطلوب بها.

(بواسطة فبعيدة كقولهم: كثير الرماد، كناية عن المضياف فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة احراق الحطب تحت القدر ومنها) أي: ومن كثرة الإحراق.

(إلى كثرة الطبائخ ومنها إلى كثرة الأكلة) جمع آكل.

(ومنها إلى كثرة الضيفان) بكسر الضاد جمع ضيف.

(ومنها إلى المقصود) وهو المضياف وبحسب قلة الوسائط وكثرتها تختلف الدلالة على المقصود وضوحا وخفاء.

(الثالثة) من أقسام الكناية.

(المطلوب بها نسبة) أي: إثبات أمر لاخر أو نفيه عنه وهو المراد بالاختصاص في هذا المقام.

(كقوله: إن السماحة والمرؤة) هي كمال الرجولية.

(والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج[1])

فإنه أراد أن يثبت اختصاص ابن الحشرج بهذه الصفات) أي: ثبوتها له.

(فترك التصريح) باختصاصه بها.

(بأن يقول: أنه مختص بها أو نحوه) مجرور عطفا على أن يقول أو منصوب عطفا على أنه مختص بها مثل أن يقول ثبتت سماحة ابن الحشرج أو حصلت السماحة له، أو ابن الحشرج سمح، كذا في المفتاح. وبه يعرف أن ليس المراد بالاختصاص ههنا الحصر.

(إلى الكناية) أي: ترك التصريح ومال إلى الكناية.

(بأن جعلها) أي: تلك الصفات.

---

(١) البيت لزياد الأعجم، من أبيات من الكامل، قالها في عبد الله بن الحشرج، وكان قد وفد عليه، وهو أمير على نيسابور أمر بإنزاله وألطفه وبعث إليه بما يحتاجه، فغدا إليه فأنشده البيت، وبعده:

ملك أغر متوجٌ ذو نائلٍ ...... للمعتفِينَ يمــــينُهُ لم تشنج
يا خَيْرَ من صعد المنبر بالتُّقَى .. بعد النبي المصطفى المتحرِّج
لما أتيتك راجياً لنوالكم ..... ألفَيْتُ باب نوالكـــم لم يُرْتَجِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

والمروءة: كمال الرجولية.

والشاهد فيه: القسم الثالث من أقسام الكناية، وهو أن يكون المطلوب بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، فهو هنا أراد أن يثبت اختصاص ممدوحه بهذه الصفات، وترك التصريح باختصاصه بها إلى الكناية بأن جعلها في قبة ضربت عليه، تنبيهاً على أن محلها ذو قبة، وهي تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء.

(في قبة) تنبيها على أن محها ذو قبة وهي تكون فوق الخيمة يتخذها الرؤساء.

(مضروبة عليه) أي: على ابن الحشرج فافاد إثبات الصفات المذكورة له لأنه إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبت له.

(ونحوه) أي: مثل البيت المذكور في كون الكناية لنسبة الصفة إلى الموصوف بأن تجعل فيما يحيط به ويشتمل عليه.

(قولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه) حيث لم يصرح بثبوت المجد والكرم له بل كنى عن ذلك بكونهما بين برديه وبين ثوبيه.

فإن قلت: ههنا قسم رابع وهو أن يكون المطلوب بها صفة ونسبة معا كقولنا كثير الرماد في ساحة زيد.

قلت: ليس هذا كناية واحدة بل كنايتان أحدهما المطلوب بها نفس الصفة وهي كثرة الرماد كناية عن المضيافية والثانية المطلوب بها نسبة المضيافية إلى زيد وهو جعلها في ساحة ليفيد اثباتها له.

(والموصوف في هذين القسمين) يعني الثاني والثالث.

(قد يكون) مذكورا كما مر.

(و) قد يكون.

(غير مذكور كما يقال في عرض من يؤذي المسلمين: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ "(١)) فإنه كناية عن نفي صفة الإسلام عن المؤذى وهو غير مذكور في الكلام.

وأما القسم الأول وهو ما يكون المطلوب بالكناية نفس الصفة وتكون النسبة مصرحا بها فلا يخفى أن الموصوف فيها يكون مذكورا لا محالة لفظا أو تقديرا.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (١٠)، وأخرجه مسلم (٤٣)، وأخرجه الترمذي (٢٥٠٤)، وأخرجه النسائي (٤٩٩٦)، وأخرجه أبو داود (٢٤٨١)، وأخرجه أحمد في مسنده (٦٤٧٩)، وأخرجه الدارمي في سننه (٢٧١٦).

وقوله: في عرض من يؤذي معناه في التعريض به يقال نظرت إليه من عرض بالضم أي من جانب وناحية.

قال: (السكاكي: الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة) وإنما قال: تتفاوت ولم يقال تنقسم لأن التعريض وامثاله مما ذكر ليس من أقسام الكناية فقط بل هو أعم كذا في شرح المفتاح.

وفيه نظر؛ والأقرب أنه إنما قال ذلك لأن هذه الأقسام قد تتداخل ويختلف باختلاف الاعتبارات من الوضوح والخفاء وقلة الوسائط وكثرتها.

(والمناسب للعريضة التعريض) أي: الكناية إذا كانت عرضية مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض لأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود يقال عرضت لفلان وبفلان إذا قلت قولا لغيره وأنت تعنيه فكأنك اشرت به إلى جانب وتريد به جانبا آخر.

(و) المناسب.

(لغيرها) أي: لغير العرضية.

(إن كثرت الوسائط) بين اللازم والملزوم كما في كثير الرماد وجبان الكلب ومهزول الفصيل.

(التلويح) لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك من بعيد.

(و) المناسب لغيرها.

(إن قلت) الوسائط.

(مع خفاء) في الملزوم كعريض القفاء وعريض الوسادة.

(الرمز) لأن الرمز هوان تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية لأن حقيقته الإشارة بالشفة أو الحاجب.

(و) المناسب لغيرها أن قلت الوسائط.

(بلا خفاء) كما في قوله أو ما رأيت المجد القى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول.

(الإيماء والاشارة. ثم قال) السكاكي.

(والتعريض قد يكون مجازا كقولك آذيتنى فستعرف وأنت تريد) بتاء الخطاب.

(إنسانا مع المخاطب دونه) أي: لا تريد المخاطب ليكون اللفظ مستعملا في غير ما وضع له فقط فيكون مجازا.

(وإن أردتهما) أي: أردت المخاطب وانسانا آخر معه جميعا.

(كان كناية) لانك أردت باللفظ المعنى الأصلي وغيره معا والمجاز ينافي إرادة المعنى الأصلي.

(ولابد فيهما) أي: في الصورتين.

(من قرينة) دالة على أن المراد في الصورة الأولى هو الإنسان الذي مع المخاطب وحده ليكون مجازا.

وفى الثانية: كلاهما جميعا ليكون كناية، وتحقيق ذلك أن قولك آذيتنى فستعرف كلام دال على تهديد المخاطب بسبب الايذاء ويلزم منه تهديد كل من صدر عنه الإيذاء فإن استعملته وأردت به تهديد المخاطب وغيره من المؤذين كان كناية وأن اردت به تهديد غير المخاطب بسبب الايذاء لعلاقة اشتراكه للمخاطب في الإيذاء إما تحقيقا وإما فرضا وتقديرا مع قرينة دالة على عدم إرادة المخاطب كان مجازا.

فصل

أطبق البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح.

(لأن الانتقال فيهما من الملزوم إلى اللازم فهو كدعوى الشيء ببينة) فإن وجود الملزوم يقتضي وجود اللازم لامتناع انفكاك الملزوم عن لازمه:

(و) أطبقوا أيضا على.

(أن الاستعارة أبلغ من التشبيه لأنها نوع من المجاز) وقد علم أن المجاز أبلغ من الحقيقة. وليس معنى كون المجاز والكناية أبلغ أن شيئا منهما يوجب أن يحصل في الواقع زيادة في المعنى لا توجد في الحقيقة والتصريح بل المراد أنه يفيد زيادة تأكيد للإثبات.

ويفهم من الاستعارة أن الوصف في المشبه بالغ حد الكمال كما في المشبه به وليس بقاصر فيه كما يفهم من التشبيه والمعنى لا يتغير حاله في نفسه بأن يعبر عنه بعبارة أبلغ.

وهذا مراد الشيخ عبد القاهر بقوله: ليست مزية قولنا: رأيت أسدا على قولنا: رأيت رجلا هو والأسد سواء في الشجاعة، أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني بل الفضيلة وهي أن الأول أفاد تأكيدا لاثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني والله أعلم.

كمل القسم الثاني والحمد لله على جزيل نواله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه اجمعين.

obeikandl.com

الفن الثالث

في البديع

(وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام) أي: يتصور به معانيها ويعلم أعدادها وتفاصيلها بقدر الطاعة. والمراد بالوجوه ما مر في قوله وتتبعها وجوه أخر تورث الكلام حسنا وقبولا. وقوله.

(بعد رعاية المطابقة) أي: مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

(و) رعاية.

(وضوح الدلالة) أي: الخلو عن التعقيد المعنوي إشارة إلى أن هذه الوجوه إنما تعد محسنة للكلام بعد رعاية الأمرين وإلا لكان كتعليق الدرر على اعناق الخنازير والظرف أعني قوله بعد رعاية متعلق بقوله تحسين الكلام.

(وهي) أي: وجوه تحسين الكلام.

(ضربان معنوي) أي: راجع إلى تحسين المعنى أولا وبالذات وأن كان قد يفيد بعضها تحسين اللفظ أيضا.

(ولفظي) أي: راجع إلى تحسين اللفظ كذلك.

(أما المعنوي) قدمه لأن المقصود الأصلي والغرض الأولي هو المعاني والألفاظ توابع وقوالب لها.

(فمنه المطابقة وتسمى الطباق والتضاد أيضا. وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة) أي: يكون بينهما تقابل وتناف ولو في بعض الصور سواء كان التقابل حقيقيا أو اعتباريا وسواء كان تقابل التضاد أو تقابل الايجاب والسلب أو تقابل العدم والملكة أو تقابل التضائف أو ما يشبه شيئا من ذلك.

(ويكون) ذلك الجمع.

(بلفظين من نوع) واحد من أنواع الكلمة.

(اسمين نحو: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ [الكهف:١٨] أو فعلين نحو: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨] أو حرفين نحو:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]). فإن في اللام معنى الانتفاع وفى على معنى التضرر أي لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها.

(أو من نوعين نحو: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]) فإنه قد اعتبر في الإحياء معنى الحياة وفى الإماتة معنى الموت، والموت والحياة مما يتقابلان وقد دل على الأول بالاسم وعلى الثاني بالفعل.

(وهو) أي: الطباق.

(ضربان طباق الإيجاب كما مر وطباق السلب وهو أن يجمع بين فعلي مصدر أحدهما مثبت والآخر منفي أو أحدهما أمر والآخر نهي فالأول).

(نحو قوله تعالى ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٦-٧]) ظاهرا من الحياة الدنيا.

(و) الثاني.

(نحو قوله تعالى ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة:٤٤] ومن الطباق) ما سماه بعضهم تدبيجا من دبج المطر الأرض إذا زينها وفسره بأن يذكر في معنى من المدح أو غيره الوان لقصد الكناية أو التورية واراد بالالوان ما فوق الواحد بقرينة الأمثلة فتدبيج الكناية.

(نحو قوله: تردى) من ترديت الثوب أخذته رداء.

(ثياب الموت حمرا فما أتى لها)

أي: لتلك الثياب.

(الليل إلا وهي من سندس خضر)(١)

---

(١) البيت لأبي تمام الطائي، من قصيدة من الطويل، يرثي بها أبا نهشل محمد بن حميد حين استشهد، وأولها:

كذا فليجلّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ .. وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذرُ

يعني: أرتدي الثياب الملطخة بالدم فلم ينقض يوم قتله ولم يدخل في ليله إلا وقد صارت الثياب من سندس خضر من ثياب الجنة، فقد جمع بين الحمرة والخضرة وقصد بالأول الكناية عن القتل وبالثانى الكناية عن دخول الجنة.

وتدبيج التورية كقول الحريري:

فمذ أغبر العيش الأخضر، وأزور المحبوب الأصفر، أسود يومي الأبيض وأبيض فودي الأسود، حتى رثى لي العدو الأزرق، فيا حبذا الموت الأحمر.

فالمعنى القريب للمحبوب الاصفر هو الإنسان الذي له صفرة والبعيد هو الذهب وهو المراد ههنا فيكون تورية، وجمع الألوان لقصد التورية لا يقتضي أن يكون في كل لون تورية كما توهمه بعضهم.

(ويلحق به) أي: بالطباق شيئان أحدهما الجمع بين معنيين بتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية واللزوم.

=

تُوفيتِ الآمالُ بعد محمدٍ ... فأصبح في شغل عن السفَرِ السفْر
وما كان إلا مالَ من قلَّ مالهُ .. وذُخراً لمن أمسى وليسَ لهُ ذُخرُ
وما كانَ يدرى مَنْ بَلاَ يُسْرَ كفهِ .. إذا ما استهلَّتْ أنهُ خُلق العسرْ

يقول فيها:

غدَا غدوةَ والحمدُ نسجُ ردائهِ .. فلم ينصرفْ إلا وأكفانهُ الأجرْ

وبعده البيت، وبعده:

كأنَّ بني نبهان يومَ وفاتهِ ...... نجومُ سمـــاء خرَّ من بينها البدرُ
يُعَزَّوْنَ عن ثاوٍ تُعَزَّى بِهِ العلاَ .. ويبكِي عليه البأس والجود والنصرُ
وأنَّي لهم صبرٌ وقد مضى ...... إلى الموتِ حتى استشهَدَا هو والصبرُ

ومعنى البيت أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدم، فلم ينقض يوم قتله، ولم يدخل في ليلته إلا وقد صارت الثياب خضراً من سندس الجنة.

أقول: ولو قال أبو تمام:

تردَّى ثياب الموت حمراً فما اختفى .. عن العين إلا وهيَ من سندسٍ خضرُ

لكان أبلغ في القصد وأبدع، فإنه جعل غاية تبديلها بالسندس دخوله في الليل، وهذا ليس بمعلوم، فإن الميت إذا غيب بالدفن عن الأعين تبدلت أحواله إلى خير أو شر، والعياذ بالله تعالى، ويشهد لذلك ما ورد أن الميت يجرد ستره عن الأعين يأيته ملكان السؤال.

(نحو قوله تعالى: ﴿ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]. فإن الرحمة وأن لم تكن مقابلة للشدة لكنها مسببية عن اللين) الذي هو ضد الشدة.

(و) الثاني الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقي.

(نحو قوله: لا تعجبي يا سلم من رجل) يعني نفسه ضحك المشيب برأسه) أي: ظهر ظهورا تاما.

(فبكى)(١) **ذلك الرجل فظهور الشيب لا يقابل البكاء إلا أنه قد عبر عنه بالضحك الذي معناه الحقيقي مقابل للبكاء.**

(ويسمى الثاني: إيهام التضاد) لأن المعنيين قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد نظرا إلى الظاهر.

(ودخل فيه) أي: في الطباق بالتفسير الذي سبق ما يختص باسم المقابلة وأن جعله السكاكي وغيره قسما برأسه من المحسنات المعنوية.

(وهي أن يؤتى بمعنيين) متوافقين.

(أو أكثر ثم) يؤتى.

(بما يقابل ذلك) المذكور من المعنيين المتوافقين أو المعاني المتوافقة.

---

(١) البيت لدعبل من قصيدة من الكامل أولها:

أينَ الشبابُ وأيةَ سَلكا .. لا، أين يطلَبُ؟ ضَلَّ، بل هَلكا

وبعده البيت، وبعده:

يا سَلْمَ ما بالشيبِ مَنْقَصَةٌ ... لا سوقَةً يُبْقِي ولا مِلِكا
قَصَرَ الْغَوايةَ عن هَوَى قَمرٍ .. أجِدُ السَّبِيلَ إليهِ مُشترِكا
يا لَيْتَ شعري كَيْفَ نومكما .. يا صاحِبَيَّ إذا دمي سُفِكا
لا تأخذا بِظُلاَمتي أَحَداً ... قلبي وطَرْفي في دمي اشْتَركا

والشاهد في البيت: الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معنياهما الحقيقيان، فإنه هنا لا تقابل بين البكاء وظهور الشيب، لكنه عبر عن ظهوره بالضحك الذي يكون معناه الحقيقي مضاداً لمعنى البكاء، ويسمى إيهام التضاد، لأن المعنيين المذكورين وإن لم يكونا متقابلين حتى يكون التضاد حقيقياً، لكنهما قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد، نظراً إلى الظاهر والحمل على الحقيقة.

(على الترتيب) فيدخل في الطباق لأنه جمع بين معنيين متقابلين في الجملة.

(والمراد بالتوافق خلاف التقابل) حتى لا يشترط أن يكونا متناسبين أو متماثلين فمقابلة الاثنين بالاثنين.

(نحو: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً ﴾[التوبة: ٨٢]) أتى بالضحك والقلة المتوافقين ثم بالبكاء والكثرة المتقابلين لهما.

(و) مقابلة الثلاثة بالثلاثة.

(نحو قوله:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل)(١)

أتى بالحسن والدين والغنى ثم بما يقابلها من القبح والكفر والإلا فلاس على الترتيب.

(و) مقابلة الأربعة بالاربعة.

(نحو ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾[الليل: ٥،١٠]) والتقابل بين الجميع ظاهرا لا بين الاتقاء والاستغناء فبينه بقوله.

---

(١) البيت من البسيط، ويعزى لأبي دلامة.

يحكى أن أبا جعفر المنصور سال أبا دلامة عن أشعر بيت قالته العرب في المقابلة، فقال: بيت يلعب به الصبيان، قال: وما هو على ذاك؟ قال: قول الشاعر، وأنشده البيت.

قال ابن أبي الأصبع: لا خلاف في أنه لم يقل قبله مثله، فإنه قابل بين أحسن وأقبح، والدين والكفر، والدنيا والأفلاس، وهو من مقابلة ثلاثة بثلاثة وكلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ.

وأحسن من بيت أبي دلامة قول المتنبي من الطويل:

فلا الجودُ يفني المالَ والجدّ مقبلٌ .. ولا البخلُ يبقي المالَ والجدُّ مدبرِ

وأبو دلامة اسمع زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه، ويقول: زيد بالياء التحتية، وهو خطأ، وإنما هو بالنون، وهو كوفي أسود، مولى لبني أسد، وكان أبو دلامة عبداً لرجل منهم، يقال له: قضاقض، فأعتقه وأدرك آخر أيام بني أمية، ولم يكن له فيها نباهة، ونبغ في أيام بني العباس، فانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره، ولم يصل لأحد من الشعراء ما وصل لأبي دلامة من المنصور خاصة. وكان أبو دلامة فاسد الدين رديء المذهب، مرتكباً للمحارم مجاهراً بذلك. وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله.

(والمراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله تعالى كأنه استغنى عنه) أي: اعرض عما عند الله تعالى.

(فلم يتق أو) المراد باستغنى.

(استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق) فيكون الاستغناء مستتبعا لعدم الاتقاء وهو مقابل للاتقاء فيكون هذا من قبيل قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم.

(وزاد السكاكي) في تعريف المقابلة قيدا آخر حيث قال هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما.

(وإذا شرط ههنا) أي: فيما بين المتوافقين أو المتوافقات.

(امر شرط ثمة) أي: فيما بين ضديهما أو اضدادها.

(ضده) أي: ضد ذلك الأمر.

(كهاتين الآيتين فإنه لما جعل التيسير مشتركا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده) أي: ضد التيسير وهو التعسير المعبر عنه بقوله فسنيسره للعسرى.

(مشتركا بين أضدادها) وهي البخل والاستغناء والتكذيب، فعلى هذا لا يكون قوله ما أحسن الدين إلى آخره من المقابلة لأنه اشترط في الدين والدنيا الاجتماع، ولم يشترط في الكفر والإفلاس ضده.

(ومنه) أي: من المعنوي.

(مراعاة النظير ويسمى التناسب والتوفيق) والائتلاف والتلفيق.

(أيضا، وهي جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد) والمناسبة بالتضاد أن يكون كل منهما متقابلا للاخر، وبهذا القيد يخرج الطباق. وذلك قد يكون بالجمع بين الأمرين.

(نحو: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[الرحمن: ٥]) جمعا بين امرين.

(و) نحو.

(قوله) في صفة الإبل.

(كالقسي) جمع قوس.

(المعطفات) أي: المنحنيات.

(بل الأسهم) جمع سهم.

(مبرية) أي: منحوتة.

(بل الأوتار)(١) جمع وتر جمع بين ثلاثة أمور.

(ومنها) أي: من مراعاة النظير ما يسميه بعضهم تشابه الاطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتدائه في المعنى نحو.

(﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]) فإن اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالأبصار والخبير يناسب كونه مدركا بالأبصار لأن المدرك للشيء يكون خبيرا له عالما به.

(ويلحق بها) أي: بمراعاة النظير أن تجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين يكون لهما معنيان متناسبان وأن لم يكونا مقصودين ههنا.

---

(١)البيت للبحتري، من قصيدة من الخفيف يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاماً:

كَالْقِسِيِّ المُعَطَّفَاتِ بَلِ...... الأَسْهُم مَبْرِيَّةً بَلِ الأَوْتَار

ومنها قوله:

أَبُكَاءً فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ .... وَسُلوّاً بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَار
لا هَنَاكَ الشغْلُ الجديدُ بِحُزْوَى .... عن رُسُوم بِرَامتين قِفَارِ
ما ظَنَنْتُ الأهواء قَبلكَ تُمحي .. في صُدُور العُشَّاق مَحْوَ الدّيار

إلى أن قال منها في وصف النوق:

يَتَرَقْرَقْنَ كالسَّرَاب وقَدْ ....خُضْنَ غِماراً من السَّراب الجَاري

وبعده البيت، والقصيدة طويلة

والشاهد في البيت: مراعاة النظير، ويسمى: التناسب، والتوافق، والائتلاف، والمؤاخاة، وهو: جمع أمر وما يناسبه مع إلغاء التضاد لتخرج المطابقة فهو هنا قصد المناسبة بالأسهم والأوتار لما تقدم من ذكر القسي، وهذه المناسبة هنا معنوية لا لفظية

(نحو: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ﴾ [الرحمن:٥-٦]) أي: والنبات الذي ينجم أي يظهر من الأرض له ساق له كالبقول.

(﴿وَالشَّجَرُ﴾) الذي له ساق.

(﴿يَسْجُدَانِ﴾) أي: ينقادان لله تعالى فيما خلقا له، فالنجم بهذا المعنى وأن لم يكون مناسبا للشمس والقمر لكنه قد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما.

(ويسمى إيهام التناسب) لمثل ما مر في إيهام التضاد.

(ومنه) أي: من المعنوي.

(الإرصاد) وهو في اللغة نصب الرقيب في الطريق.

(ويسميه بعضهم التسهيم) يقال برد مسهم فيه خطوط مستوية.

(وهو أن يجعل قبل العجز من الفقرة) وهي في النثر بمنزلة البيت من النظم، فقوله وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه فقرة ويقرع الاسماع بزواجر وعظه فقرة أخرى، والفقرة في الأصل حلى يصاغ على شكل فقرة الظهر.

(أو) من (البيت ما يدل عليه) أي: على العجز. وهو آخر كلمة من الفقرة أو البيت.

(إذا عرف الروي) فقوله ما يدل فاعل يجعل وقوله: إذا عرف متعلق بقوله يدل والروى الحرف الذي يبنى عليه أو آخر الأبيات أو الفقرة ويجب تكرره في كل منهما.

وقيد بقوله: إذا عرف الروى لأن من الارصاد ما لا يعرف فيه العجز لعدم معرفة حرف الروى كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس: ١٩] فلو لم يعرف أن حرف الروى هو النون لربما توهم أن العجز فيما هم فيه اختلفوا أو اختلفوا فيه فالإرصاد في الفقرة:

(نحو: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٠]) وفى البيت.

(نحو قوله:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع[1]

ومنه) أي: ومن المعنوي.

(المشاركة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه) أي: ذلك الشيء.

(في صحبته) أي: ذلك الغير.

(تحقيقا أو تقديرا) أي: وقوعا محققا أو مقدرا.

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي، من قصيدة من الوافر:

إِذَا لم تستطعْ شيئاً فدعهُ ...... وجاوِزهُ إلى مَا تستطيعُ

وأولها:

أمِنْ رَيحانةَ الدَّاعي السميعُ .... يُؤَرِّقني وأصحَابي هُجُوعُ
سبَاهَا الصمَّةُ الجشميُّ غصباً ..... كأنَّ بيَاضَ غرَّتِهَا صديعُ
وحَالت دونهَا فرسانُ قيسٍ .. تكشفُ عن سواعدها الدروعُ

وبعده البيت، وبعده:

وصلهُ بالزمان فكلُّ أمرٍ .... سمَا لكَ أو سموتَ لهُ ولوعُ

وهي طويلة.

قال المدائني: حدثني رجل من قريش قال: كنا عند فلان القرشي، فجاءه رجلٌ بجارية، فغنته من السريع:

بالله يا ظبيَ بني الحارثِ .. هَلْ مَنْ وفى بالعهد كالنَّاكث

وغنته أيضاً بغناء ابن سريج من المنسرح:

يا طولَ ليلي وبتُّ لم أنمِ .. وساديَ الهمُّ مبُطنٌ سقمِي

فأعجبته، واستام مولاها فاشتط عليه فأبى شراءها، وأعجبت الجارية بالفتى، فلما امتنع مولاها من البيع إلا بشطط قال القرشي: فلا حاجة لنا في جاريتك، فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها، تقول:

إِذَا لم تستطع شيئاً فدعهُ.. البيت

قال: فقال الفتى القرشي: أفأنا لا أستطيع شراءك؟ والله لأشترينك بما بلغت، قالت الجارية: فذلك أردت.

قال القرشي: إني لا أخيبك، وابتاعها من ساعتها.

والشاهد فيه: الإرصاد، ويسميه بعضهم التسهيم،وهو: أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت، ما يدل على العجز إذا عرف الروي – وهو الحرف الذي تبنى عليه أواخر الأبيات أو الفقر – ويجب تكراره في كل منها فإنه قد يكون منها ما لا يعرف منه العجز لعدم معرفة حرف الروي.

(فالأول نحو قوله: قالوا أقترح شيئا) من اقترحت عليه شيئا إذا سألته اياه من غير روية وطلبته على سبيل التكليف والتحكم وجعله من اقترح الشيء ابتدعه غير مناسب على ما لا يخفى.

(تجد) مجزوم على أنه جواب الأمر من الاجادة وهي تحسين الشيء.

(لك لطبخه، قلت: اطبخوا لي جبة وقميصا)[1] أي: خيطوا وذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام.

(ونحوه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]) حيث اطلق النفس على ذات الله تعالى لوقوعه في صحبة نفسي.

(والثاني) وهو ما يكون وقوعه في صحبة الغير تقديرا.

(نحو) قوله تعالى: ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى ﴾ [البقرة:١٣٦] إلى قوله:

(﴿صِبْغَةَ اللهِ) وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾.

(وهو) أي: قوله صبغة الله.

(مصدر) لأنه فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ.

---

(١) البيت من الكامل، وقائله أبو الرقعمق، يروى أنه قال: كان لي إخوان أربعة، وكنت أنادمهم أيام الأستاذ كافور الإخشيدي، فجاءني رسولهم في يوم بارد، وليست لي كسوة تحصنني من البرد، فقال: إخوانك يقرأون عليك السلام ويقولون لك: قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشته علينا ما نطبخ لك منها، قال: فكتبت إليهم من الكامل:

إخواننا قصدوا الصبوحَ بسحرةٍ .... فأتى رسولُهُمُ إليَّ خصوصا
قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخه .. قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

قال: فذهب الرسول بالرقعة، فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنانير، فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم.

والشاهد فيه: المشاكلة، وهي: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً، وهي هنا قوله اطبخوا فإنه أراد خيطوا فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام.

(مؤكد لآمنا بالله أي تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس) فيكون آمنا مشتملا على تطهير الله لنفوس المؤمنين ودالا عليه فيكون صبغة الله بمعنى تطهير الله مؤكدا لمضمون قوله آمنا بالله ثم أشار إلى وقوع تطهير الله في صحبة ما يعبر عنه بالصبغ تقديرا بقوله:

(والأصل فيه) أي: في هذا المعنى وهو ذكر التطهير بلفظ الصبغ.

(أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون: إنه) أي: الغمس في ذلك الماء.

(تطهير لهم) فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال: الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بأن يقولوا للنصارى قولا: آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا.

هذا إذا كان الخطاب في قوله: ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ﴾ للكافرين، وإن كان الخطاب للمسلمين فالمعنى أن المسلمين أمروا بأن يقولوا صبغنا الله بالإيمان صبغة ولم يصبغ صبغتكم أيها النصارى.

(فعبر عن الإيمان بالله بصبغة الله للمشاركة) لوقوعه في صحبة صبغة النصارى تقديرا.

(بهذه القرينة) الحالية التي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم في الماء الاصفر وأن لم يذكره ذلك لفظا.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(المزاوجة، وهي أن تزاوج) أي: توقع المزاوجة على أن الفعل مسند إلى ضمير المصدر أو إلى الظرف أعني قوله.

(بين معنيين في الشرط والجزاء) والمعنى بجعل معنيان واقعان في الشرط والجزاء مزدوجين في أن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر.

(كقوله: إذا ما نهى الناهي) ومنعنى عن حبها.

(فلج بي الهوى) لزمنى.

(أصاخت إلى الواشي) أي: استمعت إلى النمام الذي يشي حديثه ويزينه وصدقته فيما افترى عليَّ.

(فلج بها الهجر)[1] زواج بين نهي الناهي وإصاختها إلى الواشي الواقعين في الشرط والجزاء في أن رتب عليهما لجاج شيء.

وقد يتوهم من ظاهر العبارة: أن المزاوجة هي أن نجمع بين معنيين في الشرط ومعنيين في الجزاء كما جمع في الشرط بين نهي الناهي ولجاج الهوى وفى الجزاء بين إصاختها إلى الواشي ولجاج الهجر وهو فاسد إذ لا قائل بالمزاوجة في مثل قولنا: إذا جاءني زيد فسلم عليَّ أجلسته فانعمت عليه. وما ذكرنا هو المأخوذ من كلام السلفة.

(ومنه) أي: من المعنوي.

(العكس) والتبديل.

(وهو أن يقدم جزء من الكلام على جزء) آخر.

(ثم يؤخر) ذلك المقدم عن الجزء المؤخر أولا، والعبارة الصريحة ما ذكره بعضهم وهو أن تقدم في الكلام جزءا ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت.

---

(١) البيت للبحتري، من قصيدة من الطويل في الفتح بن خاقان، أولها

متى لاح برقٌ أو بدا طللٌ قفرُ .. جرى مُسْتَهِلٌ لا بطيءٌ ولا نَزْرُ
وما الشوق إلا لوعةٌ بعد لوعةٍ .. وغُزْر من الآماق تتبعُها غزرُ
فلا تذكرا عهْدَ التصابي فإنه .... تقضَّي ولم يشعرْ به ذلك العصر

إلى أن يقول فيها:

هل العيش إلا أن تساعفنا النوى .. بوَصْل سُعَاد أو يساعدَنا الدهرُ

إلى أن يقول فيها:

على أنها ما عندها لُمَوَاصِلٍ .. وصالٌ ولا عنها لمصطبرٍ صبرُ

وبعده البيت، وهي طويلة يقول منها في المخلص:

لعمرَّكَ ما الدنيا بناقصة الجَدَا .. إذا بقىَ الفَتحُ بن خاقان والقطرُ

ومعنى أصاخت استمعت، والواشي: النمام الذي يشي حديثه ويزينه.
والشاهد فيه: المزاوجة، وهي: أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء، فهنا زواج بين نهي الناهي وإصاختها إلى الواشي الواقعين في الشرط والجزاء في أن يترتب عليهما لجاج شيء.

وظاهر عبارة المصنف صادق على نحو: عادات السادات أشرف العادة وهو ليس من العكس.

(ويقع) العكس.

(على وجوه: منها أن يقع بين أحد طرفي جملة وبين ما أضيف إليه ذلك الطرف نحو: عادات السادات سادات العادات) فالعادات أحد طرفي الكلام والسادات مضاف إليه لذلك الطرف. وقد وقع العكس بينهما بأن قدم أولا العادات على السادات ثم السادات على العادات.

(ومنها) أي: من الوجوه.

(أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين نحو: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾[الأنعام: ٩٥]) فالحي والميت متعلقان بيخرج وقد قدم أولا الحى على الميت وثانيا الميت على الحى.

(ومنها) أي: من الوجوه.

(أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين نحو: ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠]) قدم أولاهن على هم وثانيا هم على هن وهما لفظان وقع أحدهما في جانب المسند إليه والآخر في جانب المسند. ومنه أي: من المعنوي.

(الرجوع، وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض) أي: بنقضه وابطاله.

(لنكتة كقوله:

قف بالديار التي لم يعفها القدم)

أي: لم يبلها تطاول الزمان وتقادم العهد ثم عاد إلى ذلك الكلام ونقضه بقوله.

(بلى وغيرها الأرياح والديم)(١)

---

(١) البيت من البسيط، وهو أول قصيدة لزهري بن أبي سلمى، يمدح بها هرم بن سنان، وبعده:

لاَ الدارُ غيرَها بعدُ الأنيسُ ولاَ .. بالدارِ لو كَلَّمَتْ ذا حاجة صممُ

أي: الرياح والأمطار، والنكتة إظهار التحير والتدله كأنه أخبر أولا بها لا تحقق له ثم أفاق بعض الإفاقة فنقض الكلام السابق قائلا بلى عفاها القدم وغيرها الارياح والمديم.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(التورية وتسمى الإيهام أيضا، وهو أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد به البعيد) اعتمادا على قرينة خفية.

(وهي ضربان) الأولى.

(مجردة وهي) التورية.

(التي لا تجامع شيئا مما يلائم) المعنى.

(القريب نحو الرحمن على العرش استوى) فإنه أراد باستوى معناه البعيد وهو استولى ولم يقرن به شيء مما يلائم المعنى القريب الذي هو الاستقرار.

(و) الثانية.

(مرشحة) وهي التي تجامع شيئا مما يلائم المعنى القريب.

=

دارٌ لأسماء بالغمرَين ماثلةٌ .. كالوحي ليس لها من أهلها أرِمُ

يقول منها في مدحه:

إن البخيلَ ملومٌ حيثُ كان ..ولكنّ الجوادَ على علاتهِ هَرِمُ
هو الجوادُ الذي يعطيكَ نائلهُ .. عفواً ويظلمُ أحياناً فيظَّلِمُ
فإن أتاهُ خليلٌ يومَ مسألةٍ ... يقولُ لا غائبٌ ما لي ولا حَرِمُ

وهي طويلة.

والأرواح: جمع ريح، ويجمع على أرياح أيضاً، ورياح، ورِيَح بكسر الراء وفتح الياء. والديم: جمع ديمة، وهي المطر الدائم في سكون.

والشاهد في البيت: الرجوع، وهو العود إلى الكلام السابق، بالنقض والإبطال لنكتة، فهنا دل صدر البيت على أن تطاول الزمان وتقادم العهد لم يعف الديار، ثم عاد إليه ونقضه في عجز البيت بأنه قد غيرتها الرياح والأمطار لنكتة، وهي هنا: إظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهش، كأنه خبر ولاً بما لم يتحقق، ثم رجع إليه عقله وأفاق بعض الإفاقة فنقض كلامه السابق.

(نحو: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾[الذاريات: ٤٧]) أراد بالأيدى معناه البعيد وهو القدرة وقد قرن لها ما يلائم المعنى القريب الذي هو الجارية المخصوصة وهو قوله بنيناها إذ البناء يلائم اليد وهذا مبنى على ما اشتهر بين أهل الظاهر من المفسرين. وإلا فالتحقيق أن هذا تمثيل وتصوير لعظمته وتوقيف على كنه جلاله من غير أن يتمحل للمفردات حقيقة أو مجازا.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الاستخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره) أي: بالضمير العائد إلى ذلك اللفظ.

(معناه الآخر أو يراد باحد ضميريه أحدهما) أي: أحد المعنين ثم يراد بالأخرى معناه الآخر ويجوز في كليهما أن يكونا حقيقين وأن يكونا مجازين أو أن يكونا مختلفين.

(فالأول) وهو أن يراد باللفظ أحد المعنين وبضميره معناه الآخر.

(كقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا[1]

---

(١) نسب غالب شارحي التلخيص هذا البيت لجرير، وهو من قصيدة من الوافر، أولها:

أقلي اللومَ عاذِلَ والعتابَا .. وقولي إن أصبتُ لَقد أصابَا
أجدَّك ما تذكر عهدِ نجدٍ .... وحَيّاً طالما انتظروا الإيابَا
بلىَ فارفضَ دمْعُكَ غير نَزْرٍ .. كما عَيَّنْتَ بالسرَب الطبابَا
وهاجَ البرق ليلةَ أذرعاتٍ ... هوى ما تستطيع لهُ طلابا

وهي طويلة، والسماء: الغيث.

ونسبه المفضل في اختياراته لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء وساقه في قصيدة طويلة أولها:

أجدّ القلبُ من سلمى اجتنابَا .. وأقصرَ بعد ما شابَتْ وشابَا
وشابَ لِدَاتهُ وعدلنَ عنهُ ...... كما أنضيتُ من لُبْسٍ ثيــــابَا
فإن يكُ نبلها طاشتْ ونبلي ... فقد نرمي بها حقباً صيــــابا
فتصطادُ الرجالَ إذَا رمتهمْ .... وأصطادُ المخبأةَ الكعــــابَا

منها:

جمع غضبان أراد بالسماء الغيث وبالضمير الراجع إليه في رعيناه، النبت وكلا المعنيين مجازى.

(والثاني) وهو أن يراد بأحد ضميريه أحد المعنيين وبالضمير الآخر معناه الآخر.

(كقوله:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانحي وضلوعي[1]

أراد باحد ضميري الغضا أعني المجرور في الساكنيه المكان الذي فيه شجرة الغضا وبالآخر أعني المنصوب في شبوه النار الحاصلة من شجرة الغضا وكلاهما مجازى.

(ومنه) أي: من المعنوي.

(اللف والنشر، وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم) ذكر.

=

وكنتُ إذَا العظيمة أفزعَتْهُمْ .. نهضتُ ولا أدبُّ لها دبابًا
بحمدِ الله ثمَّ عطاء قَومٍ .... يفكونَ الغنائمَ والرقــابًا
إذَا نَزَلَ السماء بأرضِ قَومٍ .... رَعيناهُ وإن كانوا غضــابا
بِكلّ مُقَلصٍ عَبْلٍ شَوَاهُ ..... إذَا وُضعتْ أعنتهنّ ثــابًا

ويدل على أن هذا البيت من هذه القصيدة أنه لم يوجد في قصيدة جرير على اختلاف رواة ديوانه.

والشاهد فيه: الاستخدام، وهو أن يراد بلفظٍ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما، ثم يراد بالآخر الآخر، فالأول كما في البيت هنا، فإنه أراد بالسماء الغيث، وبالضمير الراجع إليه من رعيناه النبت.

(١) البيت للبحتري، وهكذا هو في ديوانه وإن كان في كثير من نسخ التلخيص، بل وفي كثر من كتب هذا الفن بلفظ بين جوانحي وضلوعي، وهو من قصيدة من الكامل أولها.

كم بالكثيب من اعتراض كثيبِ .. وقوام غصنٍ في الثياب رطيبِ
تأبى المنازلُ أن تجيبَ ومن جَوَى ... يوم الديارِ دعوتُ غيرَ مُجيب

وبعده البيت، وهي طويلة.

والغضا: شجر معروف، واحدته غضاة، وأرض غضيانة: كثيرته.

والشاهد فيه: الاستخدام أيضاً، فإنه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الغضا وهو المجرور في الساكنيه المكان وهو ارض لبني كلاب وواد بنجد، وبالآخر وهو المنصوب في شبوه النار أي أوقدوا في جوانحي نار الغضا، يعني نار الهوى التي تشبه نار الغضا، وخص الغضا دون غيره لأن جمره بطيء الانطفاء.

(ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة) أي: الذكر بدون التعيين لأجل الوثوق.

(بأن السامع يرده إليه) أي: يرد ما لكل من آحاد هذا المتعدد إلى ما هو له لعلمه بذلك بالقرائن اللفظية أو المعنوية.

(فالأول) وهو أن يكون ذكر المتعدد على التفصيل.

(ضربان لأن النشر إما على ترتيب اللف) بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف والثاني للثاني وهكذا إلى الآخر.

(نحو: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ [القصص:٧٣]) ذكر الليل والنهار على التفصيل ثم ذكر ما لليل وهو السكون فيه وما للنهار وهو الابتغاء من فضل الله فيه على الترتيب.

فإن قيل: عدم التعيين في الآية ممنوع فإن المجرور من فيه عائد إلى الليل لا محالة.

قلنا: نعم ولكن باعتبار احتمال أن يعود إلى كل من الليل والنهار يتحقق عدم التعيين.

(وأما على غير ترتيبه) أي: ترتيب اللف سواء كان معكوس الترتيب.

(كقوله:

كيف أسلو وأنت حقف)

وهو البقاء من الرمل.

(وغصن   وغزال لحظا وقدا وردفا)(١)

فاللحظ للغزال، والقد للغصن والردف للحقف، أو مختلطا كقولك هو شمس وأسد وبحر جودا وبهاءا وشجاعة.

---

(١)البيت من الخفيف، وهو منسوب لابن حيوس، ولم أره في ديوانه، ولعله ابن حيوس الإشبيلي.
والحقف بكسر الحاء الرمل العظيم المستدير.
والشاهد فيه: اللف والنشر، وهو: ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد المتعدد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد ما لكل من آحاد المتعدد إلى ما هو له، ثم الذي على سبيل التفصيل ضربان؛ لأن النشر إما على ترتيب اللف، وإما على غير ترتيبه كما في البيت هنا، وهو ظاهر.

(والثاني) وهو أن يكون ذكر المتعدد على الإجمال.

(نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة:١١١]) فإن الضمير في قالوا لليهود والنصارى فذكر الفريقان على وجه الإجمال بالضمير العائد إليهما ثم ذكر ما لكل منهما.

(أي قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف) بين الفريقين أو القولين إجمالا.

(لعدم الالتباس) والثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق أو كل قول مقوله.

(للعلم) بتضليل كل فريق صاحبه واعتقاده أن داخل الجنة هو لا صاحبه. ولا يتصور في هذا الضرب الترتيب وعدمه.

ومن غريب اللف والنشر أن يذكر متعدد أن أو أكثر ثم يذكر في نشر واحد ما يكون لكل من آحاد كل المتعدين كما تقول الراحة والتعب في العدل والظلم قد سد من أبوابها ما كان مفتوحا وفتح من طرقها ما كان مسدودا.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الجمع) وهو أن يجمع بين متعدد اثنين أو أكثر.

(في حكم واحد كقوله تعالى:﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف:٤٦] ونحو قاله) أي: قول أبي العتاهية، علمت يا مجاشع بن مسعدة.

(إن الشباب والفراغ والجدة) أي: الاستغناء.

(مفسدة) أي: داعية إلى الفساد.

(للمرء أي مفسدة[١]. ومنه) أي: ومن المعنوي.

---

(١) البيت لأبي العتاهية، من أرجوزته المزدوجة التي سماها ذات الأمثال يقال: إن له فيها أربعة آلاف مثل، فمنها:

حسبُكَ مِما تَبْتغيهِ القُوتُ .. ما أكثَرَ القُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ
الفقرُ فيمَا جاوزَ الكَفافا .... مِن اتَّقى اللهَ رَجا وَخافا

(التفريق: وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع في المدح أو غيره كقوله:

ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير يوم سخاء

فنوال الأمير بدرة عين)

هي عشرة آلاف درهم.

(ونوال الغمام قطرة ماء)[1]

أوقع التباين بين النوالين.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(التقسيم: وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين) وبهذا القيد يخرج اللف والنشر وقد أهمله السكاكي فتوهم بعضهم أن التقسيم عنده أعم من اللف والنشر.

أقول: إن ذكر الإضافة مغن عن هذا القيد إذ ليس في اللف والنشر إضافة ما لكل إليه بل يذكر فيه ما لكل إليه حتى يضيفه السامع إليه ويرده.

(كقوله:) أي: قول المتلمس.

=

هيَ المَقَاديُر فلُمني أو فذرْ .. إن كنْتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَر

لِكُلّ ما يُؤذي وإن قَلّ ألم .... ما أطوَل اللَّيْلَ على مَنْ لم ينم

ما انتَفَعَ المرءُ بِمثلِ عقلِهِ .... وخيْرُ ذُخْرِ المرءِ حُسْنُ فِعلِهِ

إن الفَساد ضِدّهُ الصَلاَحُ .... ورُبّ جِدٌّ جَرّهُ المُزَاحُ

مَنْ جعلَ النَّمّامَ عيناً هلكاَ .... مُبلغُكَ الشّرّ كباغيهِ لَكا

وبعده البيت، وبعده:

يُغنيكَ عن كُلّ قبيح تَركُهُ .. يرتهن الرأيَ الأصيلَ شكّهُ

وهي طويلة جداً، وهذا الأنموذج كاف منها والجدة: الاستغناء، والمفسدة: الخلة الداعية إلى الفساد.

والشاهد فيه: الجمع، وهو الجمع بين متعدد في حكم، وهو ظاهر في البيت

(١) البيتان لرشيد الدين الوطواط الشاعر، من الخفيف.

والنوال: العطاء، والبدرة: كيس فيه ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار، والعين هنا: المال.

والشاهد فيهما: التفريق، وهو: إيقاع تباين بين أمرين من نوع في المدح أو في غيره.

(ولا يقيم على ضيم) أي: ظلم.

(يراد به) الضمير عائد إلى المستثنى منه المقدر العام.

(إلا الأذلان) في الظاهر فاعل لا يقيم وفى التحقيق يدل أي لا يقيم أحد على ظلم يقصد به إلا هذان.

(عير الحي) وهو الحمار.

(والوتد هذا) أي: عير الحى.

(على الخسف) أي: الذل.

(مربوط برمته) هي قطعة حبل بالية.

(وذا) أي: الوتد.

(يشج) أي: يدق ويشق رأسه.

(فلا يرثى) أي: فلا يرق ولا يرحم.

(له أحد)[1] ذكر العير والوتد ثم أضاف إلى الأول الربط على الخسف وإلى الثاني الشج على التعيين.

---

(١) البيتان من البسيط، وقائلهما المتلمس من أبيات، وهي:

ولا يقيمُ على ضَيْمٍ يرادُ بِهِ .... إلا الأذَلاَّنِ عَيْرُ الحي والْوَتِدُ
هذا على الخسفِ مربوطٌ برُمَّتِهِ .... وذَا يُشجُّ فلا يَرْثِي لهُ أحدُ
إنَّ الهَوَانَ حمارُ الأهلِ يعرفهُ .... والحر ينكرهُ والرسلة الأجدُ
كونُوا كَسَامَةَ إذ ضنك منازلهُ .... إذ قيل جيشٌ وجيشٌ حافظٌ عتدُ
شدَّ المطية بالأنْسَاعِ فانْحَرَفَتْ .... عَرض التَّنوفَةِ حتى مسها النَّجَدُ
كونوا كبكر كما قد كان أولكم .. ولا تكونوا كعبد القيس إذ قعدُوا
يُعْطُونَ ما سئلوا والبحرُ محتدُهم ..... كما أكبَّ على ذي بَطْنِهِ الفهدُ

وبعده البيتان، وبعدهما قوله:

وفي البلاد إذا ما خِفْتَ ثائرة .. مشهودة عن وُلاة السوء تنتقدُ

والضيم:: الظلم، والعير، بفتح المهملة: الحمار، وغلب على الوحشي، والمناسب هنا: الأهلي، والخسف: النقيصة، والإذلال: تحميل الإنسان ما يكره، وحبس الدابة بلا علف، والرمة بضم الراء، وتكسر: قطعة من

وقيل: لا تعيين لأن هذا وذا متساويان في الإشارة إلى القريب فكل منهما يحتمل أن يكون إشارة إلى العير والى الوتد فالبيت من اللف والنشر دون التقسيم.

وفيه نظر؛ لأنا لا نسلم التساوي بل في حرف التشبيه إيماء إلى أن القرب فيه أقل بحيث يحتاج إلى تنبيه ما بخلاف المجرد عنها فهذا للقريب أعني العير، وذا للاقرب أعني الوتد. وأمثال هذه الاعتبارات لا ينبغي أن تهمل في عبارات البلغاء بل ليست البلاغة إلا رعاية أمثال ذلك.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الجمع مع التفريق وهو أن يدخل شيئان في معنى ويفرق بين جهتي الإدخال كقوله:

فوجهك كالنار في ضوئها ... وقلبي كالنار في حرها[1]

أدخل قلبه ووجه الحبيب في كونها كالنار ثم فرق بينهما بأن وجه الشبه في الوجه الضوء واللمعان وفى القلب الحرارة والاحتراق.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الجمع مع التقسيم، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو العكس) أي: من تقسيم متعدد ثم جمعة تحت حكم.

(فالأول) أي: الجمع ثم التقسيم.

(كقوله حتى أقام) أي: الممدوح ولتضمين الاقامة معنى التسليط عداها بعلى فقال.

=

حبل، والشج: الكسر والدق، والاستثناء في إلا الأذلان استثناء مفرغ وقد أسند إليه فعل الإقامة في الظاهر، وإن كان مسنداً في الحقيقة إلى العام المحذوف.

والشاهد فيهما: التقسيم، وهو ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين، فإنه ذكر العير والوتد، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخصف، وإلى الثاني الشج، على التعيين.

(١)البيت لرشيد الدين الوطواط، والشاهد فيه: الجمع مع التفريق، وهو: إدخال شيئين في معنى، والتفريق بين جهتي الإدخال، فهنا أدخل وجه الحبيب وقلبه في كونها النار،ثمَّ فرق بينهما بأن جهة إدخال الوجه من جهة الضوء، وإدخال القلب من جهة الحرّ والإحراق.

(على أرباضها) جمع ربض وهو ما حول المدينة.

(خرشنة) وهي بلدة من بلاد الروم.

(تشقى به الروم والصلبان) جمع صليب النصارى.

(والبيع) جمع بيعة وهي معبدهم وحتى متعلق بالفعل في البيت السابق أعني قاد المقانب أي العساكر جمع في هذا البيت شقاء الروم بالممدوح ثم قسم فقال:

(للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا) ذكر ما دون من العاقل وقلة المبالاة بهم كأنهم من غير ذوي العقول وملائمة بقوله:

(والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا والثاني)[1] أي: التقسيم ثم الجمع.

(كقوله:

---

(١) البيتان لأبي الطيب المتنبي من قصيدة من البسيط، يمدح فيها سيف الدولة ابن حمدان، أولها:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع ... إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا
أهل الحفيظة إلا أن تجربهم .... وفي التجارب بعد الغي ما يزع
وما الحياة ونفسي بعد ما علمت .... أن الحياة كما لا تشتهي طبع
ليس الجمال لوجه صح مارنه .... أنف العزيز بقطع العز يجتدع
أأطرح المجد عن كتفي وأطلبه ...... وأترك الغيث في غمدي وأنتجع
والمشرفية لا زالت مشرفة .... دواء كل كريم أو هي الوجع
وفارس الخيل من خفت فوقرها ... في الدرب والدم في أعطافها دفع
وأوحدته وما في قلبه قلق .... وأغضبته وما في لفظه قذع
بالجيش تمتنع السادات كلهم ...... والجيش بابن أبي الهيجاء يمتنع
قاد المقانب أقصى شربها نهل .... على الشكيم وأدنى سيرها سرع
لا يعتقي بلد مسراه عن بلد .... كالموت ليس له ري ولا شبع

وبعده البيتان، والقصيدة طويلة فريدة. والأرباض: جمع ربض بفتح الباء وهو سور المدينة، وخرشنة: بلد الروم وهي التي تسمى الآن أماصية، والبيع: جمع بيعة، بكسر الباء وهي معبد النصارى، وإنما لم يقل من نكحوا أو من ولدوا ليوافق قوله والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا وللدلالة على إهلاكهم وقلة المبالاة بهم حتى كأنهم ليسوا من جنس من يعقل فيخاطبون بخطابه.

والشاهد فيهما: الجمع مع التقسيم، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه، أو تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم، فالأول كما في البيتين وهو ظاهر، والثاني كما في البيتين الآتيين بعدهما

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حاولوا)

أي: طلبوا.

(النفع في اشياعهم) أي: اتباعهم وانصارهم.

(نفعوا سجية) أو غريزة وخلق.

(وتلك) الخصلة.

(منهم غير محدثة إن الخلائق) جمع خليفة والطبيعة وهي الخلق.

(فاعلم شرها البدع)(١) جمع بدعة وهي المبتدعات والمحدثات قسم في الأول صفة الممدوحين إلى ضرر الاعداء ونفع الاولياء ثم جمعها في الثاني تحت كونها سجية.

---

(١)البيتان لحسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، من قصيدة من البسيط قالها حين قدم وفد تميم على النبي صلّى الله عليه وسلّم، وفيهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعطارد بن حاجب، وأرادوا المفاخرة بخطيبهم – وهو عطارد – وشاعرهم – وهو الزبرقان – في خبر طويل، والقصيدة أولها:

إن الذَّوائب من فهرٍ وإخوتهم .. قد بيَّنوا سُنَّةً للنــــــاس تُتَّبعُ
يَرْضى بها كلُّ من كانت سريرتُهُ .. تقوى الإله وبالأمر الذي شَرَعوا

وبعده البيتان، وبعدهما:

لا يرْقُع النَّاس ما أوْهَتْ أكفُّهُمْ .. عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن كان في النَّاس سباقون بعدهم ...... فكل سَبْقٍ لأدنى سبْقِهِمْ تَبعُ
أَعفّة ذكرتْ في الوحْي عفَّتُهمْ .... لا يطبعون ولا يُزْرى بهم طَبَعُ
ولا يضنون عن جارٍ بفضلهم .... ولا يمسُّهمُ من مطمعٍ طمعُ
يسمون للحرْب تبْدو وهي كالحةٌ .. إذا الزعانفُ من أظفارها خُشَعوا
لا يفرَحون إذا نالوا عدوَّهمْ .... وإن أُصيبوا فلا خورٌ ولا جُزُعُ
كأنَّهم في الوَغَى والموتُ مكتنعٌ .... أُسودُ بيشَةَ في أرساغها فدَعُ
خُذْ منهم ما أتَوا عفواً وما منَعوا ..... فلا يكن همّكَ الأمرَ الذي منَعوا
فإنَّ في حرْبهم فاترُك عَدَاوتهُمْ .... سُمَّا يخاضُ عليهِ الصَّابُ والسَّلَعُ
أَكرمْ بقولِ رسول الله قائدهُمْ .... إذا تفرّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ
أَهْدي لهم مِدْحَتي قلبٌ يؤازرُهُ .... فيما أرادَ لسانٌ حاذقٌ صَنَعُ
وأنهم أفضل الأحياءِ كلهمُ .... إنْ جدَّ بالنَّاسِ جِدُّ القول أو شَمَعُوا

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الجمع مع التفريق والتقسيم). وتفسيره ظاهر مما سبق فلم يتعرض له.

(كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود: ١٠٥]) يعني يأتي الله أي أمره أو يأتي اليوم أي هو له والظرف منصوب بإضمار اذكروا بقوله.

(﴿لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾) أي: بما ينتفع من جواب أو شفاعة.

(﴿إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ﴾) أي: من أهل الموقف.

(﴿شَقِيٌّ﴾) مقضى له بالنار.

(﴿وَسَعِيدٌ﴾) مقضى له بالجنة.

(﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾) أي: إخراج النفس بشدة.

(﴿وَشَهِيقٌ﴾) رده بشدة.

(﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾) أي: سموات الآخرة وارضها. وهذه العبارة كناية عن التأبيد ونفى الانقطاع.

(﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ ﴾) أي: إلا وقت مشيئة الله تعالى.

(﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾) من تخليد البعض كالكفار وإخراج البعض كالفساق.

=

ولمَّا أنشد حسَّان رضي الله عنه هذه القصيدة بعد أن خطب ثابت بن شماس خطبته المشهورة، قال الأقرع بن حابس: إنَّ هذا الرجل لمؤتّى له، والله لشاعِرُه أشعر من شاعرنا، ولخطيبه أخطبُ من خطيبنا، ولأصواتُهم أرفع من أصواتنا، أعطني يا محمد، فأعطاه، فقال: زدني، فزاده، فقال: اللهم إنَّه سيد العرب، وهم الذين أنزل الله في حقّهم " إنَّ الذينَ يُنادونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ".

ومعنى حاولوا راموا وطلبوا، والأشياع: جمع شيعة - بكسر الشين المعجمة - وهي: الأنصار والأتباع، والفرقة: تقع على الواحد والاثنين، والجمع والمذكر والمؤنث، والسجيّة: الغريزة، وما جُبل عليه الإنسان، والخلائق: جمع خليقة، وهي الطبيعة هنا، والبِدَع: جمع بدعة، وهي الحَدَث في الدين بعد الكمال، والمراد بها هنا مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالغرائز فيها. والشاهد فيها: القسم الثاني من الجمع مع التقسيم، فإنَّه قسَّمَ في البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضرر الأعداء، ونفع الأولياء، ثم جمعها في البيت الثاني في كونها سجية.

(﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]) أي: غير مقطوع بل ممتد إلى غير النهاية ومعنى الاستثناء في الأول أن بعض الأشقياء لا يخلدون في النار كالعصاة من المؤمنين الذين شقوا بالعصيان.

وفى الثاني: أن بعض السعداء لا يخلدون في الجنة بل يفارقونها ابتداء يعني أيام عذابهم كالفساق من المؤمنين الذي سعدوا بالإيمان والتأبيد من مبدأ معين فكما ينتقض باعتبار الانتهاء فكذلك باعتبار الابتداء.

فقد جمع الأنفس بقوله: ﴿لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ [هود:١٠٥] ثم فرق بينهم بأن بعضهم شقى وبعضهم سعيد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ثم قسم بأن أضاف إلى الأشقياء مالهم من عذاب النار والى السعداء مالهم من نعيم الجنة بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ﴾ إلى آخر الآية.

(وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين أحدهما: أن يذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل من تلك الأحوال) ما يليق به كقوله:

سأطلب حقي بالقناء والمشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد[1]

(ثقال) أي: لشدة وطائهم على الاعداء.

(إذا لاقوا) أي: حاربوا الاعداء.

(خفاف) أي: مسرعين إلى الاجابة.

(إذا دعوا) إلى كفاية مهم ودفاع ملم.

(كثير إذا شدوا) لقيام واحد مقام الجماعة.

(قليل إذا عدوا) ذكر أحوال المشايخ واضاف إلى كل حال ما يناسبها بأن اضاف إلى الثقل حال الملاقاة والى الخفة حال الدعاء وهكذا إلى الآخر.

---

(١)البيت للمتنبي، من قصيدة أوّلها:

أقلُّ فعالي بَلْهَ أكثَرَهُ مَجْدُ .. وذا الجدّ فيه نلت أو لم أنــــل جدُّ

سأَطلب حقِّي بالقَنَا ومشايخ .. كأنّهمْ من طول ما التّثموا مُرْدُ.

(والثاني استيفاء أقسام الشيء كقوله تعالى ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠]) فإن الإنسان إما أن لا يكون له ولد أو يكون له ولد ذكر أو أنثى أو ذكر وأنثى، وقد استوفى في الآية جميع الأقسام.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة) أمر.

(آخر مثله فيها) أي: مماثل لذلك الأمر ذى الصفة في تلك الصفة.

(مبالغة) أي: لأجل المبالغة وذلك.

(لكمالها) أي: تلك الصفة.

(فيه) أي: في ذلك الأمر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة إلى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة.

(وهو) أي: التجريد.

(أقسام منها) أي: ما يكون بمن التجريدية.

(نحو قولهم: لي من فلان صديق حميم) أي: قريب يهتم لامره.

(أي بلغ فلان من الصداقة حدا صح معه) أي: مع ذلك الحد.

(أن يستخلص معه) أي: من فلان صديق.

(آخر مثله فيها) أي: في الصداقة.

(ومنها) ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه.

(نحو قولهم: لئن سألت فلانا لتسألن به البحر) بالغ في اتصافه بالسماحة حتى أنتزع منه بحرا في السماحة.

(ومنها) ما يكون بدخول باء المعية في المنتزع.

(نحو قوله: وشوهاء) أي: فرس قبيح المنظر لسعة اشداقها أو لما اصابها من شدائد الحرب.

(تعدوا) أي: تسرع.

(بي إلى صارخ الوغى) أي: مستغيث في الحرب.

(بمستلئم) أي: لا بس لامة وهي الدرع والباء للملابسة والمصاحبة.

(مثل الفتيق) هو الفحل المكرم.

(المرحل)[1] من رحل البعير أشخصه من مكانه وأرسله أي تعدو بي ومعي من نفسي مستعد للحرب بالغ في استعداده للحرب حتى أنتزع منه مستعدا آخر.

(ومنها) أي: ما يكون بدخول في في المنتزع منه.

(نحو قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ﴾[فصلت: ٢٨] أي في جهنم وهي دار الخلد) لكنه انتزع منه دارا أخرى وجعلها معدة في جهنم لأجل الكفار تهويلا لامرها ومبالغة في اتصافها بالشدة.

(ومنها) ما يكون بدون توسط حرف.

(نحو قوله: فلئن بقيت لأرحلن بغزوة، تحوي) أي: تجمع.

(الغنائم أو يموت) منصوب بإضمار أن، أي: إلا أن يموت.

(كريم) يعني نفسه انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه، فإن قيل هذا من قبيل الالتفات من التكلم إلى الغيبة، قلنا لا ينافى التجريد على ما ذكرنا.

---

(١) البيت من الطويل، ولا يعرف قائله.

وشوهاء: صفة لفرس، وهي الطويلة الرائعة، والمفرطة رحب الشدقين والمنخرين، والوغى: الحرب، والمستلئم: لابس اللأمة وهو الدرع، والفنيق: الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب، ويجمع على فُنُق - بضم أوله وثانيه - والمرحل: من رَحَل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله.

والشاهد فيه: التجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه، وهنا قال: تعدو بي ومعي من نفسي لابس درع لكمال استعدادي للحرب، فبالغ في اتصافه بالاستعداد حتى أنتزع منه مستعداً آخر لابس درع، والله أعلم.

(وقيل تقديره أو يموت منى كريم) فيكون من قبيل لى من فلان صديق حميم ولا يكون قسما آخر.

(وفيه نظر) لحصول التجريد تمام المعنى بدون هذا التقدير.

(ومنها) ما يكون بطريق الكناية.

(نحو قوله:

يا خـــــير من يركب المطي ... ولا يشرب كأسا بكف من بخلا[1]

أي: تشرب الكأس بكف الجواد انتزع منه جواد يشرب هو بكفه على طريق الكناية؛ لأنه إذا نفي عنه الشرب بكف البخيل فقد ثبت له الشرب بكف كريم ومعلوم أنه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم، وقد خفي هذا على بعضهم فزعم أن الخطاب أن كان لنفسه فهو تجريد وإلا فليس من التجريد في شيء بل كناية عن كون الممدوح غير بخيل، وأقول: الكناية لأنا في التجريد على ما قررناه ولو كان الخطاب لنفسه لم يكن قسما بنفسه بل داخل في قوله:

(ومنها مخاطبة الإنسان نفسه) وبيان التجريد في ذلك أنه ينتزع من نفسه شخصا آخر مثله في الصفة التي سبق لها الكلام ثم يخاطبه.

(كقوله:

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق إن لم يسعد الحال[2]

---

(١) البيت من المنسرح، وقائله الأعشى، من قصيدته السابقة في شواهد المسند.
والشاهد فيه: التجريد بطريق الكناية، فإنه انتزع من الممدوح جواداً يشرب هو الكأس بكفه، على طريق الكناية، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبته له بكف الكريم، ومعلوم أنه شرب بكفه، فهو ذلك الكريم.

(٢) قائله أبو الطيب المتنبي، وهو أول قصيدة من البسيط يمدح بها فاتكاً وقد حمل إليه هدية. ألف دينار، وكان بمصر مقيماً، وتمامه:

فليستعدِ النطقُ إن لم تُسعدِ الحالُ

وبعده:

واجزِ الأميرَ الذي نعماهُ فاجئةٌ .. بغير قولٍ، ونُعمى الناس أقوالُ

أي: الغنى فكأنه انتزع من نفسه شخصا آخر مثله في فقد الخيل والمال وخاطبه.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(المبالغة المقبولة) لأن المردودة لا تكون من المحسنات، وفى هذا إشارة إلى الرد على من زعم أن المبالغة مقبولة مطلقا وعلى من زعم أنها مردودة مطلقا، ثم أنه فسر مطلق المبالغة وبين اقسامها والمقبولة منها والمردودة منها فقال.

(والمبالغة) مطلقا.

(أن يدعي لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا) وإنما يدعى ذلك.

(لئلا يظن أنه) أي: ذلك الوصف.

(غير متناه فيه) أي: في الشدة أو الضعف، وتذكير الضمير وأفراده باعتبار عوده إلى أحد الأمرين.

(وتنحصر المبالغة في التبليغ والإغراق والغلو) لا بمجرد الاستقراء بل بالدليل القطعي. وذلك.

(لأن المدعى إن كان ممكنا عقلا وعادة فتبليغ كقوله: فعادى) يعني الفراس.

(عداء) هو الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما إلى اثر الآخر في طلق واحد.

(بين ثور) يعني الذكر من بقر الوحش.

=

فربَّما جزتِ الإحسانَ موليهُ .... خريدة من عذارى الحيِّ مكسالُ
وإن تكنْ محُكماتُ الشكلِ تمنعني .. ظهور جرْيٍ فلي فيهن تَصْهالُ
وما شَكَرْتُ لأنَّ المالَ فرحني .. سيَّان عنـــــدي إكثارٌ وإقلالُ
لكن رأيتُ قبيحاً أن يجادَ لنا .. وأننا بقضـــــاءِ الحقِّ بُخَّالُ

وهي طويلة، وأراد بالحال الغنى.

والشاهد فيه: التجريد بمخاطبة الإنسان نفسه، فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقد الخيل والمال والحال.

(ونعجة) يعني الأنثى منها.

(دراكا) أي: متتابعا.

(فلم ينضح بماء فيغسل)(١) مجزوم معطوف على ينضح أي لم يعرق فلم يغسل. ادعى أن فرسه أدرك ثورا ونعجة في مضمار واحد ولم يعرق، وهذا ممكن عقلا وعادة.

(وإن كان ممكنا عقلا لا عادة فإغراق كقوله:

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه)

من الاتباع أي نرسل (الكرامة) على إثره.

(حيث مالا)(٢) أي: سار وهذا ممكن عقلا وممتنع عادة.

---

(١) البيت لامرئ القيس، من قصيدته المشهورة السابقة في شواهد المقدمة وقبل البيت:

فَعَنَّ لنا سِرْبٌ كأنَّ نِعاجهُ .. عـذارى دَوارٍ في ملاَء مُذَيَّلِ
فأدْبَرْن كالجزعِ المُفصَّل بينه .. بِجيدٍ مُعِمّ في العشيرةِ مُخْولِ
فألحقَنا بالهادياتِ ودونهُ .. جواحرُهـــــا في صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ

وبعده البيت، وبعده:

فظلّ طُهاةُ اللحم من بين مُنْضِجٍ .. صفيفَ شِواءٍ أو قديرٍ مُعَجّلِ
ورُحنا يكاد الطَّرْفُ يقصر دونهُ .. متى ما ترقَ العينُ فيه تَسَهَّــلِ
فبات عليه سَرْجُهُ ولجامهُ ..... وبات بعيني قائماً غيرَ مُرْسَـــلِ

والمعنى في البيت أنه يصف فرسه بأنه لا يعرق وإن كثر العَدْوُ منه، والعِداء بالكسر والمد الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما على أثر الآخر في طلق واحد، وأراد بالثور الذكر من بقر الوحش، وبالنعجة الأنثى منها، ومعنى دِراكاً متتابعاً، ويغسل مجزوم معطوف على ينضج، والمعنى لم يعرق فيغسل.

والشاهد فيه: المبالغة، ويسمى التبليغ، وهو: ادعاء ممكن عقلاً وعادة، فإنه ادعى أن فرسه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين في مضمار واحد ولم يعرق، وهذا ممكن عقلاً وعادة. وقد استعمل امرؤ القيس هذا المعنى في شعره كثيراً.

(٢) البيت من الوافر، وهو لعمرو بن الأهتم التغلبي. والشاهد فيه الإغراق، وهو: ادعاء عقلاً لا عادة، فإنّه ادّعى أنَّ جاره لا يميل عنه إلى جانب إلا وهو يرسل الكرامة والعطاء إليه على أثره، وهذا ممكنٌ عقلاً ممتنعٌ عادةً، ومن أمثلته قول امرئ القيس:

تَنَوَّرْتُها من أذْرعاتٍ وأهْلُها .. بيثْرِبَ، أدنى دارِها نَظَرٌ عالي

(وهما) أي: التبليغ والاغراق.

(مقبولان وإلا) أي: وأن لم يكن ممكنا لا عقلا ولا عادة لامتناع أن يكون ممكنا عادة ممتنعا عقلا إذ كل ممكن عادة ممكن عقلا ولا ينعكس.

(فغلو كقوله:

واخفت أهل الشرك حتى أنه)

الضمير للشأن.

(لتخافك النطف التي لم تخلق)[1]

=

فإنَّ أذرعات من الشام، ويثرب مدينة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ورؤية النَّار من بعد هذه المسافة لا يمتنع عقلاً، ويمتنع عادةً. ومن محاسن ما استشهدوا به على نوع الإغراق قول القائل:

ولوْ أنَّ ما بي من جَوًى وصَبابَةٍ .. على جملٍ لم يدخُل النَّار كافِرُ

يريد أنّه لو كان ما به من الحبّ بجمل لنحل حتَّى يدخل في سمّ الخيَّاط، وذلك لا يستحيل عقلاً، إذْ القدرة صالحة لذلك، لكنَّه ممتنع عادة. وقد تفنَّن الشعراء في المبالغة في النحول.

(١) البيت لأبي نواس، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرَّشيد، أوّلها:

خَلَقَ الزَّمانُ وشِرَّتِي لم تخلق .... ورَمَيْتُ في غرضِ الزَّمانِ بأفوقِ
تقعُ السِّهامُ وَراءهُ وكأنَّهُ .... أثرَ الحَوالِفِ طالبٌ لم يلحَـــقِ
وأرى قُوايَ تكاءدَتْها رَيْثةٌ ...... فإذا بطشتُ بطشتُ رِخْوَ المِرْفقِ
ولقدْ غدوْتُ بدستبان معلم .. صخب الجلاجلِ في الوظيفِ منسقِ
حرّ صنعناه لتحسن كَفُّهُ ... عملَ الرفيقة واسْتلابَ الآخـــــرقِ

واستمرَّ في وصف البازي إلى أن قال:

هذا أميرُ المؤمنينَ انْتاشَني ...... والنَّفْسُ بينَ محنجر ومُخَنَّقِ
نفسِي فِداؤُكَ يومَ دابقَ مِنهما ... لولا عَواطِفُ حِلمِهِ لم أُطلقِ
حرّمت منْ لَحْمي عليكَ مُحَلَّلاً .. وجَمعتَ من شتَّى إلى مُتفرّقِ
فاقْذِفْ برَحْلِكَ في جنابِ خليقةٍ .... سبَّاقِ غاياتٍ بها لم يُسْبَقِ

إلى أن قال:

إنِّي حلفتُ عليكَ جهْدَ أليَّةٍ ..... قسماً بكلِّ مُقصرٍ ومُحلِّقِ
لقدِ اتَّقيتَ اللهَ حقَّ تُقاتِهِ .. وجهدْتَ فيهِ فوقَ جهدِ المُتَّقي

وبعده البيت، وبعده:

فإن خوف النطفة الغير المخلوقة ممتنع عقلا وعادة والمقبول منه) أي: من الغلو.

(أصناف منها ما أدخل عليه ما يقربه إلى الصحة نحو:) لفظة.

(يكاد في قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ [النور: ٣٥]، ومنها: ما تضمن نوعا حسنا من التخييل كقوله: عقدت سنابكها) أي: حوافر الجياد.

(عليها) يعني فوق رؤسها.

(عثيرا) بكسر العين أي غبارا.

ومن لطائف العلامة في شرح المفتاح: العثير الغبار ولا تفتح فيه العين. وألطف من ذلك ما سمعت أن بعض البغالين كان يسوق بغلته في سوق بغداد وكان بعض عدول دار القضاء حاضرا فضرطت البغلة فقال البغال على ما هو دأبهم بحلية العدل بكسر العين يعني أحد شقي الوقر فقال بعض الظرفاء على الفور: أفتح العين فإن المولى حاضر.

ومن هذا القبيل ما وقع لي في قصيدة علا:

فأصبح يدعوه الورى ملكا ... وريثما فتحوا عينا غدا ملكا

ومما يناسب هذا المقام أن بعض أصحابي ممن الغالب على لهجتهم إمالة الحركات نحو الفتحة: أتاني بكتاب فقلت: لمن هو؟ فقال: لمولانا عَمر- بفتح العين- فضحك الحاضرون، فنظر إليّ كالمتعرف عن سبب ضحكهم، المسترشد بطريق الصواب، فرمزت إليه ببعض الجفن وضم العين، فتفطن للمقصود واستظرف الحاضرون ذلك.

(لو تبتغي) أي: تلك الجياد:

(عنقا) هو نوع من السير.

(عليه) أي: على ذلك العثير.

=

وبضاعةُ الشُّعَراءِ إنْ أنفقتها .. نفقتْ وإنْ أكسدتَها لم تنفُقِ

والشاهد في البيت: الغلو، وهو: ادِّعاء ما لا يمكن عقلاً وعادةً، فإنَّه ادَّعى النُّطَفَ غير المخلوقة تخاف من سطوته، وهذا ممتنعٌ عقلاً وعادةً.

(أمكنا)[1] أي: العنق ادعى أن تراكم الغبار المرتفع من سنابك الخيل فوق رؤسها بحيث صار أرضا يمكن سيرها عليه. وهذا ممتنع عقلا وعادة لكنه تخييل حسن.

(وقد اجتمعا) أي: إدخال ما يقربه إلى الصحة وتضمن التخييل الحسن.

(في قوله:

يخيل لي أن سمر الشهب في الدجى ... وشدت بأهدابي إليهن أجفاني[2]

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، وهو من قصيدة من الكامل، يمدح بها ابن عمار، أولها:

الحبُّ ما منعَ الكلامَ الألسُنا ...... وألذُّ شكوَى عـــاشقٍ ما أعلنا
ليتَ الحبيبَ الهاجري هَجْرَ الكَرى .. من غيرِ جُرْمٍ واصلي صِلةَ الضنى
بنَّا فلَوْ حاوَلْتَنا لم تَدْرِ ما .... ألوانَنا ممـــــــا امتقِعْنَ تَلوُّنا
وتَوَقَّدَتْ أنفاسنا حتَّى لَقدْ .... أشفَقْتُ تحترقُ العــــواذلُ بيننا

إلى أن قال:

طَرِبَتْ مَراكبنا فخلنا أنها ...... لو لا حياءٌ عاقَها رَقَصتْ بنا
أقبلت تبسمُ والجيادُ عوابسٌ .. يخببنَ بالحلق المضاعفِ والقَنا

وبعده البيت، وبعده:

والأمرُ أمرُكَ والقلوبُ خوافقٌ .. في موقفٍ بينَ المنيـــــــةِ والمُنى
فعجبتُ حتَّى ما عجبتُ من الظبا .. ورأيتُ حتَّى ما رأيتُ من السنا

وهي طويلة. والسنابك: جمعُ سنبك - بضمّ أوله وثالثه - وهو طرفُ الحافرِ، والعثير - بكسر أوله - التراب والعجاج، والعَنَقُ - محركه - سيرٌ مستطرد للإبل والدابة.

والشاهد فيه: الغلو المقبول، وهو: ما تضمن معنى حسناً من التخييل، فإنه ادّعى أن الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فوق رؤوسها متراكماً متكاثفاً بحيث صار أرضاً يمكن أن تسير عليها تلك الجياد، وهذا ممتنع عقلاً وعادة، لكنه تخييلٌ حسن.

(٢) البيت للقاضي الأرجاني، من قصيدة من الطويل، يمدح بها شمس الملك عثمان بن نظام الملك، أولها:

أأجفانُ بيضٍ هنَّ أم بيضُ أجفانِ .. فواتِكُ لا تُبْقي على الدَّنِف العاني
صوارمُ عشاقٍ يُقَتِّلْنَ ذا الهوَى ...... ومن دونها أيضاً صوارمُ فرسانِ
مررْتُ بنعمانٍ فما زلتُ واجداً .... إلى الحول نَشْرَ المسكِ من بطن نعمانِ
سَوافر في خضرِ الملاءِ سَوائر ..... كما ماسَ في الأوراق أعطاف أغصانِ
وقد أطلعت وردَ الخدودِ نَواضرا ... ومن دونها شوكُ القنا فَمَنِ الجاني

إلى أن قال:

أي: يوقع في خيالي أن الشهب محكمة بالمسامير لا تزول عن مكانها، وأن أجفان عيني قد شدت بأهدابها إلى الشهب لطول ذلك الليل وغاية سهري فيه. وهذا تخييل حسن ولفظ يخيل يقربه من الصحة ويزيده حسنا.

(ومنها: ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة كقوله:

أسكر بالأمس إن عزمت على ... الشرب غدا إن ذا من العجب[1]

ومنه) أي: ومن المعنوي.

(المذهب الكلامي: وهو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام) وهو أن تكون بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب.

=

وقفتُ بها صبحاً أناشدُ معشَري .. وأُنْشِدُ أشعاري وأنْشُدُ إخواني
ولما توَسمتُ المنازلَ شاقني ...... تذكرُ أيـــــامٍ عهدتُ وإخوانِ
مضَتْ ومَضوا عني فقلتُ تأسُّفاً .. قِفا نبكِ من ذكرى أُناسٍ وأزمانِ
تأوّبني ذكرُ الأحبة طارِقاً .... ولليْلِ في الآفـــــاقِ وقفةُ حيرانِ
وأرّقني والمشرَقيُّ مُضاجِعي ...... سنا بـــــارِقٍ أسْرى فَهَيَّجَ أحزاني
ثلاثةُ أجفانٍ ففي طيّ واحدٍ ..... غِـــــرار وخالٍ من غِرارَيها اثنانِ

وبعده البيت، وبعده:

نظرْتُ إلى البرْق الخفيّ كأنهُ .... حديثٌ مُضاعٌ بينَ سِرّ وإعلانِ
وباتَ له مني وقد طَنّبَ الدُّجَى .. كلُوءُ الليالي طرفهُ غير وَسنانِ

وهي طويلة. والشاهد في البيت: إدخال شيء على الغلو يقربه إلى الصحة، مع تضمنه نوعاً حسناً من التخييل، فإنه يقول: يوقع في خيالي أن الشُّهُبَ محكمة بالمسامير لا تزول عن مكانها، وأن أجفان عيني قد شُدت بأهدابها إلى الشهب لطول سهري في ذلك الليل وعدم انطباقها والتقائها، وهذا ممتنع عقلاً وعادة، ولكنه تخييل حسن، ولفظ يخيل مما يقربه إلى الصحة.

(١) البيت من المنسرح، ولا أعلم من قائله.

والشاهد فيه: إخراج الغلو مخرج الهزل والخلاعة، وهو ظاهر، ومنه قول أبي نواس:

فلما شَربناها ودَبَّ دبيبها .. إلى مَوْضع الأسْرار قلت لها قفي
مَخافة أن يَسطو على شعاعها .. فتُطلِعَ نَدْماني على سِرّيَ الخفي.

(نحو: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]) واللازم وهو فساد السموات والأرض باطل لأن المراد به خروجهما عن النظام الذي هما عليه فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة وهذه الملازمة من المشهورات الصادقة التي يكتفى بها في الخطابيات دون القطعيات المعتبرة في البرهانيات.

(وقوله:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة)

أي: شكا.

(وليس وراء الله للمرء مطلب)

أي: هو أعظم المطالب والحلف به أعلى الاحلاف فكيف يحلف به كاذبا.

(لئن كنت) اللام لتوطئة القسم.

(قد بلغت عنى جناية، لمبلغك) اللام جواب القسم.

(الواشي أغش) من غش إذا خان.

(وأكذب ولكنني كنت امرءا لي جانب. من الأرض فيه أي في ذلك الجانب.

(مستراد) أي: موضع طلب الرزق من راد الكلاء وارتاده.

(ومذهب) أي: موضع ذهاب للحاجات.

(ملوك) أي: في ذلك الجانب ملوك.

(وإخوان إذا ما مدحتهم أحكم في أموالهم) أي: اتصرف فيها كيف شئت.

(وأقرب) عندهم واصير رفيع المرتبة.

(كفعلك) أي: كما تفعله أنت.

(في قوم أراك اصطنعتهم) أي: واحسنت إليهم.

(فلم ترهم في مدحهم لك أذنبوا)(١) أي: لا تعاتبني على مدح آل جفنة المحسنين إلى والمنعمين على كما لا تعاتب قوما أحسنت إليهم فمدحوك إن مدح أولئك لا يعد ذنبا كذلك مدحي لمن أحسن إليَّ.

وهذه الحجة على طريق التمثيل الذي يسميه الفقهاء قياسا. ويمكن رده إلى صورة قياس استثنائي أي لو كان مدحي لآل جفنة ذنبا لكان مدح ذلك القوم لك أيضا ذنبا واللازم باطل فكذا الملزوم.

(منه) أي: ومن المعنوي.

(حسن التعليل) وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف) أي: بأن ينظر نظرا يشتمل على لطف ودقة.

(غير حقيقي) أي: لا يكون ما اعتبر علة له في الواقع كما إذا قلت قتل فلان اعاديه لدفع ضررهم فإنه ليس في شيء من حسن التعليل، وما قيل من أن هذا الوصف أعني غير حقيقي ليس بمفيد لأن الاعتبار لا يكون إلا غير حقيقي فغلط ومنشأه ما سمع أن أرباب المعقول يطلقون الاعتباري على ما يقابل الحقيقي. ولو كان الأمر كما توهم لوجب أن يكون جميع اعتبارات العقل غير مطابق للواقع.

---

(١)الأبيات للنابغة من قصيدته السابقة في أواخر الفن الأول وقبلها:

أتاني وَعيدٌ والتّنائِف بَيننا ..... سخاويُّها والغائِط المتَصوّبُ

فبتُّ كأنَّ العائِداتِ فَرشنني .. هراساً به يعلى فراشي ويُقْشَبُ

والريبة: التهمة، والمستراد: موضع يتردد فيه لطلب الرزق ومتجع من راد الكلأ، ومعنى أقَرَّبُ يجعلونني حكماً في أموالهم مقرباً منهم رفيع المنزلة عندهم.

والشاهد فيها: المذهب الكلامي، وهو: إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، وهو: أن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب، فهو هنا يقول: لا تلمني ولا تعاتبني على مدح آل جَفْنة وقد أحسنوا إلي كما لا تلوم قوماً مدحوك وقد أحسنت إليهم، فكما أن مدح أولئك لك لا يعدُّ ذنباً كذلك مدحي لمن أحسن إلي، وهذه الحجة على صورة التمثيل الذي تسميه الفقهاء قياساً، ويمكن رده إلى صورة قياس استثنائي بأن يقال: لو كان مدحي لآل جفنة ذنباً لكان مدح أولئك القوم لك أيضاً ذنباً، لكن اللازم باطل، فكذا الملزوم، وآل جفنة كانوا ملوك الشام، كما أن آل النعمان كانوا ملوك الحيرة.

(وهو أربعة أضرب لأن الصفة) التي ادعى لها علة مناسبة.

(إما ثابتة قصد بيان علتها أو غير ثابتة أريد اثباتها والأولى إما أن لا يظهر لها في العادة علة) وأن كانت لا تخلو في الواقع عن علة.

(كقوله: لم يحك) أي: لم يشابه.

(نائلك) أي: عطائك.

(السحاب وإنما حمت به) أي: صارت محمومة بسبب نائلك وتفوقه عليها.

(فصبيبها الرحضاء)(١) أي: فالمصبوب من السحاب، هو عرق الحمى فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة لا يظهر لها في العادة علة. وقد علله بأنه عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح.

(أو يظهر لها) أي: لتلك الصفة.

(علة غير) العلة.

(المذكورة) لتكون المذكورة غير حقيقية فتكون من حسن التعليل.

(كقوله:

ما به قتل أعاديه ولكن يتقي ... إخلاف ما ترجو الذئاب(٢)

---

(١) البيت للمتنبي من قصيدة من الكامل، ذكر أولها: في شواهد التشبيه، وبعده قوله:

لم تلقَ هذا الوجه شمسُ نهارنا .... إلاّ بوجهٍ ليسَ فيه حياءُ

فبأيّ ما قدمٍ سعيتَ إلى العلا .... أُدمُ الهلالِ لأخْمُصيكَ حذاءُ

ولكَ الزمانُ من الزمانِ وقايةٌ .... ولكَ الحِمام من الحِمام فداءُ

لو لم تكن من ذا الوَرى الّذْمنك هو .. عقمت بِمولدِ نسلها حوّاءُ

والنائل: العطاء، والرحضاء: العرق أثر الحمى.

والشاهد فيه: حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة، وقد عللها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح.

(٢) البيت للمتنبي، من قصيدة من الرمل؛ قالها في بدر بن عمار ارتجالاً، وهو على الشراب،

إنما بدرُ ابن عمارٍ سحابُ .. هَطِلٌ فيهِ ثوابٌ وعقابُ

فإن قتل الأعداء في العادة لدفع مضرتهم) وصفوة المملكة عن منازعتهم.

(لا لما ذكره) من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبة صدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعاديه لما علم من أنه إذا توجه إلى الحرب صارت الذئاب ترجوا اتساع الرزق عليها بلحوم من يقتل من الأعادي.

وهذا مع أنه وصف بكمال الجود وصف بكماله الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم.

(والثانية) أي: الصفة الغير الثابتة التي أريد اثباتها.

(إما ممكنة كقوله:

يا واشيا حسنت فينا إساءته ... نجى حذارك)

أي: حذاري إياك.

(إنساني) أي: إنسان.

(عيني من الغرق[1] فإن استحسان اساءة الواشي ممكن لكن لما خالف) أي: الشاعر.

=

إنما بدرٌ رَزايا وعطايا ...... ومنايا وطعـــــانٌ وضرابُ

ما يجيلُ الطرف إلاَّ حمدتهُ .. جَهْدَها الأيدي وذمتهُ الرقابُ

وبعده البيت، وبعده:

فلهُ هيبة مَنْ لا يرتجي .. ولهُ جود مُرَجَّى لا يهابُ

والشاهد فيه: ظهور علة لصفة غير علتها الحقيقية، فلا يكون من حسن التعليل؛ فإن قتال الأعداء في العادة: إنما يكون لدفع مضرتهم، لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبة تصديق رجاء آمليه بعثه على قتل أعدائه، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب ترجو سعة الرزق من قتلاه وهذا مبالغة في وصفه بالجود، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي: أي تناهى في الشجاعة، حتَّى ظهر ذلك للحيوانات العجم من الذئاب وغيرها، فإذا غدا للحرب رَجَتْ أن تنال من لحوم أعدائه، ويتضمن أيضاً مدحه بأنه ليس ممن يُسرف في القتل طاعة للغيظ والحنق، أي ليست قوته الغضبية متصلة برذيلة الإفراط، ويتضمن أيضاً قصور أعدائه عنه، وفرط أمنه منهم، وأنه لا يحتاج إلى قتلهم واستئصالهم.

(١)البيت لمسلم بن الوليد، من قصيدة من البسيط، لم أقف منها إلاَّ على هذه الأبيات:

إني أصدُّ دموعاً لَجَّ سائقها .. مطروفة العين بالمَرْضَى من الحدقِ

(للناس فيه) إذ لا يستحسنه الناس.

(عقبه) أي: عقب الشاعر استحسان إساءة الواشي.

(بأن حذاره منه) أي: من الواشي.

(نجى إنسانه من الغرق في الدموع) حيث ترك البكاء خوفا منه.

(أو غير ممكنة كقوله:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته ... لما رأيت عليها عقد منتطق[1]

من انتطق أي شد النطاق، وحول الجوزاء كواكب يقال لها نطاق الجوزاء فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها كذا في الإيضاح.

=

إيه فإن النوى وافت مصيبته .. مولَّعَ القلب بين الشوق والقلقِ
ما كلّ عاذلةٍ تُصْغي له أُذني .. وقد سمعت على الإكراه فانطلقِ
فما سلوت الهوى جهلاً بلذتِه .. ولا عصيت إلهَ الحلم عن خرقِ

والمراد بالإنسان هنا: إنسان العين.

والشاهد فيه: إثبات صفة ممكنة لموصوف، فإن استحسان إساءة الواشي شيء ممكن، لكن لما خالف الناس فيه عَقَّبه بأن حذاره منه نجى إنسان عينه من الغرق في الدموع حيث ترك البكاء خوفاً منه.

وقد تشبث القاضي السعيد بن سناء الملك بأذيال مسلم بن الوليد.

(١) البين من البسيط، وهو مترجم من الفارسيَّة. والجوزاء: برج في السَّماء، والانتطاق: شد المنطقة، ونطاق الجوزاء: كواكب حولها. والشاهد فيه: إثبات صفة غير ممكنة لموصوف، فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها له. ومثله قول التهامي:

لو لمْ يكنْ أقْحواناً ثَغْرُ مبسمها .. ما كانَ يزْدادُ طِيباً ساعَةَ السَّحَرِ

وقوله أيضاً:

لو لمْ تَكُنْ ريقَتُهُ خَمْرَةً .. لما تثنَّى غُصْنُهُ وهوَ صاحٍ

وقول الأمير مجير الدين بن تميم في مليح وقاد:

لامُوا على الوَقَّادِ في حُسْنِهِ .. وحُبُّـــهُ باللَّوْمِ يزْدادُ
لو لمْ يَكُنْ في حُسْنِهِ كوْكَباً .. ما كانَ أمْسَى وهوَ وَقَّادُ

والشاهد فيه: التعليل على سبيل الشك، فإنَّه علَّل شاكًّا نزولَ المطر من السَّحاب بأنَّها غيِّبت تحت تلك الربا حبيباً فهي تبكي عليه.

وفيه بحث؛ لأن مفهوم هذا الكلام هو أن نية الجوزاء خدمة الممدوح علة لرؤية عقد النطاق عليها أعني لرؤية حالة شبيهة بانتطاق المنتطق كما يقال لو لم تجئني لم أكرمك يعني أن علة الإكرام هي المجيء، وهذه صفة ثابتة قصد تعليلها بنية الخدمة الممدوح فيكون من الضرب الأول وهو الصفة الثابتة التي قصد علتها.

وما قيل: من أنه أراد أن الانتطاق صفة ممتنعة الثبوت للجوزاء وقد أثبتها الشاعر وعللها بنية الجوزاء خدمة الممدوح فهو مع أنه مخالف بصريح كلام المصنف في الإيضاح ليس بشيء لأن حديث انتطاق الجوزاء أعني الحالة الشبيهة بذلك ثابت بل محسوس.

والأقرب: أن يجعل لو ههنا مثلها في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا أعني الاستدلال بانتفاء الثاني على أنتفاء الأول فيكون الانتطاق علة لكون نية الجوزاء خدمة الممدوح أي دليلا عليه وعلة للعلم مع أنه وصف غير ممكن.

(وألحق به) أي: بحسن التعليل.

(ما بني على الشك) ولم يجعل منه لأن فيه ادعاء وإصرارا والشك ينافيه.

(كقوله: كأن السحاب الغر) جمع الأغر والمراد السحاب الماطرة الغريزة الماء.

(غيبن تحتها) أي: تحت الربا.

(حبيبا فما ترقا) الأصل ترقاء بالهمزة فخففت أي ما تسكن.

(لهن مدامع)[1] علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبيبا تحت تلك الربا فهى تبكى عليها..

---

(١) البيت لأبي تمّام الطائي، من قصيدة من الطويل يمدح بها قومه طيئاً:

كأنَّ السَّحابَ الغُرَّ غَيَّبنَ تَحْتَها .. حَبيباً فَما تَرْقَا لهنَّ مدَامِعُ

أوَّلها:

أَلا صَنَعَ البيْن الذي هوَ صانِعُ .. فإنْ تَكُ مِجْزاعاً فما البَيْنُ جازِعُ
هُوَ العامُ من أسماء والعامُ رابعٌ .. لهُ بِلِوَى خَبْتٍ فهلْ أَنْتَ رابعُ
إلا أن صَدْري من عَزائِي بَلْقَعُ .... عشيَّةَ شاقَتْني الدِّيارُ البَلاقِعُ

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(التفريع وهو أن يثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته) أي: إثباته ذلك الحكم.

(لمتعلق له آخر) على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب وهو احتراز عن نحو غلام زيد راكب وأبوه راكب.

(كقونه:

أحلامكم لسقام الجهل شافية ... كما دماؤكم تشفي من الكلب)[1]

هو بفتح اللام شبه جنون يحدث للإنسان من عض الكلب، إذ لا دواء له أنجع من شرب دم ملك، كما قال الحماسي:

بنات مكارم وأساة كلم ... دماؤكم من الكلب الشفاء

ففرع على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل، وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب يعني أنهم ملوك واشراف وأرباب العقول الراجحة.

=

وبعده البيت، وبعده:

رُباً شَفَعَتْ ريحُ الصَّبا لرِياضِها .. إلى الغَيْثِ حتَّى جادَها وهوَ هامِعُ
فبشْرِ الضُّحى غَدَوْا لهنَّ مُضاحكٌ .. وجَنْبُ النَّدَى ليلاً لهنَّ مُضاجِعُ
كَسَاكَ من الأنوارِ أبيضُ ناصِعٌ .. وأصفَرُ فقَّاعٌ وأحمرُ سَاطِعُ
لئنْ كانَ أمْسَى شَمْلُ وحْشِكَ جامِعاً .. لقدْ كانَ لي شَمْلٌ بأُنْسِكَ جامِعُ

وهي طويلة. والسحاب الغر: جمع أغر، وهي الماطرة الغزيرة الماء، والضمير في تحتها راجع للديار في البيت الذي قبله. والشاهد فيه: التعليل على سبيل الشك، فإنَّه علَّل شاكًّا نزولَ المطر من السَّحاب بأنَّها غيَّبت تحت تلك الربا حبيباً فهي تبكي عليه.

(١) البيت للكميت الشاعر، من قصيدة من البسيط، أولها:

هَلْ للشبابِ الذي قد فاتَ من طلب .. أمْ ليسَ غابرُهُ الماضي بمنقلبِ
دَعِ البكاءَ على ما فاتَ مَطلبهُ .... فالدَّهرُ يأتي بألــــوانٍ منَ العجبِ

والأحلام: جمع حلم - بالكسر - وهو الأناة والعقل، والكَلَبُ: جنون الكلاب المعتري من أكل لحم إنسان، وشبه جنونها المعتري للإنسان من عضها، أو هو داء لا يصبر الإنسان معه عن الأكل ساعة واحدة، ولا دواء له أنجح من شرب دم ملك. قال ابن الأعرابي: كانت العرب تقول: من أصابه الكَلَبُ والجنون لا يبرأ منه، إلا أن يسقى من دم ملك، فهو يقول: إن ممدوحيه أرباب العقول الراجحة ملوكٌ وأشراف.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو ضربان أفضلها أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح) لذلك الشيء.

(بتقدير دخولها فيها) دخول صفة المدح في صفة الذم.

(كقوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول)

جمع فل، وهو الكسر في حد السيف.

(من قراع الكتائب)(١)

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، من قصيدة من الطويل، يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر حين هرب من النعمان بن المنذر اللخمي من الحيرة، وأوّلها:

كِليني لِهَمٍّ يا أُميمَةُ ناصِبِ .. ولَيْلٍ أُقاسيهِ بَطيءُ الكَواكِبِ
تَطاوَلَ حتّى قُلْتُ ليسَ بمنقَضٍ .. وليسَ الذي يَرْعى النُّجوم بآيِبِ
وصَدْرٍ أَناخَ اللَّيْلُ عَارِبَ هَمِّهِ .. تَضاعَفَ فيهِ الهَمُّ من كلِّ جانِبِ
عليَّ لِعَمْرٍ ونِعمةٌ بعدَ نعمةٍ .. لوالِدِهِ ليستْ بذاتِ عَقارِبِ
حَلَفْتُ يَميناً غيرَ ذي مَثْنَوِيَةٍ .. ولا عِلمَ إلاّ حُسْنُ ظنٍّ بصاحِبِ
لئنْ كانَ للقَبْرينِ قبرٍ بجلَّقٍ .. وقبرٍ بصَيْداء الذي عِندَ حارِبِ
وللحارثِ الجفني سَيِّدِ قَوْمِهِ .. لَيَلْتمسن بالجَيْشِ دارَ المُحارِبِ

ومنها:

فَهُمْ يتساقَوْنَ المنِيَّة بينَهُم .. بأَيديهِمُ بيضٌ رِقاقُ المَضارب
يطيرُ فُضاضاً بينَها كلُّ قَوْنس .. ويَتْبعُها منهُمْ فَراشُ الحواجب

وبعده البيت، وبعده:

تُوُرِّثْنَ من أَزمانِ يومَ حليمةٍ .. إلى اليومِ قدْ جرّبن كلّ التَّجارِبِ

إلى أن قال فيها:

هُمْ شيمَةٌ لمْ يُعْطِها الله غيرَهُمْ .. منَ الجودِ والأحلامُ غيرُ عوازِبِ
مَحَلَّتُهُمْ ذاتُ الإِله ودِينهمْ .. قويمٌ فما يرجونَ غيرَ العَواقِبِ
رِقاقُ النِّعالِ طيبٌ حجزَاتهمْ .. يحيونَ بالرّيحانِ يومَ السباسِبِ

والفلول: جمع فل، وهو الثلم، وقراع الكتائب: مضاربة الجيوش.

أي مضاربة الجيوش.

(أي: إن كان فلول السيف من القرع عيبا فأثبت شيئا منه) أي: من العيب.

(على تقدير كونه منه) أي: كون فلول السيف من العيب.

(وهو) أي: هذا التقدير وهو كون الفلول من العيب.

(محال) لأنه كناية عن كمال الشجاعة.

(فهو) أي: إثبات شيء من العيب على هذا التقدير.

(في المعنى تعليق بالمحال) كما يقال: حتى يبيض الفار، وحتى يلج الجمل في سم الخياط.

(فالتأكيد فيه) أي: في هذا الضرب.

(من جهة أنه كدعوى الشيء ببينة) لأنه علق نقيض المدعى وهو إثبات شيء من العيب بالمحال والمعلق بالمحال محال فعدم العيب محقق.

(و) من جهة.

(أن الأصل في) مطلق.

(الاستثناء) هو.

(الاتصال) أي: كون المستثنى منه بحيث يدخل فيه المستثنى على تقدير السكوت عنه. وذلك لما تقرر في موضعه من أن الاستثناء المنقطع مجاز وإذا كان الأصل في الاستثناء الاتصال.

=

والشاهد فيه: تأكيد المدح بما يشبه الذم، كأنه قال: ولا عيب في هؤلاء القوم أصلاً إلاّ هذا العيب، وهو فلول أسيافهم من المقارعة والمضاربة، وهذا ليس بعيب، بل هو نهاية المدح، فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم، لأنَّ قوله: غيرَ أنَّ سيوفهم يوهم أنَّ ما يأتي بعده ذمّ، فإذا كان مدحاً فقد تأكّد المدح.

ويروى أنَّ عُرْوَةَ بن الزبير رضي الله عنه سأل عبد الملك بن مروان أن يردّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما! فأخرجه إليه في سيوف مُنتَضَاة، فأخذه عُرْوَة رضي الله عنه من بينها، فقال له عبد الملك: بم عرفته؟ فقال: بقول النابغة، وأنشده البيت.

obeikandl.com

(فذكر أداته قبل ذكر ما بعدها) يعني المستثنى.

(يوهم إخراج شيء) وهو المستثنى.

(مما قبلها) أي: مما قبل الأداة وهو المستثنى منه.

(فإذا وليها) أي: الأداة.

(صفة مدح) وتحول الاستثناء من الاتصال إلى الانقطاع.

(جاء التأكيد لما فيه من المدح على المدح والإشعار بأنه لم يجد فيه صفة ذم حتى يستثنيها فاضطر إلى استثناء صفة مدح) وتحويل الاستثناء إلى الانقطاع.

(و) الضرب.

(الثاني) من تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(أن يثبت لشيء أداة الاستثناء) أي: يذكر عقيب إثبات صفة المدح لذلك الشيء أداة استثناء.

(تليها صفة مدح أخرى له) أي: لذلك الشيء.

(نحو: "أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ، بِيَدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ"[1]) بيد بمعنى غير وهو أداة الاستثناء.

(وأصل الاستثناء فيه) أي: في هذا الضرب.

(أيضا أن يكون منقطعا) كما أن الاستثناء في الضرب الأول منقطع لعدم دخول المستثنى في المستثنى منه. وهذا لا ينافي كون الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال.

(لكنه) أي: الاستثناء المنقطع المنقطع في هذا الضرب.

(لم يقدر متصلا) كما قدر في الضرب الأول إذ ليس هنا صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها. وإذا لم يكن تقدير الاستثناء متصلا في هذا الضرب.

---

(١) ذكره الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة ج١/ ٥٣، وقال: قَالَ السُّيُوطِيُّ : أَوْرَدَهُ أَصْحَابُ الْغَرَائِبِ، وَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَرَّجَهُ وَلَا إِسْنَادُه .

(فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني) وهو أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى يوهم إخراج شيء مما قبلها من حيث أن الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد ولا يفيد التأكيد من الوجه الأول وهو دعوى الشيء ببينة لأنه مبنى على التعليق بالمحال المبنى على تقدير الاستثناء متصلا.

(ولهذا) أي: ولكون التأكيد في هذا الضرب من الوجه الثاني فقط.

(كان) الضرب.

(الأول) المفيد للتأكيد من وجهين.

(أفضل ومنه) أي: ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(ضرب اخر) وهو أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمولا لفعل فيه معنى الذم نحو قوله تعالى.

(﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾[الأعراف: ١٢٦]) أي: ما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان. يقال نقم منه وانتقم إذا عابه وكرهه وهو كالضرب الأول في إفادة التأكيد من وجهين.

(والاستدراك) المفهوم من لفظ لكن.

(في هذا الباب) أي: باب تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(كالاستثناء كما في قوله:

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا ... سوى أنه الضرغام لكنه الوبل[1]

---

(١) البيت لبديع الزمان الهمذاني، من قصيدة من الطويل، يمدح بها خلف بن أحمد السجستاني أوّلها:

سَماءَ الدُّجَى ما هذه الحدقُ النُّجل .. أَصَدْر الدُّجَى حال وجِيدُ الضُّحَى عطلُ

وفيها يذكر أباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره، والبحث عن وطنه ووطره، حيث قال:

يُذَكِّرُني قُرْب العراق وَديعةً .. لدَى الله لا يُسليهِ مــالٌ ولا أَهْلُ

إِذا وَرَدَ الحجَّاجُ وَافَى رفاقَهُمْ .. بِفَوَّارتي دَمْعٍ هُما النَّجل والسَّجْلُ

يُسائِلُهُمْ أينَ ابنهُ أينَ دارُهُ .. إلى مَ انتهى لِمِ لمْ يَعُدْ هــلْ لهُ شُغْلُ

أَضاقَتْ له حالٌ أَطالَتْ له يَدٌ .. أَأَخَّرَهُ نَقْصٌ أَقَــدَّمهُ فَضْلُ

obeikandi.com

فقوله: إلا وسوى استثناء مثل قوله: "بِيَدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ".

وقوله: لكنه استدراك يفيد فائدة الاستثناء المنقطع في هذا الضرب لأن إلا في الاستثناء المنقطع بمعنى لكن.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(تأكيد الذم بما يشبه المدح وهو ضربان أحدهما أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم له بتقدير دخولها) أي: صفة الذم.

(فيها) أي: في صفة المدح.

(كقولك: فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه، وثانيهما: أن يثبت للشيء صفة ذم وتعقب بأداة استثناء يليها صفة ذم أخرى له) أي: لذلك الشيء.

(كقولك فلان فاسق إلا أنه جاهل) فالضرب الأول يفيد التأكيد من وجهين، والثاني من وجه واحد.

(وتحقيقها على قياس ما مر) في تأكيد المدح بما يشبه الذم.

=

يقولونَ وَافَى حضرَةَ الملكِ الَّذي .. له الكَنَفُ المأمولُ والنائِلُ الجزلُ
وفاضَتْ عليه دِيمةٌ خَلَفِيَّةٌ .. بها للغَـــــوادِي عن ولايتِها عزْلُ
يُذكِّرُهُمْ بالله إلاَّ صَدَّقْتُمُو .. لـــــــديَّ أجِدٌّ ما تقولونَ أم هَزْلُ
سلَوْنا للقَيالِ الملوكَ وإنَّما ...... بمثلِكَ عن أمثالهم مثلنا يَسْلُو
ولَمَّا بَلَوْناكم تَلَوْنا مَديحكُم .. فيا طِيبَ ما نبلو ويا صِدْقَ ما نَتْلو
فِدًى لكَ من أبناءِ دهركَ مَنْ غدَا .. فلا قَوْلُهُ علمٌ ولا فعلهُ عَدْلُ
أيا ملكاً أدنى مناقبِهِ العلا .... وأيْسَرُ ما فيهِ السَّمَاحَةُ والبَذْلُ

وبعده البيت، وبعده:

مَحاسِنُ يُبْدِيها العيانُ كمَا تَرَى .. وإن نحنُ حَدَّثْنا بها دفع العقلُ

وهي طويلة، وقد مضى طرف منها في مراعاة النظير. والضرغام: الأسد، والوبل: المطر الشديد الضخم القطر، ومثله الوابل. والشاهد فيه: أنَّ الاستدراك الدال عليه لفظ لكن في باب تأكيد المدح بما يشبه الذم الاستثناء في إفادة المراد، فالأوّلانِ استثناآن، وقوله لكنه استدراك يفيد ما يفيده هذا الضرب من الاستثناء لأنَّه استثناء منقطع و إلاَّ فيه بمعنى لكن.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الاستتباع: وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر كقوله:

نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك خالد[1]

مدحه بالنهاية في الشجاعة) حيث جعل كثرة قتلاه بحيث يخلد لو ورث اعمارهم.

(على وجه استتبع مدح بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها) إذ لا تهنئة لاحد بشيء لا فائدة له فيه.

قال على بن عيسى الربعي:

(وفيه) أي: في البيت وجهان آخران من المدح أحدهما.

(أنه نهب الأعمار دون الأموال) كما هو مقتضى علو الهمة وذلك مفهوم من تخصيص الأعمار بالذكر والإعراض عن الأموال، مع أن النهب بها أليق وهم يعتبرون ذلك في المحاورات والخطابيات، وإن لم يعتبره أئمة الأصول.

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الطويل، تقدَّم ذكر مطلعها، وطرف منها في شواهد المقدمة، ومنها قبل البيت:

أَخُو غَزَواتٍ لا تغبُّ سيوفُهُ .. رقابَهُمْ إلاَّ وسيحــانُ جامِدُ
فلمْ يبقَ إلاَّ من حَمَاهَا من الظبا .. لَمى شفتيها والثديُّ النواهِدُ
تبكي عليهنَّ البطاريقُ في الدُّجَى .. وهنَّ لدينا مُلْقَيَاتٌ كواسد
بذا قَضَت الأيَّامُ ما بين أهلها .. مصائبُ قومٍ عنــد قوم فوائِدُ
ومن شرف الأقدامِ أنَّكَ فيهُمُ .. على القتلِ مومُوقٌ كأنَّكَ شاكِدُ
وإنَّ دماً أجريتهُ بك فاخِرٌ .. وأنَّ فؤاداً رُعْتَهُ لكَ حــــامِدُ
وكلٌّ يرَى طُرقَ الشجاعَةِ والندَى .. ولكنَّ طبع النَّفْس للنفس قائِدُ

وبعده البيت، وبعده:

فأنتَ حسامُ الملكِ واللهُ ضارِبٌ .. وأنتَ لواءُ الدِّينِ والله عاقِدُ

والشاهد فيه الاستتباع، وهو: المدح بشيء يستتبع المدح بشيء على وجه آخر، فإنَّ وصفه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدُّنيا، حيث جعلها مهنأة بخلوده، وفيه وجهان آخران: أحدهما: أنَّه نهب الأعمار دون الأموال، وهذا ينبئ بعلو الهمَّة، كما قال الشاعر:

إنَّ الأُسودَ أُسودَ الغَابِ همتها .. يومَ الكَرِيهَةِ في المَسْلوبِ لا السلبِ

والثاني: أنَّه لم يكن ظالماً في قتلهم، إذ لو كان كذلك لما كان لأهل الدنيا سرور بخلوده.

(و) الثاني.

(أنه لم يكن ظالما في قتلهم) وإلا لما كان للدنيا سرور بخلوده.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الإدماج) فقال ادمج الشيء في ثوبه إذا لفه فيه.

(وهو: أن يضمن كلام سيق لمعنى) مدحا كان أو غيره.

(معنى آخر) هو منصوب على أنه مفعول ثان ليضمن وقد أسند إلى المفعول الأول.

(فهو) لشموله المدح وغيره.

(أعم من الاستتباع) لاختصاصه بالمدح.

(كقوله: أقلب فيه) أي: في ذلك الليل.

(أجفاني كأني ... أعد بها على الدهر الذنوبا[1])

---

(١)البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة من الوافر يمدح بها علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي، أوَّلها:

ضُروبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوباً .. فأعـذرُهُمْ أشقُّهمْ حَبيبَا
وما سَكني سِوَى قَتْلِ الأَعادِي .. فهلْ من زَوْرَةٍ تَشْفي القُلُوبَا

إلى أن قال في وصف اللَّيل:

أعَزمي طالَ هذا اللَّيل فانْظُرْ .. أمِنكَ الصُّبح يَفرَق أن يَؤوبَا
كأَنَّ الفَجْر حِبٌّ مستزارٌ .. يراعي من دُجُنَّتـه رَقيبَا
كأَنَّ نُجومَهُ حَلْيٌ عليهِ .. وقدْ حذيتْ قوائمـه الجَبوبَا
كأَنَّ الجوَّ قاسَى ما أُقاسِي .. فصارَ سَـوَاده فيهِ شُحوبَا
كأَنَّ دجَاه يجذبها سهادِي .. فليسَ تَغـيبُ إلا أن يَغِيبَا

وبعده البيت، وبعده:

وما ليلٌ بأَطوَلِ مِنْ نَهار .. يظلُّ بلَحْظِ حسَّادِي مريبَا
وما موتٌ بأَبْغَضَ من حياةٍ .. أَرَى لَهُمْ مَعي فيها نَصيبَا
عرفت نَوائِبُ الحَدَثانِ حتَّى .. لو انْتَسَبَتْ كنتُ لَها نَقيبَا

وهي طويلة.

والشاهد فيه: الإدماج، وهو: أن يضمِّن كلاماً سيق لمعنى – مدحاً كان أو غيره – معنى آخر، فهنا ضمّن وصف الليل بطول الشكاية من الدهر.

فإنه ضمن وصف الليل بالطول لشكاية الدهر ومنه) أي: ومن المعنوي.

(التوجيه) ويسمى محتمل الضدين.

(وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين) أي: متباثنين متضادين كالمدح والذم مثلا ولا يكفى مجرد احتمال معنيين متغايرين.

(كقول من قال:

لأعور ليت عينيه سواء[1]

يحتمل تمنى صحة العين العوراء فيكون دعاء له والعكس فيكون دعاء عليه.

قال (السكاكي: ومنه) أي: ومن التوجيه.

(متشابهات القرآن باعتبار) وهو احتمالها لوجهين مختلفين وتفارقه باعتبار آخر، وهو عدم استواء الاحتمالين لأن أحد المعنيين في المتشابهات قريب والآخر بعيد ولما ذكر السكاكي

---

(١)قيل: إن قائله بشار بن برد، وهو من الرمل، وقبله:

خاطَ لي عَمرٌو قَباء

وبعده:

قلتُ شعراً لَيْسَ يُدْرى .. أمَديح أم هجاء

يروى أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو أو زيد كما في تحرير التحبير فقال له الخياط على سبيل العبث به: سآتيك به لا تدري أهو قباء أو دواج، فقال له: إن فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتاً لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم عليك، ففعل الخياط، فقال هذا البيت.

ومثله ما حكاه ميمون بن هارون قال: تقدم جعيفران الموسوس إلى يوسف الأعور القاضي بسر من رأى في حكومة في شيء كان في يده من وقف له، فدفعه عنه وقضى عليه، فقال له: أراني الله أيها القاضي عينيك سواء، فأمسك عنه، وأمر برده إلى داره، فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم، ثمَّ دعا به فقال له: ماذا أردت بدعائك أردت أن يرد الله عليّ من بصري ما ذهب؟ فقال له: والله لئن كنت وهبت لي هذه الدراهم لأستحي منك إنك لأنت المجنون، لا أنا، أخبرني كم من أعور رأيته عمي؟ قال: كثير، قال: فهل رأيت أعور صح قط؟ قال: لا، قال: فكيف توهمت على الغلط؟ فضحك منه وصرفه.

والشاهد في البيت التوجيه: وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين، فهنا يحتمل تمني العوراء صحيحة وعكسه.

نفسه من أن أكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية والإيهام، ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو أن المعنيين في المتشابهات لا يجب تضادهما.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الهزل الذي يراد به الجد كقوله:

إذا ما تميمي أتاك مفاخرا ... فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب[١]

ومنه) أي: ومن المعنوي.

(تجاهل العارف وهو كما سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة) وقال: لا أحب تسميته بالتجاهل لوروده في كلام الله تعالى.

(كالتوبيخ في قول الخارجية: أيا شجر الخابور) هو من ديار بكر.

(مالك مورقا) أي: ناضرا ذا ورق.

(كأنك لم تجزع على ابن ظريف[٢]

---

(١) البيت لأبي نُواس من قصيدة من الطويل، يهجو تميماً وأسداً، ويفتخر بقحطان، أوّلها:

أَلا حَيِّ أَطْلالاً بسيحانَ فالعذبِ .. إلى مُرَعٍ فالبِتْرِ بِتْرِ أبي رُغبِ

تَمَشَّى بها عُفْرُ الظِّباءِ كأَنَّها .. أَخاريدُ من رُومٍ يُقَسَّمْنَ في نَهْبِ

عليها من السَّرحاءِ ظلٌّ كأَنَّهُ .. هذا ليلُ ليلٍ غيرِ مُنْصَرِمِ النحْبِ

تلاعب أبكارَ الغمامِ وتنتمي .. إلى كلِّ زحلـوق وخالفة صعبِ

منازل كانت من حذامٍ وفَرْتَنَا .. وتربيبها هندٍ فناهيكَ من تربِ

وبعده البيت، وبعده:

تُفاخِرُ أبناء الملوكِ سفاهَةً .. ولكَ يَجْري فوقَ ساقكَ والكَعْبِ

إذا ابتدَرَ النَّاسُ الفعال فخذْ عصًى .. ودَعدعْ بمعزى يا ابن طالقةِ الذَّرْبِ

وهي طويلة. والشاهد فيه: الهزل الذي يراد به الجد، فإن سؤال التميمي عن أكله الضب في معنى الاستهزاء، وإذا تأملته في الحقيقة فهو جدّ، لأن تميماً يكثرون من أكل الضب ويُعَيَّرون به.

(٢) البيت لليلى بنت طريف الشيباني، ترثي أخاها الوليد بن طريف، من أبيات من الطويل:

بتلِّ نباتي رَسْمُ قبر كأنه .. على عَلَـــم فوق الجبال منيفِ

تَضَمَّنَ جوداً حاتمياً ونائلاً .. وسوْرَة مقدام وقلب حصيفِ

ورأيت في تاريخ ابن خلكان هذا البيت على غير هذا الوضع، وهو:

((والمبالغة في المدح كقوله:

تضمّن مجداً عُليّاً وسودداً .. وهمّة مقدام، ورأي حصيف

وبعده البيت وبعده:

فتى لا يحب الزاد إلا من التُّقى .. ولا المال إلاَّ من قناً وسيوفِ

وآخرها:

عليك سلامُ الله وقفاً فإنّني .. أرى المَوْتَ وَقاعاً بكلِّ شَريفِ

وكان الوليد بن طريف هذا رأس الخوارج وأشدَّهم بأساً وصولةً، وأشجعهم. وكان من بالشماشية لا يأمن طروقَهُ، واشتدّت شوكته، وطالت أيّامه، فوجه إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني، فجعل يخاتله ويماكره، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد، فأغروا به الرشيد، وقالوا: إنَّه يتجافى عنه للرحم، وإلا فشوكة الوليد يسيرة، وهو يواعده، وينتظر ما يكون من أمره، فوجَّه إليه الرشيد كتاب مُغْضَب يقول فيه: لو وجهت أقل الخدم لقام بأكثر مما تقوم به أنت، ولكنك مُداهن متعصب، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهنَّ إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين، فلقي الوليد عشية خميس في شهر رمضان، فيقال: إنَّ يزيد جهد عطشاً حتّى رمى بخاتمه في فِيه، وجعل يلوكه ويقول: اللهم إنها شدَّة شَديدة، فاسترها، وقال لأصحابه: فداكم أبي وأُمي! إنّما هي الخوارج، فإنَّهم إِذا انهزموا لو يرجعوا، وكان كما قال، حملوا حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه، ثمَّ حمل عليهم فانكشفوا، واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة، فاحتزَّ رأسه، وكان الوليد خرج إليهم حين خرج، وهو يرتجز ويقول:

أنا الوليدُ بن طريف الشَّارِي .. قسوَرَة لا يُصْطَلى بنارِي

جَوْرُكُمُ أَخرَجَني من دارِي

فلما وقع فيهم السيف وأخذ رأس الوليد صبحتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدة على الدرع والجوشن، فجعلت تحمل على الناس، فعُرِفت، فقال يزيد: دعوها، ثمَّ خرج إليها فضربَ قَطَاة فرسها، ثمَّ قال لها: اغرُبي، غرّب الله عليك، فقد فضحتِ العشيرة، فاستحيت وانصرفت، وهي تقول الأبيات، وكان ذلك في سنة تسع وسبعين ومائة.

ولمّا انصرف يزيد بالظَّفر حُجب برأي البرامكة، وأظهر الرشيد السخط عليه، فقال: وحقّ أمير المؤمنين لأصيفنَّ ولأشتونَّ على فرسي أو أدخل، فارتفع الخبر بذلك، فأذن له، فدخل، فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسُرَّ وأقبل يصيح: مرحباً بالأعرابي، حتَّى دخل وأجلس، وأكرم، وعرف بلاؤه ونقاءُ صدره، ومدحه الشعراء بذلك.

والخابور نهر بين رأس العين والفرات يصب إليه.

والشاهد في البيت: تجاهل العارف، وسماه السكاكيّ: سوق المعلوم مساق غيره، وهي هنا توبيخ، فإنها تعلم أنَّ الشجر لا يجزع على ابن طريف لكنها تجاهلت واستعملت كأن الدالَّة على الشك، والله أعلم.

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح   أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي(١)

أي: أظن.

(أو) المبالغة (في الذم كقوله:

وما أدري وسوف إخال أدري)

أي: أظن وكسر همزة المتكلم فيه هو الأفصح، وبنو أسد تقول أخال بالفتح وهو القياس.

(أقوم آل حصن أم نساء)(٢)

---

(١) البيت للبحتري، وهو من أول قصيدة من البسيط، يمدح بها الفتح ابن خاقان، ويعده:

يا بؤسَ نفسٍ عليها جِدّ آسفةٍ .. وشجوَ قلبٍ إليها جدّ مرتاحِ
يهتزُّ مثل اهتزازِ الغصنِ أتعبهُ ..... مرورُ غيثٍ منَ الوَسْمِيّ سَحَّاحِ
ويرجعُ اللَّيلُ مبيَضًّا إذا ابتسَمَتْ .. عنْ أبيضٍ خَصِرِ السمطين لماحِ
وَجَدت نفسكَ من نفسي بمنزلةٍ ...... هي المُصافاةُ بين الماءِ والرَّاحِ
أثني عليكَ بأنّي لم أجدْ أحَداً ..... يلحي عليكَ، وماذا يزعمُ اللاَّحي
وليلَةِ القصرِ والصَّهباء قاصرَةٌ .. للهوِ بينَ أباريـــــــقٍ وأقْداحِ
حييتُ خَدَّيكَ بلْ حييتُ من طَرَبٍ .. وَرْداً بـــــوَرْدٍ، وتُفَّاحاً بتفَّاحِ

وهي طويلة، ومنها في المَخْلَصِ:

كمْ نظرَةٍ في جبالِ الشَّامِ لو نظرَتْ ..... رَوَت غليلَ فؤادٍ منكَ مُلتاحِ
والعِيسُ ترمي بأيديها على عَجَلٍ .. في مهمهٍ مثلَ ظَهْرِ الترسِ رَحْراحِ
تُهْدي إلى الفتحِ، والنُّعمى بذاكَ لهُ .. مَدحـــــاً يقصِّرُ عنهُ كلّ مَدَّاحِ

والضاحي: الظاهر. والشاهد في هذا البيت: تجاهل العارف للمبالغة في المدح، فإنّه بالغ في مدح ابتسامها، بحيث لم يفرق بينه وبين لمع البرق وضوء الصباح كما هو ظاهر.

(٢) هو من الوافر، وصدره:

وما أَدْري وسوفَ إخَالُ أدْرِي

وقائله زهير بن أبي سُلْمَى، من قصيدة طويلة، قالها في هجاء بيت من كلب من بني عليم، وكان بلغه عنهم شيء، وكان رجل من بني عبد الله لبن غطفان أتي بني عليم، فأكرموه لمّا نزل بهم، وأحسنوا جواره وواسوه. وكانَ رجلاً مولعاً بالقمار، فنهوه عنه، فأبى إلاّ المقامرة، فقمِرَ مرَّة فردُّوه عليه، ثمَّ قمر أُخرى فردُّوه عليه،

فيه دلالة على أن القوم هم الرجال خاصة.

(والتدله) أي: وكالتحير والتدهش.

(في الحب في قوله: تالله يا ظبيات القاع) وهو المستوي من الأرض.

(قلن لي ليلاي منكن أم ليلى من البشر)(١)

=

ثمّ قمر الثالثة، فلم يردُّوه عليه، فترحَّل عنهم وشكا ما صُنع به إلى زهير، والعرب حينئذ يتَّقون الشعراء اتِّقاءً شديداً، فقال القصيدة، وأوَّلها:

عَفا من آلِ فاطمَةَ الجِوَاءُ .. فيُمْنٌ فالقوادمُ فالحساءُ

إلى أن قال:

يجُرُّونَ البرُودَ وقد تَمَشَّتْ .. حُمَيَّا الكأسِ فيهمْ والغناءُ

وبعده البيت، وبعده:

فإنْ تكنِ النِّساءُ مُخبآتٍ .. فَحُقَّ لكلِّ محصنةٍ هِدَاءُ

وكان زهير يقول: ما خَرَجت قط في ليلةٍ ظلماء إلاَّ خفتُ أن يصيبني الله عزَّ وجلّ بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم.

والشاهد في البيت: تجاهل العارف للمبالغة في الذم، وفيه دلالة على أن لفظ القوم لا يطلق إلاَّ على الرِّجال خاصَّة.

(١)البيت من قصيدة من الطويل، واختلف في نسبته: فنسب للمجنون، ولذي الرُّمَّة، وللعَرجيّ، وللحسين بن عبد الله الغزي، ونسبه الباخرزي، في دمية القصر، لبدويّ اسمه: كامل الثقفي، والأكثرون على أنه للعَرجيّ، وأول قصيدة كامل الثقفي:

إنسانَةُ الحَيِّ أم أدماءة السمُرِ .. با للنهى رقصها لحنٌ منَ الوترِ

يا مَا أُميلح غزلاناً شدَنَّ لنَا ... من هؤُليَّاء بينَ الضال والسمُرِ

وقال ابن داود في الزهرَة: قال بعض الأعراب:

يا سَرحَةَ الحَيِّ أينَ الرُّوحُ وا كبدِي .. لهفاً تذوبُ وبيتِ الله من حسرِ

ما أنتِ عجماء عمَّا قد سُئلتِ فمَا .. بـــالُ المنازِلِ لم تنطق ولم تحِرِ

يا قاتَلَ الله غاداتٍ قَرَعْنَ لها .. حبَّ القُلوب بما استودعنَ من حوَرِ

عنت لنا وعُيونٌ من براقعها .. مكنـــونةٌ مُقَلُ الغزلانِ والبقرِ

وبعده: يا أُميلح ..البيت. والقاع: أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام، وتجمع على قيع وقيعة، وأقواع، وأَقْوُع. والبشر: الإنسان، ذكراً كان أو أنثى، واحداً كان أو جمعاً. وقد يثنّى، وقد يجمع.

والشاهد في هذا البيت: تجاهل العارف، للتدلهْ في الحب، وهو: التحير والدهش.

وفى إضافة ليلى إلى نفسه أولا، والتصريح باسمها ثانيا استلذاذ. وهذه أنموذج من نكات التجاهل وهي أكثر من أن يضبطها القلم.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(القول بالموجب وهو ضربان: أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له) أي: لذلك الشيء.

(حكم فتثبتها لغيره) أي: فتثبت أنت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء.

(من غير تعرض لثبوته له) أي: لثبوت ذلك الحكم لذلك الغير.

(أو نفيه عنه نحو قوله تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[التغابن:٨]) فالأعز صفة وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم والاذل كناية عن المؤمنين، وقد أثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم وهو الله تعالى ورسوله والمؤمنون، ولم يتعرض لثبوت ذلك الحكم الذي هو الأخراج للموصوفين بالعزة أعني الله تعالى ورسوله والمؤمنين ولا لنفيه عنهم.

(والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده) حال كون خلاف مراده.

(مما يحتمله) ذلك اللفظ.

(بذكر متعلقه) أي: إنما يحمل على خلاف مراده بأن يذكر متعلق ذلك اللفظ.

(كقوله:

قلت ثقلت إذا أتيت مرارا ... قال ثقلت كاهلي بالأيادي[1]

---

(١) البيت من الخفيف، وبعده:

قلتُ طَوَّلْت قال لا بل تَطَوَّ .. لت وأبرمتُ قالَ حَبْلَ ودادِي

والبيتان منسوبان لابن حجاج، ولم أرهما في ديوانه، ونسبهما سبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزّمان لمحمد بن إبراهيم الأسدي. والكاهل: الحارك، أو مُقَدَّم أعلى الظهر مما يلي العنق، وهو الثلث الأعلى وفيه ست

فلفظ ثقلت وقع في كلام الغير بمعنى حملتك المؤنة فحمله على تثقيل عاتقه بالايادي والمنن) بأن ذكر متعلقه أعني قوله كاهلي بالأيادي.

(ومنه) أي: ومن المعنوي.

(الاطراد وهو أن تأتى بأسماء الممدوح أو غيره) وأسماء.

(آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف) في السبك.

(كقوله:

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب[1]

=

فقر، أو هو ما بين الكتفين وموصل العنق في الصلب، والأيادي: جمع يد، وهي النعمة. وفي معنى البيتين قول ابن الخازن:

لئن سَمّيت إبراماً وثقلاً .. زياراتٍ بهنّ رَفعتَ قَدْري
فما أبْرَمْتَ إلاّ حَبْلَ وِدّي .. وما أثْقَلْتَ إلاّ ظَهْرَ شكري

وقول ابن البغدادي:

حَجَجتُ إليه والعَذُولَ يحجني .... عليه فكانَ العَذْلُ رنةَ حادِي
فأحرمت لكن مُقْلَتي سِنَة الكَرَى .. وطُفْتُ ولكن حولهُ بودادِي

والشاهد فيهما: القول بالموجب، ويسمى أسلوب الحكيم، وهو على ضربين: أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فثبتت تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوته أو نفيه عنه، والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده ممّا يحتمله بذكر متعلقه، وهذا هو القسم المستعمل بين الناس ونظمه الشعراء.

(١) البيت من الكامل، وهو لربيعة من بني نصر بن قُعَين يرثي ذؤاباً ابنه، ويقال: قائله داود بن ربيعة الأسدي، وبعد البيت:

بأحبِّهِمْ فقداً إلى أعدائهِ .. وأشَدِّهِمْ فقداً على الأَصْحَابِ

والثَّلّ: الهدم، يقال: ثلَّ الله عروشهم، أي هدم ملكهم، ويقال للقوم إذا ذهب عزُّهم وتضعضع حالهم: قد ثُلَّ عرشهم، والمعنى: إن تبجّحوا بقتلك وصاروا يفخرون به فقد أثرت في عزّهم وهدمت أساس مجدهم بقتلك رئيسهم عتيبة بن الحارث، وكان من خبر قتله ما حكاه أبو عبيدة. والشاهد فيه: الاطراد: وهو أن يأتي الشاعر باسم الممدوح أو غيره وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام " الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم " .

يقال للقوم: إذا ذهب عزهم وتضعضع حالهم قد ثل عرشهم يعني أن تبحجوا بقتلك وفرحوا به فقد اثرت في عزهم وهدمت اساس مجدهم بقتل رئيسهم.

فإن قيل: هذا من تتابع الإضافات فكيف يعد من المحسنات. قلنا قد تقرر أن تتابع الإضافات إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف والبيت من هذا القبيل كقوله عليه السلام: "الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ"(١). الحديث، هذا تمام ما ذكر من الضرب المعنوي.

(وأما) الضرب.

(اللفظي) من الوجوه المحسنة للكلام.

(فمنه الجناس بين اللفظين وهو تشابهها في اللفظ) أي: في التلفظ فيخرج التشابه في المعنى نحو أسد وسبع أو في مجرد عدد الحروف نحو ضرب وعلم أو في مجرد الوزن نحو ضرب وقتل.

(والتام منه) أي: من الجناس.

(أن يتفقا) أي: اللفظان.

(في أنواع الحروف) فكل من الحروف التسعة والعشرين نوع وبهذا يخرج نحو يفرح ويمرح.

(و) في **(أعدادها)** وبه يخرج نحو الساق والمساق.

(و) في **(هيئاتها)** وبه يخرج نحو البرد والبرد بالفتح والضم فإن هيئة الكلمة هي كيفية حاصلة لها باعتبار الحركات والسكنات فنحو ضرب وقتل على هيئة واحدة مع اختلاف الحروف بخلاف ضرب وضرب مبنيين للفاعل والمفعول فانهما على هيئتين مع اتحاد الحروف.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر (٣٣٩٠)، وأخرجه الترمذي (٣١١٦)، وأخرجه أحمد في مسنده (٥٦٧٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٧٧٦).

(و) في (ترتيبها) أي: تقديم بعض الحروف على بعض وتأخيره عنه وبه يخرج نحو الفتح والحتف.

(فإن كانا) أي: اللفظان المتفقان في جميع ما ذكره.

(من نوع) واحد من أنواع الكلمة.

(كاسمين) أو فعلين أو فعلين أو حرفين.

(يسمى متماثلا) جريا على اصطلاح المتكلمين من أن التماثل هو الاتحاد في النوع.

(نحو: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [الروم:٥٥]) أي: القيامة.

(﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾) من ساعات الأيام.

(وان كانا من النوعين) اسم وفعل أو اسم وحرف أو فعل وحرف.

(يسمى مستوفى كقوله:

ما مات من كرم الزمان فإنه ... يحيى لدى يحيى بن عبد الله[1]

---

(١)البيت لأبي تمام من قصيدة من الكامل يمدح بها أبا الغريب يحيى بن عبد الله أوَّلها:

إحدَى بني عمرو بنِ عبد مَنَاهِ .... بين الكَثيبِ الفَردِ فالأَمْواهِ
أَلقى النَّصِيفَ فأَنت خاذلَةُ الهوى .... أُمنيَّةُ الخالي ولهوُ الَّلاهي
رَيَّا يُعارضُ خَصْرُها أَرْدافَها ...... وتطيبُ نكهَتُها بلا استنكاهِ
عَرَضَتْ لنا يومَ اللَّوَى في خُرَّدٍ .. كالسِّرْبِ حُوٌّ لِثَّى ولُعْسٍ شفاهِ
بيضٌ يلوحُ الحسن في وجناتها .. والملحُ بين نظـــــائرٍ أشباهِ
لم تجتمع أمثالها في موطنٍ .. لولا صفــــــاتٌ في كتابِ الباهِ
ومفَنِّدٍ لوَّامةٍ نهنَهتُهُ ...... عن مُغْلِظٍ لعـــــــــدُوِّهِ نجَّاهِ
ومؤنب لي كي أفيق وإنَّني .. لأصمٌّ عن يـــــاه وعن يهياهِ
دعني أقم أَوَدَ الشَّبابِ بوصلها .. إنَّ السَّفـــــاه بها لغير سَفاهِ
فإذا انقضت أيَّام تشييع الصّبا .. أظهـــــرت توبة خاشعٍ أوَّاهِ
ومعاودٍ للبيدِ لا يهفُو بـــــهِ .. هـــــافٍ ولا يزهاهُ فيها زاهِ
مُهْدٍ لألْطافِ الثَّنـــــاءِ إلى فتًى .. كالبـــــدرِ لا صَلِفٍ ولا تيَّاهِ
لأبي الغريب غرائباً من مدحتي .. في غيرِ تعقيـــــدٍ ولا استكراهِ

وبعده البيت، وبعده:

obeikandl.com

لأنه كريم يحيى من اسم الكرم.

(وأيضًا) لجناس التام تقسيم آخر وهو أنه.

(إن كان أحد لفظيه مركبا) والآخر مفردا.

(سمي جناس التركيب) وحينئذ.

(فإن اتفقا) أي: اللفظان المفرد والمركب.

(في الخط خص) هذا النوع من جناس التركيب.

(باسم المتشابه) لاتفاق اللفظين في الكتابة.

(كقوله: إذا ملك لم يكن ذاهبة) أي: صاحب هبة وعطاء.

(فدعه) أي: اتركه.

(فدولته ذاهبة) أي: غير باقية.

(وإلا) أي: وأن لم يتفق اللفظان المفرد والمركب في الخط.

(خص) هذا النوع من جناس التركيب.

(باسم المفروق) لافتراق اللفظين في صورة الكتابة.

(كقوله:

كلكم قد أخذ الجام ولا جام لنا ... ما الذي ضر مدير الجام لو جاملنا[1]

=

كالسَّيفِ ليس بزُمَّلٍ شِهْدارَةٍ .. يوماً ولا بغضُبَّةٍ جَبَّاءِ

وهي طويلة، والزمل - بضم الزاي وتشديد الميم - الجبان الضعيف، والشهدارة - بالكسر - الفاحش والنَّمام المفسد بين النَّاس والقصير والغليظ. والشاهد فيه: الجناس المستوفي، وهو: أن يكون اللفظان المتفقان من نوعين كاسم وفعل.

(١) البيتان من مجزوء الرمل، وهما لأبي الفتح البستي أيضاً. والشاهد فيهما: الجناس المفروق، وهو: المتفق لفظاً لا خطاً، كقول المعتمد ابن عباد يحكي قول جارية له في محنته:

قالتْ لقدْ هِنَّا هُنَا .. موْلايَ أينَ جاهنا

قلتُ لها إلهنـــا .. صيَّرنـــا إلى هُنا

أي: عاملنا بالجميل هذا إذا لم يكن اللفظ المركب مركبا من كلمة وبعض كلمة والأخص باسم المرفو كقولك اهذا مصاب أم طعم صاب.

(وإن اختلفا) عطف على قوله والتام منه أن يتفقا أو على محذوف أي هذا أن اتفقا فيها ذكر وأن اختلفا أي لفظا المتجانسين.

(في هيئات الحروف فقط) أي: واتفقا في النوع والعدد والترتيب.

(يسمى) التجنيس.

(محرفا) لانحراف احدى الهيئتين عن الهيئة الآخرى والاختلاف قد يكون بالحركة.

(كقولهم: جبة البرد جنة البرد) يعني لفظ البرد والبرد بالضم والفتح.

(ونحوه) في أن الاختلاف في الهيئة فقط قولهم.

(الجاهل إما مفرط ومفرط) لأن الحرف المشدد لما كان يرتفع اللسان عنهما دفعة واحدة كحرف واحد عد حرفا واحدا وجعل التجنيس مما لا اختلاف فيه في الهيئة فقط. ولذا قال.

(والحرف المشدد) في هذا الباب.

(في حكم المخفف) واختلاف الهيئة في مفرط ومفرط باعتبار أن الفاء من أحدهما ساكن ومن الآخر مفتوح.

(و) قد يكون الاختلاف فيه في الحركة والسكون جميعا.

=

وقول المطوعي:

أميرٌ كلُّهُ كرمٌ سَعِدْنا .... بأخذِ المجدِ عنهُ واقْتباسِهْ
يُحاكي النِّيلَ حينَ يرومُ نَيْلاً .. ويحكي باسلاً في وقتِ باسِه

وقوله أيضاً:

لا تعرِضنَّ على الرُّواةِ قصيــدةً .. مـــا لم تبالغْ قبلُ في تهذيبِها
فمتى عرضْتَ الشِّعْرَ غيرَ مهذبٍ .. عدُّوهُ مِنكَ وساوِساً تَهْذي بِها.

(كقولهم: البدعة شرك الشرك) فإن الشين من الأول مفتوح ومن الثاني مكسور والراء من الأول مفتوح ومن الثاني ساكن.

(وإن اختلفا) أي: لفظا المتجانسين.

(في أعدادها) أي: أعداد الحروف بأن يكون في أحد اللفظين حرف زائد أو أكثر إذا سقط حصل الجناس التام.

(سمي الجناس ناقصا) لنقصان أحد اللفظين عن الآخر.

(وذلك) الاختلاف.

(إما بحرف) واحد.

(في الأول مثل: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة:٢٩، ٣٠]) بزيادة الميم.

(أو في الوسط نحو: جدي جهدي) بزيادة الهاء وقد سبق أن المشدد بحكم المخفف.

(أو في الآخر كقوله:

يمدون من أيد عواص عواصم)[1]

---

(١) هو صدر بيت من الطويل، وتمامه:

تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضِبِ

وقائله أبو تمام، من قصيدة يمدح بها أبا دلف العجلي، أولها:

على مثلها منْ أرْبُعٍ ومَلاعبِ .. أُهينتْ مصوناتُ الدموعِ السواكبِ

وهي طويلة، وما أحسن قوله في مخلصها:

إذا العيسُ قد لاقت أبا دلفٍ فقدْ .. تَقَطَّعَ ما بيني وبين النوائب

هنالك تلقى الجود في حيث قُطِّعَتْ .. تمائمه والمجد وافي الذوائبِ

تكادُ عطاياهُ تجنُّ جنونها .. إذا لم يُعَوِّذْها بنغمة طالبِ

وهذا البيت مما انتقد به على أبي تمام حتَّى قال بعضهم: وما باله ينسبها إلى الجنون ويلتمس لها العوذ والرقي؟ هلا فك إسارها وعجل خلاصها ولم ينتظر بها نغمة الطالب ففعل كما قال أبو الطيب المتنبي:

وعطاءُ مالٍ لو عَداهُ طالبٌ .. أنفقتهُ في أن تلاقي طالبا

ويحكى أن أبا تمام لما أنشد أبا دلف قوله:

بزيادة الميم ولا اعتبار بالتنوين وقوله من أيد في موضع مفعول يمدون على زيادة من كما هو مذهب الأخفش، أو على كونها للتبعيض كما في قولهم هز من عطفه وحرف من نشاطه أو على أنه صفة محذوف أي يمدون سواعد من أيد عواص جمع عاصية من عصاه ضربه بالعصا، وعواصم من عصمه حفظه وحماه.

وتمامه:

تصول بأسياف قواض قواضب.

أي يمدون أيديهم ضاربات للأعداء حاميات للأولياء، صائلات على الأقران بسيوف حاكمة بالقتل قاطعة.

(وربما سمى) هذا القسم الذي يكون الزيادة فيه في الآخر.

(مطرفا وأما بأكثر) من حرف واحد وهو عطف على قوله إما بحرف ولم يذكر من هذا الضرب إلا ما تكون الزيادة في الآخر.

(كقولها) أي: الخنساء.

(إن البكاء هو الشفاء من الجوى)

أي: حرقة القلب.

(بين الجوانح)[1] بزيادة النون والحاء.

=

على مثلها من أرْبُعٍ وملاعبِ

قال: من أراد يُبَكِّتُه: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد، فإن هذا القائل وَلّدَ من الكلامين كلاماً يناقض غرض أبي تمام من وجهين: أحدهما: خروج الكلام عن النسيب إلى الهجاء بسبب ما انضم إليه من الدعاء، والثاني خروج الكلام من أن يكون بيتاً من الشعر إلى أن صار قطعة من النثر.

(١) البيت من مجزوء الكامل المرفل، وقائلته الخنساء من قصيدة ترثي بها أخاها صخراً، أولها:

يا عينُ جودي بالدُّمو .. ع المستهـــلاَّتِ السوافحْ

فَيْضاً كما فاضت غُرو .. بُ المُتْرَعاتِ منَ النواضحْ

وبعده البيت، وبعده:

(وربما سمى هذا) النوع.

(مذيلا وإن اختلفا) أي: لفظ المتجانسين.

(في أنواعها) أي: أنواع الحروف.

(فيشترط أن لا يقع) الاختلاف.

(بأكثر من حرفٍ) واحد وإلا لبعد بينهما التشابه، ولم يبق التجانس كلفظي نصر ونكل.

(ثم الحرفان) اللذان وقع بينهما الاختلاف.

(إن كانا متقاربين في المخرج).

(سمي) الجناس.

(مضارعا وهو) ثلاثة أضرب لأن الحرف الأجنبي.

(إما في الأول نحو: بيني وبينك ليل دامس وطريق طامس، أو في الوسط نحو قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٦] أو في الآخر نحو: "الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ"(١)). ولا يخفى تقارب الدال والطاء وكذا الهاء والهمزة وكذا اللام والراء.

(وإلا) أي: وأن لم يكن الحرفان متقاربين.

(سمى لاحقا وهو أيضا إما في الأول نحو: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة:١]) الهمزة الكسر، واللمزة: الطعن، وشاع استعمالها في الكسر من أعراض الناس والطعن فيها وبناء فعلة يدل على الاعتياد.

=

وابكي لصخرٍ إذْ ثوَى .. بينَ الضريحة والصفــائحْ
أمسى لدَى جَدَثٍ تُذي .. عُ بترْبِهِ هوجُ النوافــــخْ
والسيدُ الجَحْجاحُ وابْ .. نُ السادةِ الشمُّ الجحاجحْ

والشاهد فيه: الجناس المذيل، وهو: ما كان بأكثر من حرف.

ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

وكُنا متى يغزو النبيّ قبيلةً .. نَصِلْ جانبيهِ بالقنا والقنابِلِ.

(١) أخرجه البخاري من حديث عروة بن الجعد البارقي (٢٨٥٠)، وأخرجه مسلم (١٨٧٥)، وأخرجه النسائي (٣٥٧٤)، وأخرجه الترمذي (١٦٣٦)، وأخرجه ابن ماجه (٢٧٨٨).

(أو في الوسط نحو: ﴿ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]) وفى عدم تقارب الفاء والميم نظر فإنهما شفويتان، وإن أريد بالتقارب أن يكونا بحيث يدغم أحدهما في الآخر فالهاء والهمزة ليستا كذلك.

(أو في الآخر نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ ﴾ [النساء:٨٣] وأن اختلفا) أي: لفظا المتجانسين.

(في ترتيبها) أي: ترتيب الحروف بأن يتحد النوع والعدد والهيئة لكن قدم في أحد اللفظين بعض الحروف واخر في اللفظ الآخر.

(سمي) هذا النوع.

(تجنيس القلب نحو: حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه ويسمى قلب كل) لانعكاس ترتيب الحروف كلها.

(ونحو: "اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا "[1]، ويسمى قلب بعض) إذ لم يقع الانعكاس إلا بين بعض حروف الكلمة.

(فإذا وقع أحدهما) أي: أحد اللفظين المتنجانسين تجانس القلب.

(في أول البيت و) اللفب.

(الآخر في آخره سمي) تجنيس القلب حينئذ.

(مقلوبا مجنحا) لأن اللفظين بمنزلة جناحين للبيت كقوله لاح انوار الهدى من كفه في كل حال.

(وإذا ولي أحد المتجانسين) أي: تجانس سواء كان جناس القلب أو غيره ولذا ذكره باسمه الظاهر دون المضمر المتجانس.

(الآخر سمي) الجناس.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري (١٠٦١٣)، والطبري في جامع البيان ج١٩/ ٢٥، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٥٩٩) .

(مزدوجا ومكررا ومرددا نحو: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:٢٢]) هذا من التجنيس اللاحق وامثلة الآخر ظاهرة مما سبق.

(ويلحق بالجناس شيئان أحدهما: أن يجمع اللفظين الاشتقاق) وهو توافق الكلمتين في الحروف الأصول مع الاتفاق في أصل المعنى.

(نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ [الروم: ٤٣]) فإنها مشتقان من قام يقوم.

(والثاني: أن يجمعها) أي: اللفظين.

(المشابهة وهي ما يشبه) أي: اتفاق يشبه.

(الاشتقاق) وليس باشتقاق فلفظة ما موصولة أو موصوفة، وزعم بعضهم أنها مصدرية أي اشباه اللفظين الاشتقاق وهو غلط لفظا ومعنى.

أما لفظا فلأنه جعل الضمير المفرد في " يشبه " أي اللفظين وهو لا يصح إلا بتأويل بعيد فلا يصح عند الاستغناء عنه.

وأما معنى فلان اللفظين لا يشبهان الاشتقاق بل توافقها قد يشبه الاشتقاق بأن يكون في كل منهما جميع ما يكون في آخر من الحروف أو اكثرها ولكن لا يرجعان إلى أصل واحد كما في الاشتقاق.

(نحو قوله تعالى: ﴿ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٨]) فالأول من القول والثاني من القلى. وقد يتوهم أن المراد بما يشبه الاشتقاق هو الاشتقاق الكبير وهذا أيضا غلط لأن الاشتقاق الكبير هو الاتفاق في الحروف الأصول دون الترتيب مثل القمر والرقم والمرق، وقد مثلوا في هذا المقام بقوله تعالى: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة:٣٨]، ولا يخفى أن الأرض مع أرضيتم ليس كذلك.

(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(رد العجز على الصدر وهو في النثر: أن يجعل أحد اللفظين المكررين) أي: المتفقين في اللفظ والمعنى.

(أو المتجانسين) أو المتشابهين في اللفظ دون المعنى.

(والملحقين بهما) أي: بالمتجانسين الذي يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق.

(في أول الفقرة) وقد عرفت معناها.

(و) اللفظ (الآخر في آخرها) أي: آخر الفقرة فتكون الأقسام اربعة.

(نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾[الأحزاب:٣٧]) في المكررين.

(ونحو: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل) في المتجانسين.

(ونحو قوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾[نوح: ١٠]) في الملحقين اشتقاقا.

(ونحو: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٨]) في الملحقين بشبه الاشتقاق.

(و) هو (في النظم أن يكون أحدهما) أي: أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما اشتقاقا أو شبه الاشتقاق.

(في آخر البيت و) اللفظ.

(الآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر) المصراع.

(الثاني) فتصير الأقسام ستة عشرة حاصلة من ضرب اربعة في اربعة. والمصنف اورد ثلثة عشر مثالا واهمل ثلاثا.

(كقوله:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه   وليس إلى داعي الندى بسريع[1]

---

(١) البيت من الطويل وبعده:

فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الأول.

(وقوله:

تمتع من شميم عرار نجد   فما بعد العشية من عرار[1]

فيما يكون المكرر الآخر في حشو المصراع الأول. ومعنى البيت استمتع بشميم عرار نجد وهي وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة فانا نعدمه إذا امسينا لخروجنا من ارض نجد ومنابته.

(وقوله:

ومن كان بالبيض الكواعب)

=

حريصٌ على الدُّنيا مُضيعٌ لدينِهِ .. وليسَ لما في بيْتِهِ بمُضِيعِ

وقائلها الأقيشر الشاعر، وكان شرِّيباً للخمر، متهتكاً به، لا يدخل في يده شيء، إلا أنفقه فيه، وكان له ابن عم موسر، فكان يسأله فيعطيه، حتَّى كثر ذلك، فمنعه وقال له: إلى كم أعطيك مالي وأنت تنفقه في شرب الخمر؟ والله لا أُعطيك شيئاً أبداً، فتركه حتَّى اجتمع قومه في ناديهم، وهو فيهم، ثمَّ جاء فوقف عليهم، فشكاه إليهم، فوثب إليه ابن عمه فلطمه، فقالها. والشاهد فيه: رد العجز إلى الصدر، وسماه المتأخرون التصدير، وهو: أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في آخر البيت واللفظ الآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر المصراع الثاني.

(١) البيت للصمة القشيري، من أبيات من الوافر، وهي:

أقولُ لصاحبي والعيسُ تَهوي .. بِنا بينَ المنيفةِ، فالضمارِ

وبعده البيت، وبعده:

ألا يا حبذا نفحاتُ نجدٍ ...... ورَيَّا رَوْضِه بَعدَ القِطارِ
وأهلكَ إذْ يَحُلّ الحيُّ نجداً .. وأنتَ على زمانكَ غيرُ زارِ
شهورٌ ينقضينَ وما شَعَرْنا ...... بأنصافٍ لهنَّ ولا سِرَارِ
فأمَّا ليلهنَّ فخيرُ ليلٍ .... وأقصرُ ما يكونُ من النَّهارِ

وقيل: الأبيات لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلي. ومن ظريف ما يحكى هنا أنَّ علي بن عيسى الرّبعي النحوي – وكان يرمى بالجنون – مرَّ يوماً بسكران ملقى على قارعة الطريق، فحل الربعي سَرَاوِيله وجلس على أنف السكران، وجعل يضرط ويشمه، ويقول:

تَمَتَّعْ من شميمِ عَرَارِ نجدٍ .. فما بعدَ العشيَّةِ مِنْ عَرارِ.

جمع كاعب، وهي الجارية حين تبدو ثديها للنهود.

(مغرما) مولعا.

(فما زلت بالبيض القواضب)

أي: السيوف القواطع.

(مغرما)(١) فيما يكون المكرر الآخر في آخر المصراع الأول.

(وقوله: وإن لم يكن إلا معرج ساعة) هو خبر كان واسمه ضمير يعود إلى الإمام المدلول عليه في بيت السابق، وهو المعرج على الدار التي لو وجدتها بها أهلها ما كان وحشا مقيلها.

(قليلا) صفة مؤكدة لفهم القلة من إضافة التعريج إلى الساعة أو صفة مقيدة أي إلا تعريجا قليلا في ساعة.

---

(١) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الطويل، يمدح بها محمد بن يوسف الطائي، أوّلها:

عَسَى وطنٌ يَدْنو بهِمْ ولعلَّمَا .... وأَنْ تعتَبَ الأيَّام فيهِمْ فرُبَّما
لهمْ منزل قدْ كانَ بالبِيضِ كالدُّمى .. فصيحَ المَعاني ثمَّ أصْبَحَ أعْجَما
وَرَدَّ عُيونَ النَّاظرينَ مهانةً .... وقدْ كانَ ممَّا يرجعُ الطَّرْفَ مكرمَا
تَبدَّلَ غاشيهِ بريمٍ مسلمٍ .... تَرَدَّى ردَاءَ الحسنِ طَيفاً مسلمَا
ومنْ وَشْيِ خز لمْ ينمنم فرنده ... معاً لم يذكرْن الكتابَ المنمنَمَا
وبالحلي إنْ قامَتْ ترنم فوقها .... حَمَامٌ إِذا لاقَى حَمَاماً تَرَنَّمَا
وبالخدلَةِ السَّاقِ المخدّمَةِ الشّوى .. قلائص يتلونَ القسي المخدّمَا
لقدْ أصبَحَ الثَّغرانِ سَدَّينِ بعدما .. رأوْا سَرَعانَ الذُّلّ فَذًّا وتوأمَا
وكنتَ لناشيهمْ أباً ولكهلهمْ .. أخاً ولذي التَّقويسِ والكبرة أَيْنَمَا

وبعده البيت، وبعده:

ومنْ تيمتْ سمرُ الحسانِ وأدمها .. فما زلْتَ بالسّمرِ العَوالي متيَّمَا

وهي طويلة بديعة. والكواعب: جمع كاعب، وهي: الناهدة الثدي. والبيض القواضب: السيوف القواطع. والشاهد في البيت: مجيء اللفظ الآخر في آخر المصراع الأول.

obeikandl.com

(فإني نافع لي قليلها)[1] مرفوع بأنه فاعل نافع، والضمير للساعة والمعنى قليل من التعريج في الساعة ينفعني ويشفي غليل وجدي، وهذا فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الثاني.

(وقوله: دعاني) أي: اتركاني.

(من ملامكما سفاها) أي: خفة وقلة عقل.

(فداعي الشوق قبلكما دعاني)[2]

---

(١) البيت لذي الرُّمَّة، من قصيدة من الطويل، قالها في صاحبته مية، أوَّلها:

خَليليَّ عُدَّا حاجَتي من هَوَاكما .. ومَنْ ذا يُواتي النَّفس إلاَّ خَليلُها
أَلَمَّا على الدَّارِ التي لوْ وَجَدْتما ..... بها أهلها ما كان وَحْشاً مَقيلُهَا

وبعده البيت، وبعده:

لقدْ أشربَتْ قلبي لَمَيٌّ موَدَّةً .. تَقَضَّى اللَّيالي وهوَ باقٍ وسيلهَا
مُهَفْهَفَةُ الكشحينِ رُودٌ شَبابُها ..... مُبَتَّلَةٌ خَوْدٌ نَبيلٌ حُجولُها
وقدْ تَيَمَّتْ قلبي فليسَ بنازِعٍ .... وقدْ شَفَّهُ هِجْرانها ومطولها

والتعريج: الإقامة على الشيء. وحبس المطي على المنزل. والمعنى: إن لم يكن إلمامُكما – أي نزولكما القليل بالدار – إلاَّ تعريج ساعة فإنَّ قليلها ينفعني ويشفي غليل وجدي. والشاهد فيه: مجيء اللفظ الآخر في صدر المصراع الثاني

(٢) البيت للأرَّجاني، من قصيدة من الوافر، يمدح بها الوزير سعد الملك أولها:

إذا لم تقدرا أن تُسعِداني .. على شَجَني فَسيرا واتركاني

وبعده البيت، وبعده:

وأينَ من المَلام لَقًى هموم .. يبيتُ ونِضْوُهُ مُلْقى الجِـــــرانِ
أميلُ عن السُّلوِّ وفيه برءٌ .. وأعلَقُ بالغــــــرام وقد بَلاني
وأعجبُ من حنيني في التنائي .. وأعجبُ من صُدودك في التَّداني
ألا لله ما صَنَعَتْ بعقـــــلي .. عقائِلُ ذلك الحيِّ اليمـــــاني
نواعم يَنْتَقِبن على شقيـــــقٍ .. يرفُّ ويبتسمــــــن بأقْحُوانِ
دنَوْنَ عشيةَ التوديـــــع مني .. ولي عينـــــانِ بالدم تجريانِ
فلم يمْسَحْنَ إكراماً جفـــوني .. ولكـــــن رمْنَ تخضيبَ البنانِ

وهي طويلة. والسفاه والسفه والسفاهة: خفة الحلم، وتثلث سينه، وقيل: هو نقيضه، أو الجهل.

من الدعاء وهذا فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الأول.

(وقوله: وإذا البلابل) جمع بلبل وهو طائر معروف.

(أفصحت بلغاتها، فانف البلابل) جمع بلبال وهو الحزن.

(باحتساء بلابل)[1] جمع بلبلة بالضم وهو ابريق فيه الخمر. وهذا فيما يكون المتجانس الآخر أعني البلابل الأول في حشو المصراع الأول لا صدره لأن صدره هو قوله وإذا.

(وقوله: فمشغوف بآيات المثاني): أي القرآن.

(ومفتون برنات المثاني)[2] أي: بنغمات أوتار المزامير التي ضم طاق منها إلى طاق. وهذا فيما يكون المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول.

(وقوله: أملتهم ثم أملتهم فلاح) أي: ظهر.

=

والشاهد فيه: وقوع أحد اللفظين المتجانسين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول، وهما دعاني الأولى بمعنى اتركاني ودعاني الثانية من الدعاء

(١) البيت للثعالبي، من الكامل، والبلابل الأولى: جمع بلبل، وهو الطائر المعروف، والثانية: جمع بلبال، وهو البرحاء في الصدر، والثالثة: جمع بلبلة، وهي فتاة الكوز التي يصب منها الماء، والاحتساء: الشرب.

والشاهد فيه: مجيء المتجانس الآخر في حشو المصراع الأول.

(٢) هو من الوافر، وقائله: أبو عبد الله وأبو محمد القاسم الحريري، من أبيات أولها:

بها ما شئت من دينٍ ودُنيا .. وجيرانٍ تَنافَوْا في المعاني

وبعده البيت، وبعده:

ومضطلعٌ بتلخيص المعاني .... ومطلعٌ إلى تلخيص عاني
وكم من قارئ فيها وقارٍ .... أضرا بالجفون وبالجفانِ
وكم من مَعْلم للعلم فيها .... وناد للندى حلو المجاني
ومَغْنًى ما تزال تُغَنّ فيهِ .... أغاريدُ الغواني والأغاني
فَصِلْ إن شئت فيها من يصلّي .. وإما شئت فادنُ من الدنانِ
ودونك صحبة الأكياس فيها .. أو الكاسات منطلق العنان

والمثاني الأول: القرآن أو ما ثُنِّيَ منه مرة بعد مرة أو الحمد لله أو من البقرة إلى براءة أو كل سورة دون الطوال ودون المائتين وفوق المفصل، والمثاني الثانية من أوتار العود التي بعد الأول واحدها مثنى.

والشاهد فيه: مجيء المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول.

(لي أن ليس فيهم فلاح)(١) أي: فوز ونجاة وهذا فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الثاني.

(وقوله ضرائب) جمع ضريبة وهي الطبيعة التي ضربت للرجل وطبع عليها.

(أبدعتها في السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا)(٢)

أي مثلا وأصله المثل في ضرب القداح. وهذا فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين اشتقاقا في صدر المصراع الأول.

(وقوله:

---

(١) البيت للأرّجانيّ، من السريع، من قصيدة يمدح بها شمس الملك بن نظام الملك، أولها:

صوتَ حمام الأيكِ عندَ الصباحْ .. جدَّدتَ تَذكاريَ عهدَ الصباحْ
عَلمتنا الشجوَ فيا من رأى .. عُجْماً يعلمنَ رِجالاً فِصاحْ
الحانُ ذاتِ الطوْقِ في غصنها .. مُذْكرتي أيامَ ذات الوشاح
لا أشكرُ الطائر إنْ شاقني .. على نوًى من سَكني وانتزاح
وإنما أشكر لوْ أنه ..... أعارني أيضاً إليهِ جناحْ

إلى أن يقول في مديحها:

يا كعبة للجودِ مأهولةً .... إذا غدا الوفدُ إليها وَراحْ
يفيدك قومٌ حاولوا ضلة .... تناولَ المجدِ بأيدٍ شحاحْ
معاشرٌ أموالهمْ في حمًى .. وعرضُهُم من لوْمهم مُستباحْ

والقصيدة طويلة. وفلاح الثانية: الفوز، والنجاة، والبقاء في الخير.

والشاهد فيه: مجيء المتجانس الآخر، في صدر المصراع الثاني

(٢) البيت نسبه للبحتري غالبُ شراح التلخيص؛ وليس الأمر كذلك، وإنما هو للسري الرفاء، وقد سَرق معناه من بيت البحتري، فلذا سبق الوهم إلى نسبته إليه، وبيت البحتري لفظه:

بَلَوْنا ضَرائبَ من قد نرى .. فما إن رأينا لفتح ضريبا

وهو من قصيدة من المتقارب يمدح بها الفتح بن خاقان، أولها:

لوَتْ بالسلام بناناً خضيباً .. ولحظاً يشوقُ الفؤادَ الطروبا

وهي طويلة. وبيت السري الرفاء من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد. أولها:

تعنفني إن أطلتُ النحيبا .. وأسلبتُ للعين دمعاً سكوبا

والضرائب: جمع ضريبة، وهي الطبيعة التي ضرب الرجل وطبع عليها، والضريب: المَثِيل.

والشاهد فيه: مجيء الملحق بالمتجانس الآخر في صدر المصراع الأول.

إذ المرء لم يخزن عليه لسانه　　　فليس على شيء سواه بخزان)[1]

أي إذا لم يحفظ المرء لسانه على نفسه مما يعود ضرره إليه فلا يحفظه على غيره مما لا ضرر له فيه، وهذا فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقا في حشو المصراع الأول.

(وقوله:

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم　　　والعذب)

من الماء.

(يهجر للإفراط في الخصر)[2]

---

(١)البيت لامرئ القيس، من قصيدة من الطويل أولها:

قفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ وعِرفان .... ورسْمٍ عَفَتْ آياتهُ منذ أزمانِ
أتَتْ حجَجٌ بعدي عليها فأصْبَحَتْ .. كخط زَبورٍ في مَصاحِفِ رُهْبانِ
ذكَرْت بها الحيَّ الجميع فَهَيَّجَتْ .... عقابيلَ سُقْمٍ من ضميرٍ وأشجانِ
فَسَحَّتْ دموعي في الرداءِ كأنَّها ..... كلى من شَعيبٍ ذات سَحٍّ وتهْتانِ

وبعده البيت، وبعده:

فأما تَريني في رحالةِ جابرٍ ...... على حَرَجٍ كالقرِّ تخفقُ أكفاني
فيا ربَّ مكْروبٍ كَرَرتُ وراءهُ .. وعانٍ فككْتُ القِدَّ عنه ففدَّاني

ومعنى البيت: إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه.

والشاهد فيه: مجيء الملحق الآخر في حشو المصراع الأول.

(٢) البيت لأبي العلاء المعري، من قصيدة من البسيط، يمدح بها أبا الرضاء المصيصي أولها:

يا ساهِرَ البرقِ أيقظ راقِدَ السَّمُرِ .... لعل بالجزع أعواناً على السهرِ
وإن بَخِلتَ على الأحياء كلهم ..... فاسْقِ المواطِرَ حيًّا من بني مَطَرِ
ويا أسيرة حجْلَيها أرى سفهاً .... حمل الحليَّ لمن أعيا عن النَّظَرِ
ما سِرْتُ إلاَّ وطيفٌ منك يَصْحَبُني .. سُرًى أمامي وتأويباً على أثري
لو حطَّ رحليَ فوق النجم رافعهُ ...... ألفيت ثَمَّ خيالاً منك منتظري
يود أن ظلامَ الليل دامَ لهُ .... وزيدَ فيه سوادُ القلب والبَصَرِ

وبعده البيت، وبعده:

أبَعْدَ حَوْلٍ تناجي الشوقَ ناجيةً ...... هلاَّ ونحنُ على عَشْرٍ من العُشَرِ
كم بات حولك من ريمٍ وجؤذرةٍ .. يستَجْدِيانك حُسْنَ الدَّلِّ والحورِ

obeikandi.com

أي: في البرودة يعني أن بعدي عنكم لكثرة إنعامكم عليَّ.

وقد توهم بعضهم أن هذا المثالِ مكرر حيث كان اللفظ الآخر في حشو المصراع الأول كما في البيت الذي قبله ولم يعرف أن اللفظين في البيت السابق مما يجمعهما الاشتقاق، وفي هذا البيت مما يجمعهما شبه الاشتقاق، والمصنف لم يذكر من هذا القسم إلا هذا المثال وأهمل الثلاثة الباقية وقد أوردتها في الشرح.

(وقوله:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ... أطنين أجنحة الذباب يضير)(١)

وهذا فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقا وهو ضائري في آخر المصراع الأول.

(وفي قوله:

وقد كانت البيض القواضب في الوغى)

أي: السيوف القواطع في الحرب.

(بواتر) أي: قواطع يحسن استعمال إياها.

(فهي الآن من بعده بتر)(١)

=

والشاهد فيه: مجيء أحد الملحقين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الأول.

(١) البيت من الكامل، ولا أعرف قائله، ونسبه صاحب الدر الفريد لعبد الله ابن محمد بن عيينة المهلبي، قال: وكان علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هذا إلى نصرته حين ظهرت المبيِّضَةُ فلم يجبه، فتوعده علي، فقال عبد الله:

أعليُّ إنكَ جاهِلٌ مغرورُ .. لا ظُلمةٌ لكَ لا ولا لك نورُ

أبعثتَ توعِدُني أن استبطأتني .. إنِّي بحَرْبك ما حييتَ جديرُ

وبعده البيت، وبعده:

وإذا ارتَحَلْتَ فإنَّ نصري للأولى .. أبواهُمُ المَهْدِيُّ والمنصورُ

بُنيتْ عليهِ لحومُنا ودماؤنا .. وعليهِ قُدِّرَ سَعيُنـــا المشكورُ

والضير: الضرر. والشاهد فيه: مجيء الملحق الآخر في آخر المصراع الأول.

جمع أبتر، إذ لم يبق من بعده من يستعملها استعمالة. وهذا فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقا في صدر المصراع الثاني.

(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(السجع قيل: وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد) في الآخر.

(وهو معنى قول السكاكي هو) أي: السجع.

(في النثر كالقافية في الشعر) يعني: أن هذا مقصود كلام السكاكي ومحصوله وإلا فالسجع على التفسير المذكور بمعنى المصدر أعني توافق الفاصلتين في الحرف الأخير.

وعلى كلام السكاكي هو نفس اللفظ المتواطئ الآخر في أواخر الفِقَر، ولذا ذكره السكاكي بلفظ الجمع، وقال: إنها في النثر كالقوافي في الشعر، وذلك لأن القافية لفظ في آخر البيت، أما الكلمة نفسها أو الحرف الأخير منها أو غير ذلك على تفصيل المذاهب وليست عبارة عن تواطئ الكلمتين من أواخر الأبيات على حرف واحد.

فالحاصل أن السجع قد يطلق على الكلمة الأخيرة من الفقرة باعتبار توافقها للكلمة الأخيرة من الفقرة الآخرى، وقد يطلق على نفس توافقها ومرجع المعنيين واحد.

(وهو) أي: السجع ثلاثة أضرب.

(مطرف إن اختلفا) أي: الفاصلتين.

(في الوزن نحو: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح:١٣-١٤])

فإن الوقار والاطوال مختلفان وزنا.

=

(١) البيت لأبي تمام من قصيدة من الطويل يرثي بها محمد بن حميد، وتقدم ذكر مطلعها في شواهد التدبيج ومنها قبل البيت:

فتًى سلبَتْهُ الخيلُ وهو حِماهُــا .. وبزته نارُ الحرب وهوَ لها جَمْرُ

قضى طاهرَ الأثواب لم تَبْقَ بقعةٌ .. غداة ثوى إلاَّ اشتهَتْ أنها قبرُ

والبواتر: السيوف القواطع، والبتر: جمع أبتر، وهو المقطوع. والمعنى: لم يبق بعده من يستعملها استعماله.

والشاهد فيه: مجيء الملحق الآخر في صدر المصراع الثاني، والله أعلم.

(وإلا) أي: وإن لم يختلفا في الوزن.

(فإن كان ما في إحدى القرينتين) من الألفاظ.

(أو) كان.

(أكثره) أي: أكثر ما في أحد لقرينتين.

(مثل ما يقابله) من القرينة الآخرى.

(في الوزن والتقفية) أي: التوافق على الحرف الأخير.

(فترصيع نحو: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه) فجميع ما في القرينة الثانية يوافق لما يقابله من القرينة الأولى. وأما لفظه فهو فلا يقابله شيء من الثانية، ولو قال بدل الأسماع الاذان كان مثالا لما يكون أكثر ما في الثانية موافقا لما يقابله في الأولى.

(وإلا فهو متواز) أي: وأن لم يكن جميع ما في القرينة ولا أكثر مثل ما يقابله من الآخرى فهو السجع المتوازي.

(نحو: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤]) لاختلاف سرر وأكواب في الوزن والتقفية جميعا.

وقد يختلف الوزن فقط نحو: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ [المرسلات: ١-٢] وقد تختلف التقفية فقط كقولنا، حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت.

(قيل: وأحسن السجع ما تساوت قرائنه نحو: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٢٧-٣٠] ثم) أي: بعد أن لا تتساوى قرائنه فالأحسن.

(ما طالت قرينته الثانية نحو: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ١-٢] أو) قرينته.

obeikandi.com

(الثالثة نحو: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣١]) من التصلية.

(ولا يحسن أن يؤتي قرينة) بعد قرينة أخرى.

(أقصر منها) قصرا.

(كثيرا) لأن السجع قد استوفى أمده في الأول بطوله فإذا جاء الثاني أقصر منه كثيرا يبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها، وإنما قال كثيرا احترازا عن نحو قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ [الفيل: ١-٢].

(والأسجاع مبنية على سكون الأعجاز) أي: أواخر فواصل القرائن إذ لا يتم التواطؤ والتزاوج في جميع الصور إلا بالوقف والسكون.

(كقولهم: ما أبعد ما فات، وأقرب ما هو آت) أي: إذ لو لم يعتبر السكون لفات السجع لأن التاء من فات مفتوح ومن آت منون مكسور.

(قيل: ولا يقال في القرآن أسجاع) رعاية للأدب وتعظيما له، إذ السجع في الأصل هدير الحمام ونحو.

وقيل: لعدم الإذن الشرعي، وفيه نظر إذ لم يقل أحد بتوقف أمثال هذا على إذن الشارع وإنما الكلام في أسماء الله تعالى.

(بل يقال) للأسجاع في القرآن أعني الكلمة الاخيرة من الفقرة.

(فواصل، وقيل السجع غير مختص بالنثر ومثله من النظم قوله:

تجلى به رشدي وأثرت)

أي: صارت ذات ثروة.

(به يدي وفاض به ثمدي)

هو بالكسر الماء القليل. والمراد ههنا المال القليل.

(وأورى) أي: صار ذا ورى.

(به زندي)(١) فاما أورى بضم الهمزة وكسر الراء على أنه المتكلم المضارع، من أوريت الزند أخرجت ناره فغلط وتصحيف ومع ذلك يأباه الطبعَ.

(ومن السجع على هذا القول) أي: القول بعدم اختصاصه بالنثر.

(ما يسمى التشطير، وهو جعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها) أي: للسجعة التي في الشطر الآخر، وقوله سجعة في موضع المصدر أي مسجوعا سجعة لأن الشطر نفسه ليس بسجعة أو هو مجاز تسمية للكل باسم جزئه.

(كقوله: تدبير معتصم بالله منتقم، لله مرتغب في الله) أي: راغب فيما يقربه من رضوانه.

(مرتقب) أي: منتظر ثوابه أو خائف عقابه، فالشطر الأول سجعة مبنية على الميم والثانية سجعة مبنيه على الباء.

(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(الموازنة وهي تساوى الفاصلتين) أي: الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو من المصراعين.

---

(١) البيت لأبي تمام أيضاً من قصيدة من الطويل يمدح بها نصر بن منصور ابن بسام الكاتب، أولها:

أأطلالَ هندٍ طالمًا اعتضتَ من هندِ .. أقايضتِ حور العين بالعور والرُّمد

إذا شِئنَ بالألوان كُنَّ عِصابةً .. منَ الهنــــــدِ والآذان كُنّ من الصُّغْد

أعجْنا عليكَ العيسَ بعدَ مَعاجها .. على البيضِ أتراباً على النُّؤى والوتْدِ

فلا دمعَ أو يقفو على إثره دمٌ .. ولا وجدَ مــــا لم تَعْيَ عن صفَة الوجد

ومنها في وصف الممدوح:

سأحْمَدُ نَصراً ما حييتُ وإنَّني .. لأعلم أن قد جلّ نصرٌ عن الحمدِ

وبعده البيت، وبعده:

فإنْ يَكُ أربي عَفْوُ شكري على ندى .. أُناسٍ فقد أربى نَداهُ على جَهْدي

والرشد: الهداية، والثروة: كثرة العدد من الناس والمال، والثمد – بسكون الميم وتحرك – الماء القليل لا مادة له، أو ما يبقى في الجلد، أو ما يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف، والرواية في ديوانه بلفظ حري بدل ثمدي ومعنى أورى به زندي صار ذا وَرْيٍ، وهو عبارة عن الظفر بالمطلوب. والشاهد فيه: مجيء السجع في النظم.

(في الوزن دون التقفية نحو:﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية:١٥،١٦]) فإن مصفوفة ومبثوثة متساويان في الوزن لا في التقفية إذ الأولى على الفاء والثانية على الثاء لا عبرة بتاء التأنيث في القافية على ما بين في موضع.

وظاهر قوله دون التقفية أنه يجب في الموازنة عدم التساوى في التقفية حتى لا يكون نحو: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤] من الموازنة ويكون بين الموازنة والسجع مباينة إلا على رأى ابن الاثير فإنه يشترط في السجع التساوى في الوزن والتقفية ويشترط في الموازنة التساوى في الوزن دون الحرف الأخير فنحو شديد وقريب ليس بسجع وهو أخص من الموازنة وإذا تساوى الفاصلتان في الوزن دون التقفية.

(فإن كان في إحدى القرينتين) من الألفاظ.

(أو أكثره مثل ما يقابله من) القرينة.

(الآخرى في الوزن) سواء كان يماثله في التقفية أو لا.

(خص) هذا النوع من الموازنة.

(باسم المماثلة) وهي لا تختص بالنثر كما توهمه البعض من ظاهر قولهم تساوى الفاصلتين، ولا بالنظم على ما ذهب إليه البعض بل تجرى في القبيلتين فلذلك أورد مثالين.

(نحو قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٧-١١٨]، وقوله مها الوحش) جمع مهاة وهي البقرة الوحشية.

(إلا أن هاتا) أي: هذه النساء.

(أو أنس، قنا الخط إلا أن تلك) لقناة.

(ذوابل)[1] وهذه النساء نواضر.

---

(١) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الطويل يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات أولها:

متى أنتَ عنْ ذُهليةِ الحيِّ ذاهلُ ... وقلبكَ منها مدَّةَ الدَّهر آهِلُ

تُطِلُّ الطلولُ الدَّمعَ في كلِّ موْقفٍ .. وتمثُلُ بالصبرِ الدِّيارُ المواثلُ

دوارسُ لم يجْفُ الرَّبيعُ رُبوعها ...... ولا مرَّ في أغفالها وهوَ غافلُ

والمثالان: مما يكون أكثر ما في إحدى القرينتين مثل ما يقابله من الآخرى لعدم تماثل آتيناهما وهدينا هما وزنا وكذا هاتا وتلك.

ومثال الجميع قول أبي تمام:

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا   وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

وقد كثر ذلك في الشعر الفارسي، وأكثر مدائح أبي الفرج الرومي من شعراء العجم على المماثلة، وقد اقتفى الأنوري أثره في ذلك.

(ومنه) أي: وس اللفظي.

(القلب) وهو أن يكون الكلام بحيث لو عكسته بدأت بحرفه الأخير الحرف الأول كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام ويجري في النثر والنظم.

(كقوله:

مودته تدوم لكل هول   وهل كل مودته تدوم)[1]

=

فقدْ سحبت فيها السحائبُ ذَيلها .. وقد أخلتْ بالنور منها الخمائلُ
تعفينَ من زادِ العُفاةِ إذا انتحى .. على الحيِّ صَرْفُ الأزمةِ المتحاملُ
لهمْ سلفٌ سُمرُ العوالي وسامرٌ ..... وفيهمْ جَمالٌ لا يغيضُ وجامِلُ
ليالِيَ أضْلَلْتَ العزاءَ وخَذَّلت .... بِعقلك آرامُ الظباءِ الخواذِلُ
منَ الهيفِ لو أنَّ الخِلاخِلَ صُيرَتْ .. لها وُشحاً جالت عليها الخلاخِلُ

وبعده البيت، وبعده:

هَوًى كانَ خلساً، إنَّ من أحسنِ الهوَى .. هوًى جُلْتُ في أفنائه وهوَ خاملُ

وهي طويلة. ومها الوحش - بفتح الميم - بقره، والخط هنا بفتح الخاء المعجمة وتكسر: مرفأ للسفن بالبحرين، وإليه تنسب الرماح الخطية لأنها تباع به لا لأنه منبتها.

والشاهد فيه: المماثلة، وهي: أن يكون ما في أحد الفقرتين أو شطري البيت مثل ما يقابله من الآخر في الوزن دون التقفية، وقد تأتي ألفاظ المماثلة من غير قصد كقول امرئ القيس السابق في التشبيه:

كأنَّ المدامَ وصوْبَ الغمام .. وريح الخُزامي ونشر العطر

(١)البيت للأرجاني من قصيدة من الوافر، يمدح بها نجم الدين أبا عبد الله الفضل بن محمد بن الفضل بن محمود، أوّلها:

في مجموع البيت. وقد يكون ذلك في المصراع كقوله:

أرانا الإله هلالا أرانا

(وفى التنزيل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر:٣]) والحرف المشدد في حكم المخفف لأن المعتبر هو الحرف المكتوبة.

وقد يكون ذلك في الفرد نحو سلس ومغايرة القلب بهذا المعنى لتجنيس القلب ظاهر، فإن المقلوب ههنا يجب أن يكون عين اللفظ الذي ذكر بخلافه ثمة، ويجب ثمة ذكر اللفظين جميعا بخلافه ههنا.

(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(التشريع) ويسمى الترشيح وذا القافيتين أيضا.

(وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما) لأن التشريع هو أن يبنى الشارع أبيات القصيدة ذات قافيتين على بحرين أو ضربين من بحر واحد فعلى أي القافيتين وقفت كان شعرا مستقيما.

=

لأيّ وميض بارقةٍ أشيمُ .. ومَرْعى الفضلِ في زَمني هَشِيمُ
أبِيتُ وخدُّ ليل الشّعر منّي .. بكفِّ الصّبحِ من شيبي لطيمُ
وضمَّ إليَّ أفكاري جناحِي ...... فلي في عُشِّ مُطرَحي جُثومُ
فعذراً إنْ تغيَّرَ عهدُ شِعْري .... وقد يُغضي على الزَّللِ الحليمُ
وما قصَّرْتُ عن شأوٍ ولكنْ ...... سقيمٌ كلُّ ما نظم السَّقيمُ

إلى أن قال:

أُحِبُّ المرْء ظاهِرُهُ جميلٌ .... لصـــاحبِهِ وباطِنهُ سَليمُ
يَؤوّل دَعوَتي ويجيبُ طوْعاً ... إذا ما عنَّ لي شرَفٌ مرُومُ
وفي الفتيانِ كلّ ربيطِ جاشٍ .. يرَى حزْبَ الزَّمانِ ولا يَجيمُ

والشاهد فيه: القلب، ويسمى المقلوب، والمستوي، وسماه الحريري بما لا يستحيل بالانعكاس، وهو أن يكون عكس البيت شطره كطرده، وغايته: أن يكون رقيق الألفاظ، سهل التركيب، منسجماً في حالتي النظم والنثر.

قلنا: القافية إنما هي آخر البيت فالبناء على قافيتين لا يتصور إلا إذا كان البيت بحيث يصح الوزن ويحصل الشعر عند الوقوف على كل منهما، وإلا لم تكن الأولى قافية.

(كقوله: يا خاطب الدنيا) من خطب المرأة.

(الدنية) أي: الخسيسة.

(إنها، شرك الردى) أي: حبالة الهلاك.

(وقرارة الأكدار)(١) أي: مقر الكدورات. فإن وقفت على الردى فالبيت من الضرب الثامن الطويل الكامل وأن وقفت على الأكدار فهو من الضرب الثاني منه، والقافية عند الخليل من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع الحركة التي قبل ذلك الساكن، فالقافية الأولى من هذا البيت هو لفظ الردى مع حركة الكاف من شرك، والقافية الثانية هي من حركة الدال من الاكدار إلى الآخر وقد يكون البناء على أكثر من قافيتين وهو قليل متكلف، ومن لطيف ذى القافيتين نوع يوجد في الشعر الفارسي، وهو أن تكون الألفاظ الباقية بعد القوافي الأولى بحيث إذا جمعت كانت شعرا مستقيم المعنى.

(ومنه) أي: ومن اللفظي.

(لزوم ما لا يلزم) ويقال له الإلزام والتضمين والتشديد والإعنات أيضا.

(وهو أن يجيء قبل حرف الروي) وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال قصيدة لامية أو ميمية مثلا، من رويت الحبل إذا فتلته لأنه يجمع بين الأبيات كما أن الفتل يجمع بين قوى الحبل، أو من رويت على البعير إذا شددت عليه الرواء وهو الحبل الذي يجمع به الأحمال.

---

(١) البيت للحريري من الكامل، وبعده:

دار متى ما أضحكتفي يو.... مهاأبكت غداًتبًّا لها من دارِ

والدنية: الخسيسة، وشرك الردى: حبالة الهلاك، وقرارة الأكدار: مقر الهموم والأوصاب المدرة للعيش. والشاهد فيه: التشريع، وسمّاه ابن أبي الأصبع: التوأم، وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما، فهذا البيت وما بعده إذا أُنشد على هيئته كان من ثاني الكامل، وإذا أسقطت الجزءين الأخيرين منه كان من ثامنه فتبقى صورته:

يا خاطب الدُّنيا الدَّنيَّة .. إنَّها شرك الرَّدَى.

(أو ما في معناه) أي: قبل الحرف الذي هو في معنى الروى.

(من الفاصلة) يعني الحرف الذي وقع في فواصل الفقر موقع حرف الروى في قوافي الأبيات. وفاعلي يجيء هو قوله.

(ما ليس بلازم في السجع) يعني أن يؤتى قبله بشيء لو جعل القوافى أو الفواصل أسجاعا لم يحتج إلى الإتيان بذلك الشيء ويتم السجع بدونه.

فمن زعم أنه كان ينبغي أن يقول ما ليس بلازم في السجع أي القافية ليوافق قوله قبل حرف الروي أو ما في معناه فهو لم يعرف معنى هذا الكلام.

ثم لا يخفى أن المراد بقوله يجيء قبل كذا ما ليس بلازم في السجع أن يكون ذلك في بيتين أو أكثر أو فاصلتين أو أكثر، وإلا ففي كل بيت أو فاصلة يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه ما ليس بلازم في السجع كقوله:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ ... بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ

قد جاء قبل اللام ميم مفتوحة وهو ليس بالزم في السجع. وقوله قبل حرف الروي أو ما في معناه إشارة إلى أنه يجري في النثر والنظم.

(نحو: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾[الضحى: ٩-١٠]) فالراء بمنزلة حرف الروي، ومجيء الهاء قبلها في الفاصلتين لزوم ما يلزم لصحة السجع بدونها نحو فلا تنهر ولا تسخر.

(وقوله:

سأشكر عمرا إن تراخت منيتي ... أيادي)

بدل من عمرا.

(أيادي لم تمن وإن هي جلت)

أي لم تقطع أو لم تخلط بمنة وأن عظمت وكثرت.

(فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت)

زلة القدم والنعل كناية عن نزول الشر والمحنة.

(رأى خلتي) أي: فقري.

(من حيث يخفى مكانها) لأني كنت أسترها عنه بالتجمل.

(فكانت) أي: خلتي.

(قذى عينيه حتى تجلت)[1] أي: انكشفت وزالت بإصلاحه إياها بأياديه يعني من حسن اهتمامه جعله كالداء الملازم لأشرف أعضائه حتى تلافاه بالأصلاح، فحرف الروي هو التاء وقد جيء قبله بلام مشددة مفتوحة، وهو ليس بلازم في السجع لصحة السجع بدونها نحو: جلت ومدت ومنت وانشقت ونحو ذلك.

(وأصل الحسن في ذلك كله) أي: في جميع ما ذكر من المحسنات اللفظية.

(أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني دون العكس) أي: أن لا يكون المعاني توابع للألفاظ بأن يؤتى بالألفاظ متكلمة مصنوعة فيتبعها المعنى كيف ما كان كما فعله بعض المتأخرين الذين لهم شعف بإيراد المحسنات اللفظية فيجعلون الكلام كأنه غير مسوق لإفادة المعنى ولا يبالون بخفاء الدلالات، وركاكة المعنى فيصير كغمد من ذهب على سيف من خشب.

بل الوجه أن تترك المعاني على سجيتها فتطلب لانفسها لفظا تليق بها، وعند هذا تظهر البلاغة والبراعة ويتميز الكامل من القاصر، وحين رتب الحريري مع كمال فضله في ديوان الإنشاء عجز، فقال ابن الخشاب: هو رجل مقاماتي وذلك لأن كتابه حكاية تجري على حسب إرادته ومعانيه تتبع ما اختاره من الألفاظ الموضوعة، فأين هذا من كتاب أمر به في قضية، وما أحسن ما قيل في الترجيح بين الصاحب والصابئ: أن الصاحب كان يكتب كما يريد، والصابئ كان يكتب كما يؤمر، وبين الحالتين بون بعيد، ولهذا قال قاضي قم حين كتب إليه الصاحب: أيها القاضي بقم، قد عزلناك فقم، والله ما عزلتني إلا هذه السجعة.

---

(١) الأبيات من الطويل، وقائلها عبد الله بن الزّبير الأسدي في عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وكان سببها ما حكاه أبو غسانة قال: بلغني أنَّ أول من أخذ نسيئةً في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفان، أتى عبد الله بن الزّبير الأسدي فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثًّا، فدعا وكيله وقال له: اقترض له مالاً، فقال: هيهات ما يعطينا التجّار شيئاً، قال: فأربحهم ما شاءوا، فاقترض له ثمانية آلاف درهم بإثني عشر ألفاً، فوجَّه بها إليه من تحت ثيابٍ، فقال عبد الله بن الزّبير الأبيات.

خاتمة الفن الثالث

(في السرقات الشعرية وما يتصل بها) مثل الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح.

(وغير ذلك) مثل القول في الابتداء والتخلص والانتهاء.

وإنما قلنا: إن الخاتمة من الفن الثالث دون أن نجعلها خاتمة للكتاب خارجة عن الفنون الثلاثة كما توهمه غيرنا؛ لأن المصنف قال في الإيضاح في آخر بحث المحسنات اللفظية: هذا ما تيسر لى بإذن الله جمعه وتحريره من أصول الفن الثالث، وبقيت أشياء يذكرها في علم البديع بعض المصنفين وهو قسمان:

أحدهما: ما يجب ترك التعرض له لعدم كونه راجعا إلى تحسين الكلام، أو لعدم الفائدة في ذكره لكون داخلا فيما سبق من الأبواب.

والثاني: مما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة مع عدم دخوله فيما سبق مثل القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها.

(اتفاق القائلين) على لفظ التثنية.

(إن كان في الغرض على العموم كالوصف بالشجاعة والسخاء) وحسن الوجه والبهاء ونحو ذلك.

(فلا يعد) هذا الاتفاق.

(سرقة) ولا استعانة ولا اخذا ونحو ذلك مما يؤدى هذا المعنى.

(لتقرره) أي: لتقرر هذا الغرض العام في.

(العقول والعادات) فيشترك فيه الفصيح والاعجم والشاعر والمفحم.

(وان كان) اتفاق القائلين.

(في وجه الدلالة) أي: طريق الدلالة على الغرض.

(كالتشبيه والمجاز والكناية وكذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن هي له) أي: لاختصاص تلك الهيئات بمن ثبت تلك الصفة له.

(كوصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة) أي: السائلين جمع عافي.

(و) كوصف.

(البخيل بالعبوس) عند ذلك.

(مع سعة ذات اليد أي المال) وأما العبوس عند ذلك مع قلة ذات اليد فمن أوصاف الأسخياء.

(فإن اشترك الناس في معرفته) أي: في معرفة وجه الدلالة.

(لاستقراره فيهما) أي: في العقول والعادات.

(كتشبيه الشجاع بالأسد والجواد بالبحر فهو كالأول) أي: فالاتفاق في هذا النوع من وجه الدلالة كالاتفاق في الغرض العام في أنه لا يعد سرقة ولا أخذا.

(وإلا) أي: وإن لم يشترك الناس في معرفته.

(جاز أن يدعى فيه) أي: في هذا النوع من وجه الدلالة.

(السبق والزيادة) بأن يحكم بين القائلين فيه بالتفاضل وأن أحدهما فيه اكمل من الآخر وأن الثاني زاد على الأول أو نقص عنه.

(وهو) أي: ما لا يشترك الناس في معرفته من وجه الدلالة على الغرض.

(ضربان) أحدهما:

(خاصي في نفسه غريب) لا ينال إلا بفكر.

(و) الآخر.

(عامي: تصرف فيه بما أخرجه من الابتذال إلى الغرابة كما مر) في باب التشبيه والاستعارة من تقسيمهما إلى الغريب الخاصي والمبتذل العامي الباقي على ابتذاله والمتصرف فيه بما يخرجه إلى الغرابة.

(فالأخذ والسرقة) أي: ما يسمى بهذين الاسمين.

(نوعان ظاهر وغير ظاهر. أما الظاهر فهو أن يؤخذ المعنى كله إما) مع.

(اللفظ كله أو بعضه أو) حال كونه.

(وحده) من غير أخذ شيء من اللفظ.

(فإن أخذ اللفظ كله من غير تغيير لنظمه) أي: لكيفية الترتيب والتأليف الواقع بين المفردات.

(فهو مذموم لأنه سرقة محضة ويسمى نسخا وانتحالا كما حكى عن عبد الله بن الزبير أنه فعل ذلك بقول معن ابن أوس:

(إذا أنت لم تنصف أخاك)

أي: لم تعطه النصفة ولم توفه حقوقه.

(وجدته على طرف الهجران)

أي: هاجرا لك متبدلا بك وبأخوتك.

(إن كان يعقل ويركب حد السيف) أي: يتحمل الشدائد تؤثر فيه تأثير السيوف وتقطعه وتقطيعها.

(من أن تضيمه) أي: بدلا من أن تظلمه.

(إذا لم يكن عن شفرة السيف) أي: عن ركوب حد السيف وتحمل المشاق.

(مزحل)[1] أي: مبعد.

---

(١) البيتان لمعن بن أوس المزني، من قصيدة من الطويل، قالها في صديق يستعطفه، وكان معن متزوّجاً بأخته فطلقها، فأقسم أن لا يكلمه:

إذا أنتَ لم تُنصِفْ أخاكَ وجدْتَهُ ..... على طَرَفِ الهِجْرانِ إنْ كانَ يَعْقِلُ
ويَرْكَبُ حَدَّ السَّيفِ منْ أن تَضيمَهُ .. إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السَّيفِ مَزْحَلُ

وأولها:

لَعمرُكَ ما أدْري وإنّي لأوْجَلُ .. على أيِّنا تغدو المنيةُ أوّلُ

فقد حكي أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده هذين البيتين فقال له معاوية: لقد شعرت بعدي يا أبا بكر ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني فأنشد قصيدته التي أولها: [الطويل]

لَعَمرُكَ ما أدري وَإِنّي لأَوجَلُ ... عَلى أَيِّنا تَغــــدو المَنِيَةِ أَوَّلُ

حتى أتمها وفيها هذان البيتان فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير، وقال: ألم تخبرني أنهما لك فقال: اللفظ له والمعنى له، وبعد: فهو أخي من الرضاعة وأنا أحق بشعره.

(وفي معناه) أي: في معنى ما لم يغير فيه النظم.

(أن يبدل بالكلمات كلها أو بعضها ما يرادفها) يعني أنه أيضا مذموم وسرقة محضة كما يقال في قول الحطيئة: [البسيط]

=

وإنّي أخوك الدائم العهدِ لم أحُلْ .. إنْ ابْزاكَ خصــمٌ أو نَبا بك منزلُ
أحاربُ من حاربْتَ من ذي عداوةٍ .. وأحبسُ مالي إن غَرِمْتَ فأعقِلُ
وإن سُؤتَني يوماً صفحت إلى غدٍ .. ليُعقب يومــــاً منك آخرُ مُقبِلُ
كأنك تَشفي منك داءَ مساءتي .. وسُخطي ومـــا في رَيْثَتي ما تَعجَّلُ
وإني على أشياء منك تَريبُني .. قديماً لذو صَفـــــــحٍ على ذاك مُجْمَلُ
سَتقطعُ في الدُّنيا إذا ما قَطَعْتَني .. يمينَكَ فانظرْ أيَّ كــــــفٍّ تبدَّلُ
وفي الناس إنْ رَثَّتْ حبالُكَ واصِلٌ .. وفي الأرض عن دارِ القِلَى مُتَحَوَّلُ

ويعده البيتان، وبعدهما:

وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظِنتي .. وبدّل سوءاً بالذي كنتُ أفعلُ
قَلَبْتُ لهُ ظَهْرَ المِجَنِّ فلم أدُمْ .. على ذاكَ إلاَّ رَيثما أتحــــــوَّلُ
إذا انْصَرفَتْ نفسي عن الشيءِ لم تكدْ .. إليهِ بوجهٍ آخرَ الدهر تُقبلُ

وهذا البيت الأخير، مثل قول حسان بن ثابت، رضي الله عنه:

إذا انصرَفتْ نفسي عن الشيءِ مرّةً .. فلستُ عليهِ آخرَ الدَّهرِ مُقبلا

وشفرة السيف: حده، والمَزحل - بالزاي المعجمة والحاء المهملة - من زحل عن مكانه زحولاً إذا تنحى وتباعد، والمزحل: مصدر بمعنى الزحول، ومعناه: أنه لا يبالي أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه ضيم، أو يلحقه هضم، أو احتقار، متى لم يجد عن ركوبه مبعداً ولا معدلاً.

والشاهد فيهما: سرقة الشعر المذمومة، وهي: أن يؤخذ اللفظ كله من غير تغيير لفظه، ويسمى نسخاً وانتحالاً.

دَعِ المَكارِمَ لا تَرحَل لِبُغيَتِها وَاقعُد فَإِنَّكَ أَنتَ الطاعِمُ الكاسي

ذر المآثر لا تذهب بمطلبها واجلس فإنك أنت الآكل الكّاسي

كما قال امرئ القيس: [الطويل]

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطِيَّهُم يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَمَّلِ

فأورده طرفة في داليته إلا أنه أقام (تجلد) مقام (تجمل).

(وإن كان) أخذ اللفظ كله.

(مع تغيير لنظمه) أي: نظم اللفظ.

(أو أخذ بعض اللفظ) لا كله.

(سمي) هذا الأخذ.

(إغارة ومسخا) ولا يخلو إما أن يكون الثاني أبلغ من الأول أو دونه أو مثله.

(فإن كان الثاني أبلغ) من الأول.

(لاختصاصه بفضيلة) لا توجد في الأول كحسن السبك أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة معنى.

(فممدوح) أي: فالثاني مقبول.

(كقول بشار [البسيط]: مَن راقَبَ الناسَ) أي: حاذرهم.

(لَم يَظفَر بِحاجَتِهِ وَفازَ بِالطَيِّباتِ الفاتِكُ اللَهِجُ)[1]

أي: الشجاع القتال الحريص على القتل.

---

(١) البيت لبشار بن برد من أبيات من البسيط منها:

لو كنتِ تَلْقَيْنَ ما نلقى قَسَمْتِ لنا .. يوماً نعيشُ به فيكُمْ ونبتَهجُ

لا خيرَ في العيش إن دُمنا كذا أبداً .. لا نلتقي وسبيلُ الملتقى نَهَجُ

قالوا حرام تلاقينا فقلتُ لهم .... ما في التَّلاقي ولا في غيره حرجُ

وبعده البيت، وبعده:

أشكو إلى الله هَمًّا لا يفارقني .. وشُرّعا في فؤادي الدَّهْر تعتلجُ

والفاتك اللهج: الجريء الشجاع الذي له ولوع بالقتل.

(وقول سلم:) الخاسر بعده.

(من راقب الناس مات غما) أي: حزنا وهو مفعول له أو تمييز.

(وفاز باللذة الجسور)(١) أي: التشديد الجرئة فبيت سلم اجود سبكا واخصر لفظا.

(وإن كان) الثاني.

(دونه) أي: دون الأول في البلاغة لفوات فضيلة توجد في الأول.

(فهو) أي: الثاني.

(مذموم كقول أبي تمام) في مرثية محمد بن حميد: [الكامل]

(هَيهاتَ لا يَأتِي الزَمانُ بِمِثلِهِ إِنَّ الزَمانَ بِمِثلِهِ لَبَخيلُ)(٢)

---

(١) البيت الثاني لسَلْم الخاسر من أبيات من مخلع البسيط أولها:

بان شبابي فما يحورُ ...... وطالَ من ليليَ القصيرُ
أهدى لي الشوقُ وهو خلوٌ ... أغَنٌّ في طرفهِ فُتورُ
وقائل حين شَبَّ وَجْدي .. واشتعلَ المضمرُ السَّتيرُ
لو شئت أسلاكَ عن هواهُ .... قلبٌ لأشجانه ذكورُ
فقلتُ لا تعجلَنْ بلومي .... فإنما يُنبئ الخبيرُ
عذّبني والهوى صغيرٌ ..... فكيفَ بي والهوى كبيرُ

وبعده البيت. ووقفت في الدر الفريد على بيتين من مديحها وهما:

كأنهُ والقنـــــا دَوانٍ .. يومٌ على ليـــــلةٍ مغيرُ
يريك تحت العجاج وجهاً .. يضلُّ في نوره البصيرُ

والجسور: الشديد الجرأة. والشاهد فيهما: حسن أخذ الثاني من الأول، ويسمى حسن الإتباع، فإن بيت سَلْم أجود سبكاً، وأخصر لفظاً.

(٢) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الكامل يرثي بها محمد بن حميد، وكان قد استشهد في بعض غزواته، وأولها:

بأبي وغير أبي، وذاكَ قليلُ .. ثاوٍ عليه ثَرَى السباخ مَهيلُ
خذلَتهُ أسرَتُهُ كأنَّ سَراتهُ .... جهلوا بأن الخاذل المخذولُ
أكالُ أشلاءِ الفَوارس بالقنا .. أضحَى بهنَّ وشِلْوُهُ مأكولُ
كفى فَقَتْلُ محمدٍ ليَ شاهدٌ .... إنَّ العزيزَ مع الفناء ذليلُ
إن يستضم بعد الإباء فإنه .. قد يُسْتَضام المُصْعَبُ المعقولُ

(وقول أبي الطيب: أعدى الزمان سخاؤه) يعني لعلم الزمان منه السخاء وسرى سخاؤه إلى الزمان.

(فسخا به) وأخرجه من العدم إلى الوجود، ولولا سخاؤه الذي استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقى لنفسه كذا ذكره ابن جني.

وقال ابن فورك: هذا تأويل فاسد لأن سخاء غير موجود لا يوصف بالعدوى، وإنما المراد سخا به عليَّ وكان بخيلا به عليَّ فلما أعداه سخاؤه أسعدني بضمي إليه وهدايتي له لما اعداه سخاؤه.

(ولقد يكون به الزمان بخيلا)(١) فالمصراع الثاني مأخوذ من المصراع الثاني لأبي تمام على كل من تفسيرى ابن جني وابن فورجة إذ لا يشترط في هذا النوع من الأخذ عدم تغاير

=

مستحسَنٌ وجهُ الردى في معركٍ .... قُبْحُ الحياة بحومتيه جميل
أنسى أبا نَصْرٍ، نَسيتُ إذن يدي .. في حيثُ ينتصر الفتى ويُنيلُ

وبعده البيت، وما أحسن ما قال بعده:

ما أنتَ بالمقتول صبراً إنما .. أملَى غَداة نعيكَ المَقتولُ

(١) البيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الكامل يمدح بها بدر ابن عمار صاحب طرابلس الشام، وكان قد خرج إلى أسد فهاجه عن فريسته فوثب على كفل فرسه وأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه وخرج إلى آخر فهرب منه، وأولها:

في الخد إنْ عَزَمَ الخليطُ رَحيلاً .. مَطَرٌ تزيدُ به الخدودُ مُحولاً
يا نَظْرةً نفت الرقادَ فغادَرَت .. في حَدٌ قلبي ما حييتُ فُلولا
كانت من الكحلاء سؤلي إنما ... أجلي تمثل في فؤادي سولا

يقول في مديحها:

مِحك إذا مَطَل الغريمُ بدَينهِ ... جَعَلَ الحسامَ بما أرادَ كفيلا
نَطِقٌ إذا حط الكلام لثامهُ .. أعطى بمنطقه القلوب عقولا

وبعده البيت، وبعده:

فكأنَّ بَرْقاً في مُتون غمامةٍ .... هنديهُ في كفِّهِ مسلولاً
ومحل قائمه يسيلُ مواهباً ... لو كنّ سَيْلاً ما وَجَدْنَ سَبيلا
رقَّتْ مضارِبه فهنّ كأنما .. يُبدينَ من عشقِ الرقابِ نحولا

المعنين أصلا كما توهمه البعض، وإلا لم يكن مأخوذا منه على تأويل ابن جني أيضا لأن ابا تمام علق البخل بمثل المرثى، وأبا الطيب بنفس الممدوح هذا، ولكن مصراع أبي تمام أجود سبكا لأن قول أبي الطيب. ولقد يكون بلفظ المضارع لم يقع موقعه إذ المعنى على المضي.

فإن قيل: المراد فقد يكون الزمان بخيلا بهلاكه أي لا يسمح بهلاكه قط لعلمه بأنه سبب صلاح العام والزمان، وإن سخا بوجوده وبذله للغير لكن إعدامه وإفناؤه باق بعد في تصرفه.

قلنا: هذا تقدير لا قرينة عليه وبعد صحته فمصراع أبي تمام اجود لاستغنائه عن مثل هذا التكلف.

(وإن كان) الثاني.

(مثله) أي: مثل الأول.

(فأبعد) أي: فالثاني أبعد.

(من الذم والفضل للأول كقول أبي تمام: لو حار) أي: تحير في التوصل إلى اهلاك النفوس.

(مرتاد المنية) أي: الطالب الذي هو المنية على أنها إضافة بيان.

(لم يجد إِلّا الفِراقَ عَلى النُّفوسِ دَليلا)[1]

=

أمعفرَ الليث الهِزَبْرِ بسوطِهِ .. لمن ادَّخَرْت الصارمَ المصقولا

واستمر في وصف الليث إلى أن قال:

قبضتْ منيتهُ يديه وعُنقه .. فكأنما صـــــادَفْتهُ مغلولا

سمعَ ابنُ عمتِهِ به وبحالِهِ .. فغدا يهرولُ أمسِ منكَ مهولا

ولقد جاوز المتنبي حد الغلو، وأنا أستغفر الله تعالى لي وله. والشاهد في البيتين: كون المأخوذ دون المأخوذ منه في البلاغة. وهذا الأخذ مذموم مردود، لفوات الفضيلة وعدم الفائدة، فإن المصراع الثاني من بيت أبي الطيب مأخوذ من المصراع الثاني من بيت أبي تمام، لكن مصراع أبي تمام أجود سَبكاً، لأن قول أبي الطيب ولقد يكون بلفظ المضارع لم يصب محزّه، إذْ المعنى على الماضي، والمراد لقد كان.

(١) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الكامل، يمدح بها نوح بن عمرو السكسكي، أولها:

obeikandl.com

(وقول أبي الطيب: [البسيط]

لَوَلا مُفارَقَةُ الأَحبابِ ما وَجَدَت ... لَهَا المَنايا إِلى أَرواحِنا سُبُلا)[1]

الضمير في لها لمنية وهو قال من سبلا أو المنايا فاعلل وجدت، وروي يد المنايا فقد أخذ المعنى كله مع لفظ المنية والفراق والوجدان، وبدل النفوس بالأرواح، وإن أخذ المعنى وحده سمى) هذا الأخذ.

(لماما) من ألم إذا قصد وأصله من ألم بالمنزل إذا نزل به.

(وسلخا) وهو كشط الجلد عن الشاة ونحوها فكأنه كشط عن المعنى جلد، أو ألبسه جلدا آخر فإن اللفظ للمعنى بمنزلة اللباس.

=

يومَ الفراقِ لقد خُلِقتَ طويلا .. لم تُبْقِ لي صبراً ولا مَعقولا

وبعده البيت، وبعده:

قالوا الرحيل فما شَكَكْتُ بأنها .... نَفْسٌ عن الدنيا تُريدُ رَحيلا

الصبرُ أجملُ غيرَ أن تَذلُّلي ...... في الحب أحْرَى أن يكونَ جميلا

أتَظُنني أجِدُ السَّبيلَ إلى العَزا ...... وَجَدَ الحِمامُ إذن إليَّ سبيلا

ردُّ الجَموحِ الصعبِ أيْسَرُ مطلباً .. من رد دمع قد أصاب مَسيلا

وهي طويلة. والارتياد: الطلب، وإضافة المرتاد إلى المنية بيانية، أي المنية الطالبة للنفوس لو تحيرت في الطريق إلى إهلاكها ولم يمكنها التوصل إليها لم يكن لها دليل عليها إلاّ الفراق.

(١)والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من البسيط، يمدح بها سعيد ابن كلاب الطائي وأولها:

أحيا وأيْسَرُ ما لاقَيْتُ ما قتلا .... والبينُ جارَ على ضعفي وما عَدَلا

والوَجد يَقْوَى كما يَقْوى النوى أبداً .. والصبرُ يَنْحَلُ في جسمي كما نَحَلا

وبعده البيت، وبعده:

بما بجفنَيْكِ من سحرٍ صلي دنِفاً .. يهْوى الحياة، وأما إن صَدَدت فَلا

إن لا يَشِبْ فلقد شابَتْ له كبدٌ ...... شَيْباً إذا خَضَبَتْهُ سلوة نَصَلا

يجُنُّ شوقاً فلولا أن رائحةً .... تزورُه في رياح الشرق ما عَقَلا

ها فانظري أو فظُني بي تَرَيْ حُرَقاً .. من لم يذق طَرَفاً منها فقد وإلا

عَلَّ الأميرَ يرى ذلي فَيَشْفَع لي .... إلى التي تركتني في الهوى مَثَلا

وهذا البيت من المخالص القبيحة التي عيبتْ على المتنبي، وسببُ القبح كونه جعل ممدوحه ساعياً بينه وبين محبوبته في الوصال، وفي ذلك ما فيه، وقد سبقه أبو نواس إليه بقوله:

سأشكو إلى الفَضلِ بن يحيى بن خالد .. هواكِ لعل الفَضل يجمَعُ بيننا.

obeikandi.com

(وهو ثلاثة أقسام كذلك) أي: مثل ما يسمى اغارة ومسخا لأن الثاني إما أبلغ من الأول أو دونه أو مثله.

(أولها) أي: أول الأقسام وهو أن يكون الثاني أبلغ من الأول.

(كقول أبي تمام هو) الضمير للشأن.

(الصنع) أي: الإحسان والصنع مبتدأ خبره الجملة الشرطية أعني قوله:

(إن تعجل فخير وإن ترث)

أي: تبطأ.

(فالريث في بعض المواضع أنفع)[1]

والأحسن أن يكون هو فيه عائدا إلى حاضر في الذهن، وهو مبتدأ خبره الصنع والشرطية ابتداء كلام، وهذا كقول أبي العلاء: [الطويل]

هو الهجر حتى ما يلم خيال ... وبعض صدود الزائرين وصال

وهذا نوع من الإعراب لطيف لا يكاد يتنبه إلا الأذهان الراقية من أئمة العرب.

(وقول أبي الطيب: [الخفيف]

وَمِنَ الخَيرِ بُطءُ سَيبِكَ)

أي: تأخر عطائك.

(عَنّي ... أَسرَعُ السُحبِ في المَسيرِ الجَهامُ)[2]

---

(١) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الطويل، أولها:

أما إنهُ لولا الخليطُ المودّعُ ...... ورَبْعٌ عفا منهُ مصيفٌ ومرْبعُ

لَرُدَّتْ على أعْقابها أريَحِية .. منَ الشوْقِ واديها منَ الدَّمعِ مُترَعُ

وهي طويلة، وسيأتي طرف منها في التلميح، إن شَاءَ الله تعالى.

والريث: الإبطاء.

(٢) والبيت الثاني لأبي الطيب، من قصيدة من الخفيف، يمدح بها عليّ ابن أحمد الخراساني المريّ أولها:

لا افتخارٌ إلاَّ لمنْ لا يُضامُ .... مُدْرِكٍ أو مُحارِبٍ لا ينامُ

ليسَ عَزْماً ما مَرَّضَ المرءُ فيهِ .. ليسَ هما ما عاقَ عنهُ الظلامُ

أي: السحاب الذي لا ماء فيه. وأما ما فيه ماء فيكون بطيئا ثقيل المشى فكذا حال العطاء ففى بيت أبي الطيب زيادة بيان لاشتماله على ضرب المثل بالسحاب.

(وثانيها) أي: ثانى الأقسام وهو أن يكون الثاني دون الأول.

(كقول البحتري: وإذا تألق) أي: لمع.

(في الندى) أي: في المجلس.

(كلامه المصقول) المنقح.

(خلت) أي: حسبت.

(لسانه من عضبه)(١) أي: سيفه القاطع.

=

واحتمالُ الأذى ورُؤيةُ جاني .. هِ غذاء تَضوى به الأجسامُ
ذَلَّ من يغبطُ الذليلَ بعيشٍ .. رُبَّ عَيشٍ أخَفُّ منهُ الحِمامُ
كلّ حِلمٍ أتى بغيرِ اقتدارٍ .... حُجةٌ لاجئٌ إليها اللئامُ
مَنْ يَهُنْ يَسهُلِ الهَوانُ عليهِ .... ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

يقول في مديحها:

خيرُ أعضائنا الرُّؤوسُ ولكن .... فضلتها بِقصدكَ الأقدامُ
قَدْ لَعمري أقصرْت عنكَ وللوَفْ .. دِ ازدحامٌ وللعطايا ازدِحامُ
خِفتُ إن صِرْتُ في يمينكَ أن يأ .... خُذني في هِباتكَ الأقوامُ
ومنَ الرُّشدِ لم أزُرْكَ على القُرْ .... بِ، على البعدِ يُعْرَفُ الإلمامُ

وبعده البيت، وبعده:

قُلْ فكم من جَواهرٍ بنظام .... وَدُها أنها بِفيكَ كلامُ
هابَكَ الليلُ والنهارُ فلو تنْ .. هاهُما لم تجُزْ بكَ الأيامُ

والسَّيْب: العطاء، والجهام: السحاب الذي لا ماء فيه، أو الذي هراق ماءه.

والشاهد في البيتين: الإلمام، ويسمى: السلخ، وهو: أخذ المعنى وحده ثمَّ هو على ثلاثة أقسام: إما أبلغ من المأخوذ منه، أو دونه، أو مثله، فبيت المتنبي أبلغ من بيت أبي تمام، لاشتماله على زيادة بيان للمقصود، حيث ضرب المثل بالسحاب.

(١)البيت الأول للبحتري، من الكامل، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، أولها:

مَنْ سائلٌ لمعذبٍ عن خَطبِهِ .. أو صافحٌ لمقصرٍ عن ذَنبِهِ

(وقول أبي الطيب: [البسيط]

كَأَنَّ أَلسُنَهُم فِي النُطقِ قَد جُعِلَت ... عَلى رِماحِهِمِ فِي الطَعنِ خِرصانا)[١]

جمع خرص بالضم والكسر هو السنان، يعني: أن السنهم عند النطق في المضاء والنفاذ تشابه أستهم عند الطعن فكأن ألسنهم جعلت أسنة على رماحهم فبيت البحتري أبلغ لما في

=

وهي طويلة يقول في مديحها:

وإذا استهَلَّ أبو عليّ بالندى ..... جاء الغمامُ المستهلّ بسكبِهِ

وإذا احْتَبى في عقدِهِ من حِلمِهِ .. يوماً رَأيتَ مَتالعاً في هَضْبِهِ

وبعده البيت، وبعده:

وإذا دَجَتْ أقلامُهُ ثمَّ انتَحَتْ .. بَرَقَتْ مَصابيحُ الدُّجى في كُتبِهِ

فاللفظُ يقرُبُ فَهْمُهُ في بُعْدِه .. مِنــــا ويَبعُدُ نَيْلُهُ في قُرْبِهِ

وكأنَّها والحسْنُ مَعْقودٌ بهــا .. شَخْصُ الحبيبِ بَدا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

ومعنى تألق: لمع، والندى: المجلس الغاص بأشراف الناس، والمصقول: المنقح، والعَضْب: السيف القاطع، شبه لسانه بسيفه.

(١)والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من البسيط، يمدح بها أبا سهل الأنطاكيّ، أولها:

قد عَلمَ البينُ منا البينَ أجفانا .... تَدْمى وألّفَ في ذا القلب أحزانا

أمّلْتُ ساعةَ ساروا كشْفَ مِعْصمِها .. لِيَلْبثَ الحَيُّ دونَ السيرِ حيرانا

ولو بَدَتْ لأتاهَتْهُمْ فحجَّبها . ٠٠٠٠ . صَوْنٌ عقولَهُمُ من لحظها صانا

إلى أن قال في مديحها:

ما شَيّدَ الله من مجدٍ لسالفهـــــــمْ .. إلاّ ونحنُ نَــــــراهُ فيهمُ الآنا

إن كوتبوا أو لُقوا أو حوربوا وُجدوا .. في الخطِّ واللفظِ والهَيجاء فُرْسانا

وبعده البيت، وبعده:

كأنهمْ يَردونَ الموتَ من ظمإٍ .. أم ينشقون من الخَطّيِّ رَيْحانا

وخرصان الرمح: أسنتها أو الحلق تطيف بأسافل الأسنة، وواحدها: خُرْص بالضم والكسر، يريد وصف فصاحة ألسنة الممدوحين وطلاقتها.

والشاهد في البيتين: مجيء المأخوذ دون المأخوذ منه، فبيت المتنبي دون بيت البحتري، لأنه قد فاته ما أفاده البحتري بلفظي تألق، والمصقول، من الاستعارة التخييلية، حيث أثبت التألق والصقالة للكلام، كإثبات الأظافر للمنية، ويلزم من هذا تشبيه كلامهُ بالسيف، وهو استعارة بالكناية.

لفظي تألق والمصقول من الاستعارة التخييلية، فإن التألق والصقالة للكلام بمنزلة الأظفار للمنية ولزم من ذلك تشبيه كلامه بالسيف هو استعارة بالكناية.

(وثالثها) أي: ثالث الأقسام وهو أن يكون الثاني مثل الأول.

(كقول الأعرابي) ابن زياد.

(ولَمْ يكُ أكثرُ الفتيانِ مالاً . ولكنْ كانَ أرْحَبَهُمْ ذِراعا)[1]

أي: أسخاهم، يقال: فلان رحب الباع والذراع ورحبتها أي سخي.

(وقول الشجع: وليس) أي: الممدوح يعني جعفر بن يحيى.

(بأوسعهم) الضمير للملوك.

(في الغنى ولكن معروفه) أي: إحسانه.

(أوسع)[2] فالبيتان متماثلان هذا، ولكن لا يعجبني معروفه أوسع.

---

(١)البيت الأول لأبي زياد الأعرابي، من أبيات من الوافر، وقبله:

لهُ نارٌ تُشَبُّ على يَفاعٍ .. إذا النيرانُ أُلبِسَتِ القِناعا

ورَحْب الذراع: كناية عن الوصف بالسخاء، يقال: فلان رحب الذراع، وواسع الذراع، أي سخي.

(٢)والبيت الثاني لأشجع السلمي، من قصيدة من المتقارب، يمدح بها جعفر ابن يحيى البرمكي.

حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: لما ولي الرشيد جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه، ثمَّ دخل الشعراء، فأنشدوه، وقام أشجع في آخرهم، فاستأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قوله:

أتَصبرُ للبينِ أم تجزَعُ .. فإنَّ الدِّيار غــداً بَلْقَعُ
غداً يتفرَّقُ أهلُ الهوَى .. ويكثُرُ باكٍ ومُسترجِعُ

حتى أنتهى إلى قوله:

ودَوِّيةٍ بينَ أقطارِها ...... مَقاطعُ أرْضينَ لا تُقْطَعُ
تجاوَزْتُها فوقَ عيرانةٍ .. من الرِّيحِ في سيرِها أسرَعُ
إلى جعفرٍ نَزَعَتْ رَغبةٌ .... وأيُّ فتًى نحوَهُ يُنْزَعُ
فما دونهُ لامرئٍ مَطْمَعٌ .... ولا لامرئٍ غيرهُ مقنَعُ
ولا يرفعُ الناسُ من حَطهُ .. ولا يَضعونَ الذي يَرْفعُ
تُريدُ الملوكُ مدى جعفرٍ ..... ولا يصنَعونَ كما يصنعُ

وبعده البيت، وبعده:

obeikandl.com

(وأما غير الظاهر فمنه: أن يتشابه المعنيان) أي: معنى البيت الأول ومعنى البيت الثاني.

(كقول جرير: فلا يمنعك من إرب) أي: حاجة.

(لحاهم) جمع لحية يعني كونهم في صورة الرجال.

(سواء ذو العمامة والخمار)[1]

يعني: أن الرجال منهم والنساء سواء في الضعف.

(وقول أبي الطيب: [الوافر]

وَمَن في كَفِّهِ مِنهُم قَناةٌ ... كَمَن في كَفِّهِ مِنهُم خِضابُ[1]

=

تلوذُ المُلوكُ بآرائهِ .... إذا نابها الحـــــدثُ الأفظعُ
بدَيهتهُ مثلُ تَدْبيرهِ .... متى رُمْتهُ فهـــــو مُستجمعُ
وكم قائلٍ إذ رأى ثَرْوَتي .. وما في فُضول الغنى أصنعُ
غَدا في ظِلال نَدى جعفرٍ ...... يجرُّ ذُيولَ الغنى أشجعُ
فقُلْ لخراسانَ تَحيا فَقَدْ .... أتاها ابن يحيى الفَتى الأروَعُ

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكاً، واستحسن شعره، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه، ثمَّ أمر له بألف دينار، قال: ثمَّ بدا للرشيد في ذلك التدبير فعزل جعفراً عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب، وعقد له العقد، وأمر ونهى، فوجم لذلك جعفر، فدخل عليه أشجع، فأنشده:

أمْسَتْ خراسانُ تُعزَّى بها .. أخطأها من جعفر المُرْتجى
كانَ الرشيدُ المُعْتلي أمْرُهُ .. ولَّى على مشـــرِقها الأبلجا
ثمَّ أراهُ رَأيهُ أنهُ .. أمسى إليـــــــه منهمْ أحوَجا
فكم بِهِ الرحمنُ من كُربةٍ .. في مُـــدَّةٍ تقصُرُ قد فرَّجا

فضحك جعفر، وقال: لقد هوَّنت عليَّ العزل، وقمت لأمير المؤمنين بالعذر، فسَلني حاجتك، فقال: كفاني جودك ذل السؤال، فأمر له بألف دينار أخرى.

والشاهد في البيتين مجيء المأخوذ مثل المأخوذ منه.

(١)البيت الأول لجرير، من قصيدة من الوافر. والأرب: الحاجة، واللحى - بالضم والكسر - جمع لحية، وهي شعر الخدّين والذقن. والخمار - بالكسر - النَّصِيف، وهو ما ستر الرأس، وكلّ ما ستر شيئاً فهو خمار. والمعنى: لا يمنعك من الحاجة كونُ هؤلاء على صورة الرجال، لأنَّ الرِّجال والنِّساء منهم سواء في الضعف.

واعلم أنه يجوز في تشابه المعنيين اختلاف البيتين نسيبا ومديحا وهجاء وافتخارا أو نحو ذلك.

فإن الشاعر الحاذق إذا قصد إلى المعنى المختلس لينظمه احتال في إخفائه فغير لفظه وصرفه عن نوعه ووزنه وقافيته وإلى هذا أشار بقوله:

(ومنه) أي: غير الظاهر.

(أن ينقل المعنى إلى محل آخر كقول البحتري [الكامل]: سُلِبوا) أي: ثيابهم.

(وَأَشرَقَتِ الدِماءُ عَلَيهِمُ مُحمَرَّةً فَكَأَنَّهُم لَم يُسلَبوا)(٢)

=

(١)والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الوافر، يمدح بها سيف الدولة، ويذكر فيها خضوع بني كلاب وقبائل العرب له، وأوّلها:

بغيرِكَ راعياً عبثَ الذّئابُ .. وغيرُكَ صارماً ثَلَمَ الضِّرابُ
وتملك أَنْفُسَ الثقلين طرّاً ... فكيفَ تحُوزُ أنفُسَهَا كلابُ
وما تركوكَ معْصِيَةً ولكنْ .. يُعَافُ الوِرْدُ المَوْتُ الشّرابُ
طلبتَهُمُ على الأَمْوَاهِ حتَّى .... تخوف أن تُفَتِّشَهُ السّحابُ

وهي طويلة يقول فيها:

ولكنْ رَبُّهُمْ أسْرَى إليهم .. فما نَفَعَ الوقوفُ ولا الذَّهابُ
ولا ليلٌ أجَنَّ ولا نهارٌ .... ولا خَيْلٌ حَمَلْنَ ولا رِكابُ
رميتَهُمُ ببحرٍ من حَديدٍ .... له في البرّ خلفَهُمُ عُبابُ
فمسَّاهُمْ وبُسْطُهُمُ حريرٌ .... وصَبّحهُمْ وبُسْطُهُمُ ترابُ

وبعده البيت، وبعده:

بَنو قَتلى أبيكَ بأرضِ نجْدٍ ..... ومن أبقى وأبقَتْهُ الحرابُ
عفَا عنهمْ وأعتَقَهُمْ صغاراً .. وفي أعناقِ أكثرهمْ سِخَابُ

والشاهد في البيتين: الأخذ الخفي مع تشابه المعنيين، فتعبير جرير عن الرجل بذي العمامة كتعبير أبي الطيب عنه بمن كفه قناة، وكذا تعبير جرير عن المرأة بذات الخمار كتعبير أبي الطيب عنها بمن في كفه خضاب.

(٢)البيت الأول للبحتري من قصيدة من الكامل يمدح بها إسحاق بن إبراهيم، وأوّلها:

عارَضْننا أُصُلاً فقلنا الرَّبْرَبُ ..... حتَّى أضاءَ الأُقحوانُ الأَشنَبُ
واخْضَرَّ مَوْشِيّ البُرود وقد بَدَا ...... منهنَّ ديباجُ الخدودِ المُذْهَبُ
أوْمَضْنَ من خَلَلِ السُّجوفِ فراعَنَا .. بَرْقَانِ خالٍ ما يَشام وخُلَّبُ

obeikandi.com

لأن الدماء المشرقة كانت بمنزلة الثياب لهم.

(وقول أبي الطيب [الكامل]: يَبِسَ النَّجيعُ عَلَيهِ) أي: على السيف.

(وَهوَ مُجَرَّدٌ مِن غِمدِهِ وَكَأَنَّما هُوَ مُغمَدُ)(١)

=

ولوَ انِّي أنصفتُ في حكم الهَوَى .. ما شِمْتُ بارقَةً ورأسي أشيَبُ

إلى أن قال فيها:

ما إن ترى إلاَّ تَوَقُّدَ كوكبٍ .. من قومس قد غابَ فيه كوكبُ
فمجدَّلٌ وموسَّدٌ ومُرَمَّلُ ...... ومُضَرَّجٌ ومُضَمَّخٌ ومُخَضَّبُ

وبعده البيت، وبعده:

ولوَ انَّهم ركبوا الكواكبَ لم يكن .. لمجدِّهم من جدِّ بأسكَ مَهْرَبُ

وهي طويلة. ومعنى البيت: أنَّ الدِّماء المشرقة صارت بمنزلة الثياب عليهم.

(١) البيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الكامل أيضاً، يمدح بها شجاع بن محمد الطائي، أوّلها:

اليومَ عهدكمُ فأينَ الموعِدُ ...... هيهاتَ ليسَ ليَوْمِ مَوْعِدِكم غَدُ
الموتُ أقرب مخلَباً من بينِكم ...... والعيشُ أبعَدُ منكم لا تَبعَدُوا
إنَّ التي سفكتْ دمي بجُفونِها .... لم تَدرِ أنَّ دمي الذي تَتَقَلَّدُ
قالت وقد رأت اصْفِراري مَنْ بِهِ .... وتنهَّدَتْ فأجبْتُها المُتَنَهِّدُ
فمضتْ وقد صَبَغَ الحياءُ بياضَها .. لوني كما صَبَغَ اللّجينَ العَسْجَدُ
فرأيتُ قرنَ الشَّمسِ في قمرِ الدُّجى .... متأوِّداً غصنٌ بهِ يتأوَّدُ
عدويَّةٌ بدويَّةٌ مِنْ دونها .... سلبُ النُّفوسِ ونارُ حربٍ توقدُ
وهوَاجلٌ وصواهلٌ ومناصلٌ .... وذوابلٌ وتوعُّدٌ وتهدُّدُ
أبلتْ مودَّتَها اللَّيالي بعدَنا .... ومشَى عَليها الدَّهرُ وهو مقيَّدُ
أبرَحْتَ يا مرضَ الجفونِ بممرضٍ .. مَرِضَ الطَّبيبُ له وعِيدَ العوَّدُ

وهي طويلة، يقول في مديحها:

كنْ حيثُ شئتَ تسرْ إليكَ ركابُنا .. فالأرضُ واحدةٌ وأنتَ الأوحدُ
وصُنِ الحسامَ ولا تذلهُ فإنَّهُ .... يشكو يمينكَ والجماجمُ تشهدُ

وبعده البيت وبعده:

رَيان لو قَذَفَ الذي أسْقَيْتَه .. لجَرَى مِن المهجاتِ بحرٌ مزبدُ
ما شاركتْهُ منيةٌ في مهجةٍ .... إلاَّ وشَفْرَتُهُ على يدها يدُ

والنجيع من الدم: ما كان إلى السواد، وهو دم الجوف، والغمد - بالكسر - جفن السيف. والشاهد في البيتين: نقل المعنى الآخر المأخوذ إلى محل آخر، فمعنى بيت المتنبي أنَّ الدم اليابس صار بمنزلة غمد السيف، فنقل المعنى من القتلى والجرحى إليه.

لأن الدم اليابس بمنزلة غمد له فنقل المعنى من القتلى والجرحى إلى السيف.

(ومنه) أي: من غير الظاهر.

(ان يكون معنى الثاني أشمل) من معنى الأول.

(كقول جرير: [الوافر]

إِذا غَضِبَت عَلَيكَ بَنو تَميمٍ ... حَسِبتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضابا)(١)

لأنهم يقومون مقام كلهم.

(وقول أبي نواس: [السريع]

وَلَيسَ اللهَ بِمُستَنكِرٍ ... أَن يَجمَعَ العالَمَ في واحِدِ)(٢)

فإنه يشمل الناس وغيرهم فهو أشمل من معنى بيت جرير.

(ومنه) أي: من غير الظاهر.

---

(١)البيت الأول لجرير، من قصيدة من الوافر تقدَّم ذكر أولها في شواهد الاستخدام، ومنها قبل البيت:

لنَا حوضُ الحجيجِ وساقِياهُ .. ومَنْ وَرِثَ النبوَّةَ والكتابَا

ألسنَا أكثرَ الثقلينَ حيًا .... ببطْنِ مِنًى وأكثرَهُمْ قِبَابَا

وبعده البيت، وبعده:

فلا وأبيكَ ما لاقيتُ حيًا ...... كيَرْبُوعٍ إذا رَفَعُوا النقَابَا

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُميرٍ .. فلا كعباً بلغْتَ ولا كِلابَا

والمعنى: أنَّ بني تميم يقومون مقام الناس كلهم.

(٢)والبيت الثاني لأبي نُوَاس، من أبيات السريع، كتبها للرشيد مادحاً الفضل بن الربيع، وهي:

قولا لهارُونَ إمامِ الهدَى .. عندَ احتفالِ المجلسِ الحاشِدِ

نصيحَةُ الفضلِ وإشفاقُهُ .. أخلى لهُ وجهكَ مِنْ حاسِد

بِصادِقِ الطَّاعَةِ ديانها .... وواحِدِ الغائِبِ والشاهِدِ

أنتَ على ما بِكَ مِنْ قدرَةٍ .. فلسْتَ مثلَ الفضلِ بالواجِدِ

أَوْحَدَهُ اللهُ فما مِثلُــــهُ .. لطالبِ ذاكَ ولا نـــــاشِدِ

وبعده البيت.

والشاهد في البيتين: مجيء معنى المأخوذ أشمل من معنى المأخوذ منه، فإنَّ بيت جرير يخصُّ بعض العالم، وبيت أبي نواس يشمله.

(القلب: وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول كقول أبي الشيص: [الكامل]

أَجِدُ المَلامةَ في هَواكِ لَذيذَةً ... حُبّاً لِذكرِكِ فَليَلُمني اللُّوَّمُ (١)

وقول أبي الطيب: أأحبه) الاستفهام للإنكار باعتبار القيد الذي هو الحال أعني قوله.

(وأحب فيه ملامة) كما يقال: أتصلي وأنت محدث على تجويز واو الحال في المضارع المثبت كما هو رأي البعض، أو على حذف المبتدا أي وأنا أحب. ويجوز أن يكون الواو للعطف، والإنكار راجع إلى الجمع بين الأمرين أعني محبته ومحبة الملامة فيه.

(إن الملامة فيه من أعدائه)(٢) وما يصدر عن عدو المحبوب يكون مبغوضا لا محبوبا وهذا نقيض معنى بيت أبي الشيص لكن كل منهما باعتبار آخر، ولهذا قالوا الأحسن في هذا النوع أن يبين السبب.

---

(١) البيت الأول لأبي الشِّيص، من أبيات من الكامل، وقبل البيت:

وقف الهَوَى بي حيثُ أنتَ فليسَ لي .. مُتأخَّرٌ عنهُ ولا مُتقدَّمُ

وبعده البيت، وبعده:

أشبهتَ أعدائي فصرتُ أحبهمْ .. إذْ كانَ حظي مِنكَ حظي منهُمُ

وأهنتني وأهنتُ نفسي عامداً .... ما مَنْ يهونُ عليكَ مِمَّنْ يُكرمُ.

(٢) والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة من الكامل يمدح بها سيف الدولة، أولها:

القلبُ أعلم يا عذولُ بدائهِ .... وأحق منكَ بجفنهِ وبمائهِ

فوَمَن أحبُّ لأعْصِيَنَّكَ في الهَوَى .. قسَماً بهِ وبحُسنهِ وبهائهِ

وبعده البيت، وبعده:

عجبَ الوُشاةُ من اللحاةِ وقولهمْ .. دَعْ ما نراكَ ضعُفْتَ عن إخفائهِ

ما الخلُّ إلاَّ مَنْ يودّ بقلبِــــه .. ويَرى بطرفٍ لا يرى بســــوائهِ

إنَّ المعينَ على الصبابــــةِ بالأسى .. أولى برحمةِ رَبهــــا وإخائه

مَهلاً فإنّ العذلَ من أسقامــهِ .. وترفقاً فالسمــــعُ من أعضائهِ

وهَبِ الملامةَ في اللذاذة كالكَـرَى .. مطرودَة بسُهــــادهِ وبُكائهِ

لا تعذلِ المشتاقَ في أشواقــهِ .. حتَّى يكــونَ حَشاكَ في أحشائهِ

إنَّ القتيلَ مُضَرَّجاً بدُموعـــهِ .. مثلُ القتيـــل مُضَرَّجاً بِدمائهِ

والعشق كالمَعْشوق يَعذبُ قُربــه .. للمبتلي وينـــال من حَوْبائهِ

لو قلتَ للدنفِ الحزين فَدَيْتُـــه .. ممَّا به لأغرتــــه بفدائهِ

openkalam.com

(ومنه:) أي: من غير الظاهر.

(أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه ما يحسنه كقول الأفوه: [الرمل]

وَتَرى الطَيرَ عَلى آثارِنا رَأيَ عَينٍ (١)

يعني: عيانا.

(ثِقَةً) حال رأي أو مفعول له مما يتضمنه قوله على آثارنا أي كائنة على آثارنا لوثوقها.

(أَن سَتُمارُ) أي: ستطعم من لحوم من نقتلهم.

(وقول أبي تمام [الطويل]: وَقَد ظُلِّلَت) أي: ألقى عليها الظل وصارت ذوات ظل.

(عِقبانُ أَعلامِهِ ضُحىً بِعِقبانِ طَيرٍ في الدِماءِ نَواهِلِ)

من نهل إذا روى نقيض عطش.

(أَقامَت) أي: عقبان الطير.

(مَعَ الراياتِ) أي: لأعلام وثوقا بأنها ستطعم لحوم القتلى.

(حَتّى كَأَنَّها مِنَ الجَيشِ إِلّا أَنَّها لَم تُقاتِلِ)(٢)

=

والشاهد في البيتين: كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه، فبيت أبي الطيب نقيض بيت أبي الشيص، والأحسن في هذا النوع أن يبين السبب كما في هذين البيتين إلا أن يكون ظاهراً كما في قول أبي تمام:

ونغْمة مُعْتَفٍ جَدْواه أحلى .. على أذْنَيْهِ من نَغَم السَّماع.

(١) البيت الأول للأفوه الأوديِّ، من قصيدة من الرمل أولها:

إن ترى رأسِيَ فيه نزَعٌ .. وشَواتي خلة فيها دوار

يقول فيها:

إنما نعْمَةُ قوم متعةٌ .. وحياة المرء ثوبٌ مُسْتعار

حتم الدَّهر علينا أنهُ .. ظَلَفٌ ما نالَ مِنَّا وجُبار

ظلف: باطل، وجبار: هَدَر.

وهذه القصيدة من جيد شعر العرب، وهي التي نهى النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم عن إنشادها لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام، وإياه عني بقوله فيها:

رَيَّشَتْ جُرْهمُ نبلاً فَرَمى .. جُرْهُما منْهُنَّ فوقٌ وغرار

(٢)والبيتان الأخيران لأبي تمام من قصيدة من الطويل، يمدح بها المعتصم والأفشين، وأولها:

(فإن أبا تمام لم يلم بشيء من معنى قول الأفوه رأي عين) الدال على قرب الطير من الجيش بحيث ترى عيانا لا تخيلا. وهذا مما يؤكد شجاعتهم وقتلهم الأعادي.

(ولا) بشيء من معنى.

(قوله: ثقة أن ستمارة) الدال على وثوق الطير بالميرة لاعتيادها بذلك وهذا أيضا مما يؤكد المقصود.

=

غدَا الملكُ مَعْمورَ الحرا والمنازل .. مُنَوَّر وَحْفِ الروض عذبَ المناهلِ
بمعتصم بالله أصبح مَلْجــــأ .. ومُعتصماً حـــــرزاً لكلّ مُوائِل
لقد ألبَسَ الله الإمام فضائـــلاً .. وقَى طَرَفيْها باللُّهى والفَــواضل
فأضحَت عطاياه نَــوازعَ شُرَّداً .. تُسائل في الآفاق عن كل ســـائل
مواهبُ جُزْنَ الأرضَ حتَّى كأنها .. أخذنَ بأهْداب السَّحاب الهَواطل

ومنها في مديح الأفشين:

شهدت أميرَ المؤمنين شهادةً .... كثيرٌ ذَوو تصديقها في المحافل
لقد لَبَّس الأفشينُ قَسْطَلَةَ الوغَى .. مُحشاً بنصل السيف غيرَ مُواكل
وجَرَّد من آرائه حين أضْرِمَتْ .... عزائمُ كانت كالقنا والقنابل
رأى بابكُ منه التي لا شَوَى لها .. سِوَى بِسلم ضَيْمٍ أو صفيحة قاتل
تراه إلى الهيجاء أول راكبِ .... وتحت صبير الموت أولَ نازل
تَسَرْبَلَ سر بالأمن الصبر وارتدى .. عليه بعضب في الكريهة فاصِل

وبعده البيتان. والنواهل: جمع ناهلة، من نهل إذا روى، والرايات: الأعلام. ومعنى البيت الأول إنك ترى الطير كائنة على آثارنا، لوثوقها واعتيادها أن سنطعمها من لحوم من نقتلهم من أعدائنا.

ومعنى البيتين الأخيرين أن رايات الممدوح التي هي كالعقبان قد صارت مظللة بالعقبان من الطيور النواهل في دماء القتلى، لأنه إذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لأكل لحوم القتلى، فتلقى ظلالها عليها، والعقاب يطلق على الراية الضخمة، والشاهد في الأبيات: أن يؤخذ بعضُ معنى المأخوذ منه ويضاف إليه ما يحسنه فإن أبا تمام لم يلم بشيء من معنى قول الأفوه رأى عين ولا قوله ثقة أن ستمار، ولكنه زاد عليه زيادات محسنة لبعض المعنى الذي أخذه بقوله إلا أنها لم تقاتل وبقوله في الدماء نواهل وبقوله أقامت مع الرايات حتَّى كأنها من الجيش، وبهذه الزيادة يتم حسن قوله إلا أنها لم تقاتل لأنه لو قيل ظللت عقبان الرايات بعقبان الطير إلا أنها لم تقاتل لم يحسن هذا الاستثناء المنقطع ذلك الحسن، لأن إقامتها مع الرايات حتَّى كأنها من الجيش مظنة أنها أيضاً تقاتل مثل الجيش، فيحسن الاستدراك الذي هو رفع التوهم الناشئ من الكلام السابق، بخلاف وقوع ظلها على الرايات. وما ذكر في الأبيات من أن الطير تتبع جيشه لتغتذي مما يقتل من أعدائه معنى متداول بين الشعراء، وأول من نطق به الأفوه هذا

obeikandi.com

قيل: أن قول أبي تمام وقد ظلت المام بمعنى قوله: رأي عين؛ لأن وقوع الظل على الرايات مشعر بقربها من الجيش.

وفيه نظر؛ إذ قد يقع ظل الطير على الراية وهو في جو السماء بحيث لا يرى أصلا. نعم لو قيل: إن قوله حتى كأنها من الجيش إلمام بمعنى قوله رأي عين فإنها تكون من الجيش إذا كانت قريبا منهم مختلطا بهم لم يبعد عن الصواب.

(لكن زاد) أبو تمام.

(عليه) أي: على الأفوه زيادات محسنة للمعنى المأخوذ من الأفوه أعني تساير الطير على آثارهم.

(بقوله: إلا أنها لم تقاتل، وبقوله في الدماء: نواهل، وبإقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش وبها) أي: وبإقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش.

(يتم حسن الأول) يعني قوله: إلا أنها لم تقاتل؛ لأنه لا يحسن الاستدراك الذي هو قوله إلا أنها لم تقاتل، ذلك الحسن إلا بعد أن يجعل الطير مقيمة مع الرايات معدودة في عداد الجيش حتى يتوهم أنها أيضا من المقاتلة، وهذا هو المفهوم من الإيضاح.

وقد قيل: معنى قوله وبها أي بهذه الزيادات الثلاث يتم حسن معنى البيت الأول.

(واكثر هذه الأنواع) المذكورة لغير الظاهر.

(ونحوها مقبولة) لما فيها من نوع تصرف.

(ومنها:) أي: من هذه الأنواع.

(ما يخرجه حسن التصرف من قبيل الاتباع إلى حيز الابتداع، وكل ما كان أشد خفاء) بحيث لا يعرف كونه مأخوذا من الأول إلا بعد مزيد تأمل.

(كان أقرب إلى القبول) لكونه أبعد عن الاتباع وادخل في الابتداع.

(هذا) أي: الذي ذكر في الظاهر وغيره من ادعاء سبق أحدهما، وأخذ الثاني منه وكونه مقبولا أو مردودا وتسمية كل بالأسامي المذكورة.

(كله) إنما يكون.

(إذا علم أن الثاني أخذ من الأول) بأن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم أو بأن يخبر هو عن نفسه أنه أخذ منه وإلا فلا يحكم بشيء من ذلك.

(لجواز أن يكون الاتفاق) في اللفظ والمعنى جميعا أو في المعنى وحده.

(من قبيل توارد الخواطر) أي: مجيئه.

(على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ) كما يحكى عن ابن ميادة أنه أنشد لنفسه: [الطويل]

مُفيدٌ وَمِتلافٌ إذا ما أتيته تَهَلَّلَ وَاهتَزَّ اِهتِزازَ المُهَنَّدِ

فقيل له: أين يذهب بك هذا للحطيئة، فقال: الآن علمت أني شاعر إذا وافقته على قوله ولم أسمعه.

(فإذا لم يعلم) أن الثاني أخذ من الأول.

(قيل: قال فلان كذا، وقد سبقه إليه فلان فقال كذا) ليغتنم بذلك فضيلة الصدق ويسلم من دعوى علم الغيب ونسبة النقص إلى الغير.

(ومما يتصل بهذا) أي: بالقول في السرقات.

(القول في الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح) بتقديم اللام على الميم من لمحه إذا أبصره، وذلك لأن في كل منها أخذ شيء من الآخر.

(أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام) نظما كان أو نثرا.

(شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه) أي: لا على طريقة أن ذلك الشيء من القرآن أو الحديث، يعني على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه منه كما يقال في أثناء الكلام قال الله تعالى كذا، وقال النبي عليه السلام كذا، ونحو ذلك فإنه لا يكون اقتباسا.

ومثل للاقتباس بأربعة أمثلة لأنه إما من القرآن أو الحديث، وكل منهما إما في النثر أو في النظم. فالأول:

(كقول الحريري: فلم يكن إلا كلمح البصر، أو هو أقرب حتى أنشد وأغرب).

والثاني مثل:

(قول الآخر: إنْ كنتَ أَزْمَعْتَ) أي: عزمت.

(على هَجْرِنا من غيرِ ما جُرْمٍ فصَبْرٌ جَميلْ
وإنْ تَبَدَّلْتَ بنا غيرَنا فَحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكيلْ (١)

و) الثالث مثل:

(قول الحريري: قلنا: شاهت الوجوه) أي: قبحت، وهو لفظ الحديث على ما روي أنه لما اشتد الحرب يوم حنين أخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به وجوه المشركين وقال: "شَاهَتِ الْوُجُوهُ"(٢).

(وقُبح) على المبنى للمفعول، أي: لعن من قبحه الله بالفتح أي أبعده عن الخير.

(اللكع) أي: لعن اللئيم.

(و) الرابع مثل:

(قول ابن عباد [مجزوء الرمل]: قال) أي: الحبيب.

(لي إنَّ رَقيبي سَيِّئُ الخُلقِ فَدارِهِ) من المداراة وهي الملاطفة والمجاملة وضمير المفعول للرقيب.

(قُلتُ دَعني وَجهُكَ الجَنـ ـنَةُ حُفَّت بِالمَكارِهِ (٣)

---

(١) البيتان من السريع، وقائلها أبو القاسم بن الحسن الكاتبي. ومعنى أزمعت: أجمعت على الأمر وثبتَّ عليه، والجرم - بالضم - الذنب، والصبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه، كما أن الصفح الجميل هو الذي لا عتب فيه، والهجر الجميل هو الذي لا غيبة فيه. والشاهد في البيت الثاني: الاقتباس من القرآن العظيم.

(٢) أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (١٧٨٠)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٧٥٧)، وأخرجه الدارمي (٢٤٥٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٥٠٢).

(٣) البيتان للصاحب بن عباد، من الرمل. والرقيب: الحافظ والحارس، والمداراة: الملاطفة والمخاتلة. والشاهد في البيت الثاني: الاقتباس من الحديث، ولفظه: " حُفَّت الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النَّار بالشهوات " .

اقتباسا من قوله عليه السلام: "حُفَّتْ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ "[1]. أي: أحيطت. يعني: لابد لطالب جنة وجهك من تحمل مكاره الرقيب، كما أنه لابد لطالب الجنة من مشاق التكاليف.

(وهو) أي: الاقتباس.

(ضربان) أحدهما.

(ما لم ينقل فيه المقتبس عنه معناه الأصلي كما تقدم) من الأمثلة.

(و) الثاني.

(خلافه) أي: ما نقل فيه المقتبس عن معناه الأصلي.

(كقول ابن الرومي: [الوافر]

لئن اخطأت في مدحك ... ما أخطأت في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي ... بواد غير ذي زرع)[2]

=

والحفوف: الإحاطة بالشيء. والمعنى: أن وجهك لحسنه جنة، فلا بدَّ لي من تحمُّل مكاره الرقيب، كما أنه لا بد لطالب الجنَّة الحقيقية من تحمُّل مشاق التكاليف.

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٦٤٨٧)، وأخرجه مسلم (٢٨٢٤)، وأخرجه الترمذي (٢٥٥٩)، وأخرجه أحمد في مسنده (٧٤٧٧)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٤٧٧)، وأخرجه البزار في البحر الزخار (٣٢٠٣).

(٢) البيتان من الهزج، وينسبان لابن الرُّومي، لكن رأيت في الأغاني نسبتها إلى إسماعيل القراطيسيّ، ولفظه: حدَّث أحمد بن بشر المرثديّ قال: مدح إسماعيل القراطيسيّ الفضل بن الرَّبيع، فحرمه، فقال فيه، وذكر البيتين، وذكر قبلهما بيتاً آخر، وهو:

أَلاَ قُلْ للَّذي لم يَهْ .. دِهِ الله إلى نَفْعِي

ورأيت في كتاب الدر الفريد بعد البيت الأوَّل بيتين، وهما:

لِساني فيكَ مُحْتاجٌ .. إلى التَّخْليعِ والقَطْعِ
وأَنيابِي وأَضراسِي .. إلى التَّكْسيرِ والقَلْعِ

والشاهد فيهما: الاقتباس من القرآن مع نقله عن معناه الأصلي، فإنَّ معناه في القرآن وادٍ لا ماء فيه، وهنا نقله إلى جَناب لا خَيرَ فيه ولا نفع.

هذا (مقتبس من قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]) لكن معناه في القرآن واد لا ماء فيه ولا نبات، وقد نقله ابن الرومي إلى جانب لا خير فيه ولا نفع.

(ولا بأس بتغيير يسير) في اللفظ المقتبس.

(للوزن أو غيره كقوله) أي: كقول بعض المغاربة.

(قد كان) أي: وقع.

(ما خفت أن يكونا   إنا إلى الله راجعونا)(١)

وفى القرآن: ﴿ إِنَّا لله وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ﴾[البقرة: ١٥٦].

(وأما التضمين فهو: أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير) بيتا كان أو ما فوقه أو مصراعا أو ما دونه.

(مع التنبيه عليه) أي: على أنه من شعر الغير.

(إن لم يكن ذلك مشهورا عند البلغاء) وبهذا يتميز عن الأخذ والسرقة.

(كقوله) أي: كقول الحريري: يحكي ما قاله الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع:

(على أني سأنشد عند بيعي: أَضاعُوني وَأَيَّ فَتىً أَضاعُوا) المصراع الثاني للعرجي، وتمامه: [الوافر]

لِيَومِ كَريهَةٍ وَسِدادِ ثَغرِ

اللام في ليوم لام التوقيت والكريهة من أسماء الحرب وسداد الثغر بكسر السين لا غير سده بالخير والرجال والثغر موضع للمخافة من فروج البلدان أي: أضاعوني في وقت الحرب وزمان سد الثغور ولم يراعوا حقى أحوج ما كانوا إليَّ، وأي فتى أي كاملا من الفتيان أضاعوا.

---

(١) الشاهد فيه: الاقتباس مع تغيير يسير في التقفية. ومن الأمثلة الشعرية في الاقتباس قول الأحوص:

إذا رُمتُ عنها سَلْوَةً قال شافعٌ .. من الحبِّ: ميعادُ السُّلوّ المَقابِرُ

سَتَبْقى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشا .. سَرَائرُ ودٍّ يومَ تُبْلَى السَّرائرُ.

وفيه تنديم وتخطئة لهم وتضمين المصراع بدون التنبيه لشهرته كقول الشاعر:

قدْ قاتُ لمَّا أطلعَتْ وَجنـــاته ... حولَ الشَّقيق الغضّ روضَةَ آسِ

أَعِذارَهُ السَّاري العجول تَرَفُّقاً ... ما في وقوفـــك ساعة من باسِ

المصراع الأخير لأبي تمام.

(وأحسنه) أي: أحسن التضمين.

(ما زاد على الأصل) أي: شعر الشاعر الأول.

(بنكتة) لا توجد فيه.

(كالتورية) أي: الإيهام.

(والتشبيه في قوله: إذا الوَهْمُ أَبْدى) أي: أظهر.

(لِي لَمَاها) أي: سمرة شفتيها.

(وثَغْرَهَا ... تَذَكَّرْتُ ما بينَ العُذَيْبِ وبَارِقِ ... ويُذْكِرُني) من الإذكار.

(منْ قدِّها ومَدَامِعِي ... مَجَرَّ عَوَالينا ومَجْرَى السَّوابِقِ)[1] انتصب مجرَّ على أنه مفعول ثان ليذكرني وفاعله ضمير يعود إلى الوهم.

---

(١) البيتان لابن أبي الأصبع، من الطويل. والعذيب: ماء من مياه العرب، وبارق: من دياراتها. والشاهد فيهما: التضمين، فإنَّ المصراعين الأخيرين منهما مطلع قصيدة، لأبي الطيب المتنبّي يمدح بها سيف الدولة، ويذكر وقعته ببني عقيل، فنقلهما ابن أبي الأصبع من الحماسة إلى الغَزَل، والبيتان المذكوران من قصيدة مطلعها:

أَعِزْ مقلَتِي إنْ كنتَ خير مُوافِقِ .... دُموعاً لتبكي فَقَدَ حِبٌّ مُفَارِقِ

فقدْ نَضَبَتْ يومَ الوَداعِ مَدَامِعي .. وشابَتْ لتشتيتِ الفراقِ مَفَارِقِي

وقد ضمنه ابن مطروح بقوله:

إذا ما سَقاني ريقَهُ وهوَ باسِمٌ .... تذكَّرْتُ ما بينَ العُذَيْبِ وبارِقِ

والاستعانة والعنوان بأنَّ التضمين يقع في النظم والنثر، ولا يكون إلاَّ بالنثر، ويكون من المحاسن والعيوب، لكنَّه لا يكون من العيوب إلاَّ إذا وقع في النظم بالنظم، وأمَّا الإيداع والاستعانة - وإن وقعا معاً في النظم والنثر - فلا يكونان إلاَّ بالنظم، دون النثر، وأمَّا العنوان فإنَّه يقع في النظم والنثر، ولا يقع بالنثر، ولا يكون إلاَّ من المحسن دون العيوب، فعلى هذا يكون ما ذكر من الشواهد هنا يسمَّى إيداعاً لا تضميناً.

وقوله: [الطويل]

تَذَكَّرتُ ما بَينَ العُذَيبِ وَبارِقِ   مَجَرَّ عَوالينا وَمَجرى السَوابِقِ

مطلع قصيدة لأبي الطيب، والعذيب وباريق موضعان وما بين ظرف للتذكر أو للمجر والمجرى قدم اتساعا في تقديم الظرف على عامله المصدر أو ما بين مفعول تذكرت، ومجر بدل عنه، والمعنى: أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين وكانوا يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ويسابقون على الخيل.

فالشاعر الثاني أراد بالعذيب تصغير العذب يعني به شفة الحبيبة وببارق ثغرها الشبيهة بالبرق وبما بينهما ريقها. وهذا تورية وشبه تبختر قدها بتمايل الرمح وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق.

(ولا يضر) في التضمين.

(التغيير اليسير) لما قصد تضمينه ليدخل في معنى الكلام كقول الشاعر في يهودي به داء الثعلب:

أَقولُ لمعشرٍ جهلوا وغَضُّوا   منَ الشَّيخِ الرَّشيدِ وأنكروهُ

هُوَ ابنُ جَلاَ وطلاَّعُ الثَنَايا   متَى يَضَـــعِ العِمامَةَ تَعْرِفوهُ

البيت لسحيم بن وشيل وأصله أما أن جلا على طريقة التكلم فغيره إلى طريقة الغيبة ليدخل في المقصود.

(وربما سمى تضمين البيت فيما زاد على البيت استعانة، وتضمين المصراع فما دونه إيداعا) كأنه أودع شعره شيئا قليلا من شعر الغير.

(ورفوا) كأنه رفا خرق شعره بشيء من شعر الغير.

(وأما العقد فهو أن ينظم نثرا) قرآنا كان أو حديثا أو مثلا أو غير ذلك.

(لا على طريق الاقتباس) يعني إن كان النثر قرآنا أو حديثا فنظمه إنما يكون عقدا إذا غير تغييرا كثيرا، وأشير إلى أنه من القرآن أو الحديث، وإن كان غير القرآن أو الحديث فنظمه عقد كيف ما كان إذ لا دخل فيه للاقتباس.

(كقوله: [السريع]

ما بالُ مَن أَوَّلُهُ نُطفَةٌ وَجيفَةٌ آخِرُهُ يَفخَرُ)

الجملة حال أي: ما باله مفتخرا.

(عقد قول) علي رضي الله عنه: (وما لابن آدم الفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة).

(وأما الحل فهو أن ينثر نظما) وإنما يكون مقبولا إذا كان سبكه مختارا لا يتقاصر عن سبك النظم، وأن يكون حسن الموقع غير قلق.

(كقول بعض المغاربة: فإنه لما قبحت فعلاته، وحنظلت نخلاته) أي: صارت ثمار نخلاته كالحنظل في المرارة.

(لم يزل سوء الظن يقتاده) أي: يقوده إلى تخيلات فاسدة وتوهمات باطلة.

(ويصدق) هو.

(توهمه الذي يعتاده) من الاعتياد.

(حل قول أبي الطيب: [الطويل]

إِذا ساءَ فِعلُ المَرءِ ساءَت ظُنونُهُ وَصَدَّقَ ما يَعتادُهُ مِن تَوَهُّمِ[1]

---

(١)هو للمتنبي، من قصيدة من الطويل، قالها في كافور الإخشيدي، وكان قد دخل عليه يوماً فلمّا نظر إليه وإلى قلته في نفسه، وخسة أصله، ونقص عقله، ولؤم كفه، وقبح فعله، ثار الدم في وجهه حتّى ظهر ذلك فيه، وبادر وخرج، فأحس كافور بذلك، فبعث إليه بعض قواده وهو يرى أن أبا الطيب لا يفطن فسايره وسأله عن حاله، وقال له: يا أبا الطيب، ما لي أراك متغير اللون؟ فقال: أصاب فرسي جرح خفته عليه، وما له خلف إن تلف، فعاد إلى كافور فأخبره، فحمل إليه مهراً أدهم، فقال هذه القصيدة، وذلك سنة سبع وأربعين وثلثمائة، وأوّلها:

فِراقٌ ومن فارقْتُ غيرُ مذمَّمِ .. وأَمٌّ ومن يمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ
وما منزِلُ اللّذّاتِ عندي بمنزِلٍ ... إذا لم أُبَجَّلْ عندَهُ وأُكرَّمِ

يشكو سيف الدولة واستماعه لقول أعدائه.

(وأما التلميح) صح بتقديم اللام على الميم من لمحه إذا أبصره، ونظر إليه وكثيرا ما تسمعهم يقولون: لمح فلان هذا البيت فقال كذا، وفي هذا البيت تلميح إلى قول فلان، وأما التمليح بتقديم الميم على اللام بمعنى الإتيان بالشيء المليح كما مر في التشبيه والاستعارة فهو ههنا غلط محض وإن أخذ مذهبا.

(فهو أن يشار) في فحوى الكلام.

(إلى قصة أو شعر) أو مثل سائر.

(من غير ذكره) أي: ذكر كل واحد من القصة أو الشعر، وكذا المثل فالتلميح إما في النظم أو في النثر والمشار إليه في كل منهما، إما أن يكون قصة أو شعرا أو مثلا تصير ستة أقسام: والمذكور في الكتاب مثل التلميح في النظم إلى القصة والشعر.

(كقوله: [الطويل]

فَوَاللهِ ما أدري أَأَحــــلامُ نائِمٍ ... أَلَمَّت بِنا أَم كانَ في الرَكبِ يوشَعُ[1]

=

سجيَّةُ نفسٍ مـــا تزالُ مليحَةً .. منَ الضيمِ مـــرميًا بها كلُّ مخرمِ

رحلتُ فكم باكٍ بأجفانِ شادنٍ .... عليَّ وكم باكٍ بأجفانِ ضيغمِ

وما ربة القرط المليح مكانه .... بأجزعَ منْ ربِّ الحسام المصممِ

فلو كانَ ما بي مِن حبيب مقنع ...... عَذَرْتُ ولكنْ منْ حبيبٍ معمّمِ

رمى واتَّقى رَميتي ومن دون ما اتقي .. هَوًى كاسرٌ وقوسي وأسهمي

وبعده البيت، وبعده:

وعادَى مُحِبيهِ بقوْلِ عُداتِهِ .. وأصبحَ في ليلٍ من الشَّكِّ مُظلمِ

ومعنى البيت: إذا قبح فعل الإنسان قبحت ظنونه، فيسيء ظنه بأوليائه ويصدق ما يخطر بقلبه من التوهُّم الرديء فيهم. والشاهد فيه: الحلّ، وهو نثر النظم، وقد استشهد به على ما حله بعض المغاربة بقوله: فإنه لما قبحت فعلاته، وحنظلت نخلاته، لم يزل سوء الظن يقتاده، ويصدق توهمه الذي يعتاده.

(١) البيت لأبي تمام، من قصيدة من الطويل، يمدح بها أبا سعيد محمد ابن يوسف الثغري، أولها:

أَمَا إِنَّهُ لولا الخليط المودّعُ .. وربعٌ عفـــا منهُ مصيف ومَرْبَعُ

لردَّتْ على أعقابِها أريحيَّة .. منَ الشَّوقِ واديها من الدَّمعِ مُتْرَعُ

وصف لحوقه بالأحبة المرتحلين وطلوع شمس وجه الحبيب من جانب الخدر في ظلمة الليل.

ثم استعظم ذلك واستغرب وتجاهل تحيرا وتدلها وقال: أهذا حلم أراه في النوم، أم كان في الركب يوشع، النبي صلى الله عليه وآله. فرد الشمس.

(إشارة إلى قصة يوشع عليه السلام واستيقافه الشمس) على ما روي من أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم.

(وكقوله لعمرو) واللام للابتداء وهو مبتدأ.

(مع الرمضاء) أي: الأرض الحارة التي ترمض فيها القدم أي تحترق حال من الضمير في أرق.

=

لحقنا بأخراهُمْ وقد حَومَ الهَوَى .. قلوباً عهــــدنا طيرَها وهيَ وُقَّعُ
فرَدَّتْ علينا الشمسَ واللَّيلُ راغمٌ .. بشَمسٍ بَدَتْ من جانبِ الخدرِ تطلُعُ
نَضَا ضَوؤُها صِبغَ الدّجنةِ وانطَوَى .. لبَهجتهــــا ثوْبُ السَّماءِ المجزَّعُ

وبعده البيت، وبعده:

وعهدي بها تُحيي الهَوَى وتميتُهُ .. وتَشْعبُ أعْشارَ القلوب وتصدَعُ
وأَفرعُ بالعتبى حُمَيَّا عِتابِها .... وقدْ تستَقيدُ الرَّاحَ حينَ تشعشِعُ
وتقفُو لِيَ الجدْوَى بجَدْوَى وإنَّما .. يَرُوقكَ بَيْتُ الشّعرِ حينَ يُصَرَّعُ

والشاهد فيه: التلميح، وهو: أن يشير الشاعر في فحوى الكلام إلى قصة أو شعر، أو مثل سائر، فهنا أشار إلى قصة يوشع بن نون، فتى موسى – عليهما السلام! – واستيقافه الشمس، فإنَّه روى أنّه قاتلَ الجبارين يوم الجمعة، فلمّا أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم، ويدخل السبت، فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله تعالى، فردَّ له الشمس حتَّى فرغ من قتالهم، وخرّج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: " غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبنِ بها، ولا آخر قد بنى بنياناً، ولم يرفع سقفه، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادتها، قال: فغزا القرية حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليّ، فحبست عليه حتَّى فتح الله عليه".

(والنار) مرفوع معطوف على عمرو أو مجرور معطوف على الرمضاء.

(تلتظى) حال منها وما قيل: إنها صلة على حذف الموصول أي النار التي تلتظى تعسف لا حاجة إليه.

(أرق) خبر المبتدأ من رق له إذا رحمه.

(وأخفى) من خفي عليه تلطف وتشفق.

(منك في ساعة الكرب، أشار إلى البيت المشهور) وهو قوله:

(المُستَجيرُ) أي: المستغيث.

(بِعَمرٍ عِندَ كُربَتِهِ) الضمير للموصول أي الذي يستغيث عند كربته بعمرو.

(كَالمُستَجيرِ مِنَ الرَمضاءِ بِالنارِ)(١).

وعمرو: هو جساس بن مرة وذلك لأنه لما رمى كليبا، ووقف فوق رأسه قال له كليب: ياعمرو؛ أغثني بشربة ماء، فأجهز عليه، فقيل: المستجير بعمرو .... البيت.

---

(١)وهو من البسيط، ولا أعرف قائله. وعمرو: هو ابن الحارث، ولهذا البيت قصة، وهي أنَّ البَسوس بنت يعد خالة جسَّاس بن مرَّة كان لها جار من جَرْم، يقال له: سعد بن شمس، وكانت له ناقة يقال لها سَرَاب، وكان كليب بن وائل قد حمى أرضاً من أرض العالية في مستقبل الربيع، فلم يكن يرعاها أحد إلاَّ جسَّاس لمصاهرة بينهما، لأنَّ جليلة بنت مرَّة أخت جسَّاس كانت تحت كليب، فخرجت ناقة الجرمي ترعى في حمى كليب مع إبل جسَّاس، فأبصرها كليب، فأنكرها، فرماها بسهم فأصاب ضَرْعها، فولَّت حتَّى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب لبناً ودماً، فلمَّا نظر إليها صاح: واذُلاَّه وذلّ جاراه، فخرجت جارته البَسوس، فلمَّا رأت الناقة ضربت يدها على رأسها وصاحت: واذُلاَّه.

فصل

من الخاتمة في حسن الابتداء والتخلص والانتهاء

(ينبغي للمتكلم) شاعرًا كان أو كاتبا.

(أن يتأنق) أي: يتبع الأنق والأحسن، يقال: تأنق في الروضة إذا وقع فيها متتبعا لما يونقه أي يعجبه.

(في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون) تلك المواضع الثلاثة.

(أعذب لفظا) بأن تكون في غاية البعد عن التنافر والثقل.

(وأحسن سبكا) بأن تكون في غاية البعد عن التعقيد والتقديم والتأخير الملبس، وأن تكون الألفاظ متقاربة في الجزلة والمتانة والرقة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لا لفظها من غير أن تكتسي اللفظ الشريف المعنى السخيف، أو على العكس بل يصاغان صياغة تناسب وتلاؤم.

(وأصح معنى) بأن يسلم من التناقض والامتناع والابتذال ومخالفة العرف ونحو ذلك.

(أحدها الابتداء) لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان عذبا حسن السبك، صحيح المعنى أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وإلا أعرض عنه، وإن كان الباقي في غاية الحسن فالابتداء الحسن في تذكار الأحبة والمنازل.

(كقوله:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ   بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ)

السقط: منقطع الرمل حيث يدقه، واللوى: رمل معوج ملتوي، والدخول وحومل: موضعان والمعنى بين أجزاء الدخول.

(و) في وصف الدال.

(كقوله: [الكامل]

قَصرٌ عَلَيهِ تَحِيَّةٌ وَسَلامُ   خلعت عَلَيهِ جَمالَهَا الأَيّامُ (١)

خلع عليه: أي نزع ثوبه وطرحه عليه.

(و) ينبغي.

(أن يجتنب في المديح مما يتطير به) أي: يتشاؤم به.

(كقوله:

مَوْعِدُ أحبابك بالفُرْقَةِ غَدْ)(٢)

مطلع قصيدة لابن مقاتل الضرير أنشدها للداعي العلوي، فقال له الداعي: موعد أحبابك يا أعمى ولك المثل السوء.

(وأحسنه) أي: أحسن الابتدا.

---

(١)البيت لأشجع السلمي، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد، والرواية نثرت بدل خلعت، وبعده:

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقَى .. للمُـــلْكِ فيه سلامةٌ وسلامُ
قصرٌ سُقوفُ المزن دون سقوفِهِ .. فيـــــه لأعلام الهدى أعلامُ
نَشَرت عليه الأرض كسوتها التي .. نسجَ الربيعُ وزخْرَفَ الإرهامُ
أدنتكَ من ظل النبي وَصِيَّةٌ .. وقرابــــــة وشجَتْ بها الأرحامُ
بَرَقَتْ سماؤك في العَدُوِّ فأمطَرَتْ .. هامـــاً لها ظلُّ السيوف غمامُ
وإذا سيوفكَ صافَحتْ هامَ العدا .. طارَت لهن عن الرؤوس الهامُ
يُثنى على أيامك الإسلام .. والشاهـــــــدان الحلُّ والإحرامُ
وعلى عدوِّكَ يا ابنَ عمّ محمد .. رَصَـــدَانِ ضوءُ الصبح والإظلامُ
فإذا تنبه رُعْتَهُ وإذا غَفا .. سَلَّتْ عليـــــــه سيوفكَ الأحلامُ

والشاهد في البيت: حسن الابتداء.

(٢)قائله ابن مقاتل الضرير، أحد شعراء الجبال، في مطلع قصيدة من الرجز أنشدها للداعي إلى الحق العلوي الثائر بطبرستان، فقال له: بل موعد أحبابك ولك المثل السوء. والشاهد فيه: قبح الابتداء. وروي أيضاً أنه دخل عليه في يوم مِهْرَجان وأنشده:

لا تَقُلْ بُشْرى ولكن بُشْرَيان .. غُرّة الداعي ويومُ المِهْرَجان

فتطير منه الداعي، وقال: يبتدئ بهذا يوم المهرجان، وأمر ببَطْحه وضربه خمسين عَصاً، وقال: إصلاح أدبه أبلغ في ثوابه.

(ما ناسب المقصود) بأن يشتمل على إشارة إلى ما سبق الكلام لأجله.

(ويسمى) كون الابتداء مناسبا للمقصود.

(براعة الاستهلال) من برع الرجل: إذا فاق أصحابه في العلم أو غيره.

(كقوله في التهنئة: [البسيط]

بُشرى فَقَد أَنجَزَ الإِقبالُ ما وَعدا) وَكَوكَبُ المَجدِ في أُفقِ العُلا صَعَدا [1]

مطلع قصيدة لأبي محمد الخازن يهنئ الصاحب بولد لابنته.

(وقوله في المرثية: [الوافر]

هِيَ الدُنيا تَقولُ بِمِلءِ فيها حَذارِ حَذارِ)

أي: احذر.

(مِن بَطشي) أي: أخذي الشديد.

---

(١)هو من البسيط، وقائله أبو محمد الخازن، من قصيدة يهنئ بها الصاحب ابن عبَّاد بسِبْطه الشريف أبي الحسن عباد بن علي الحسنيّ، وتمام المطلع:

وكَوْكبُ المَجْدِ في أُفقِ العُلاَ صَعَدا

وبعده:

وقدْ تَفَرَّعَ في رَوضِ الوزارَةِ عنْ .. دَوْحِ الرّسالة غُصنٌ مورِقٌ رَشَدَا
لله آية شمس للعلاَ ولَدَتْ .... نجماً وغابَةَ عزٍّ اطلعَتْ أسدا
وَعنصُر منْ رسول الله واشجة .... كريم عنصر إسماعيل فاتَّحَدَا
ويضعة من أمير المؤمنين زكَتْ .. أصلاً وفرعاً وصحت لحمة وسُدَى
ومثل هذِي السَّعادات القوية لا .... يحُوزُها غيرهُ دَامتْ له أبَدَا
يا دهرَهُ حُقَّ أن تزهى بمولدِهِ .... فمثلُهُ منذ كانَ الدَّهر ما وُلِدا
تعجبوا من هلالِ العيدِ يطلعُ في .. شعبانَ، أمرٌ عَجيبٌ قطُّ ما عُهِدا
فمن مُوال يوالي الحمدَ مُبتهلاً ...... ومخلصٌ يستديمُ الشُّكر مجتهدا
وكادت الغادة الهيفاء من طَرَبٍ .. تعطى مُبشرها الأهياف والغَيَدَا
فَلا راعَى الله نفساً لا تسرُّ بِهِ .... ولا وقاها وغشَّاها رداء رَدَى
وذي ضَغائن طارَتْ رُوحهُ شَفَقاً .. منهُ وطاحَتْ شظايا نفسهِ قِدَدَا

والشاهد في البيت: براعة الاستهلال، وهو: أن يكون في الابتداء إشارة إلى ما سيق الكلام لأجله.

(وَفَتكي)(١) أي: قتلي فجأة مطلع قصيدة لأبي الفرج الساوي يرثي فخر الدولة.

(وثانيها) أي: ثاني المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها.

(التخلص) أي: الخروج.

(مما شبب الكلام به) أي: ابتدأ وافتتح، قال الإمام الواحدي رحمه الله: معنى التشبيب ذكر أيام الشباب واللهو والغزل، وذلك يكون في ابتداء قصائد الشعر، فسمي ابتداء كل أمر تشبيبا وإن لم يكن في ذكر الشباب.

(من تشبيب) إلى وصف للجمال.

(وغيره) كالأدب والافتخار والشكاية وغير ذلك.

---

(١)البيت لأبي الفرج الساوي، من قصيدة من الوافر، يرثي بها فخر الدولة ابن بُوَيْه.
وكان من خبر وفاته - كما حكاه العُتْبي - أنه لما فرغ من القلعة التي أستحدثها على جبل طبرك نزل بها مرتاحاً، فاشتهى طرائح من لحم البقر، فنُحرت بين يديه واحدة، وطفق أصحابه يَطْهونَ له من أطايبِها، وهو ينال منها، وأتبعها بعناقيد كرم، ودارت عليه الكؤوس ملأى ولاء، فلم يلبث أن لوى عليه جوفه، واتصل على الألم صوته، إلى أن جثم عليه موته، فرثاه الساوي بهذه القصيدة، وبعده البيت:

لا يغرركم حُسْنُ ابتسامي ...... فَقولي مُضْحك والفعلُ مُبكي
بفخر الدولة اعْتبروا فإني ...... أخذْتُ الملك منه بسيف ملكي
وقد كان استطال على البَرايا .... ونظَّمَ جمعهم في سِلك ملكِ
فلو شمس الضحى جاءته يوماً .... لقال لها عُتُوًّا أُفٍّ منكِ
ولو زُهْرُ النجوم أتت رضاه .... تأبَّى أن يقول رضيت عنكِ
فأمسى بعد ما قَرَعَ البرايا .... أسير القبر في ضيق وضَنْكِ
أقدر أنه لو عاد يوماً .... إلى الدنيا تَسَرْبل ثوب نُسكِ
دعي يا نفس فكرك في ملوك .. مضوا بك في انقراض وَيْكِ فابكي
فلا يغني علاك الليث شيئاً .. عن الظبي السليب قميص نسكِ
هي الدُّنيا أشبهها بشَهْدٍ .... يسم، وجيفةٍ طُلِيَتْ بمِسْكِ
هي الدُّنيا كمثل الطِّفلِ، بينا ...... يقهقه إذ بكى من بعد ضحكِ
ألا يا قومنا انتَبهوا فإنَّا .... نحاسب في القيامَةِ دون شكِّ

والشاهد فيه: براعة الاستهلال أيضاً، فإنَّه يشعر بابتدائه بأنَّه في الرثاء.

(إلى المقصود مع رعاية الملائمة بينهما) أي: بين ما شبب به الكلام وبين المقصود واحترز بهذا عن الاقتضاب، وأراد بقوله التخلص معناه اللغوي، وإلا فالتخلص في العرف هو الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة.

وإنما ينبغي أن يتأنق في التخلص لأن السامع يكون مترقبا الانتقال من الافتتاح إلى المقصود كيف يكون، فإن كان حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاطه وأعان على إصغاء ما بعده وإلا فبالعكس فالتخلص الحسن.

(كقوله: يقول في قومي) اسم موضع قومي، وقد أخذت منا السرى أي أثر فينا السير بالليل، ونقص من قوانا.

(وخطى المهرية) عطف على السرى لا على المجرور في منا، كما سبق إلى بعض الأوهام وهي جمع خطوة، وأراد بالمهرية الإبل المنسوبة إلى مهر ابن حيدان أبي قبيلة.

(القود) أي: الطويلة الظهور والأعناق جمع أقود، أي أثرت فينا مزاولة السرى ومسايرة المطايا بالخطى ومفعول يقول هو قوله:

(أمطلع الشمس تبغي) أي: تطلب.

(أن تؤم) أي: تقصد.

(بنا فقلت كلا) ردع للقوم وتنبيه.

(ولكن مطلع الجود. وقد ينتقل منه) أو مما شبب به الكلام.

(إلى ما لا يلائمه ويسمى) ذلك الانتقال.

(الاقتضاب) وهو في اللغة الاقتطاع والارتجال.

(وهو) أي: الاقتضاب.

(مذهب العرب الجاهلية ومن يليهم من المخضرمين) بالخاء والضاد المعجمتين، أي: الذين أدركوا الجاهلية والإسلام مثل لبيد.

قال في الأساس: ناقة مخضرمة أي جذع نصف أذنها، ومنه المخضرم الذي أدرك الجاهلية والإسلام كأنما قطع نصفه حيث كان في الجاهلية.

(كقوله: [الخفيف]

لَو رَأى اللهُ أَنَّ في الشيبِ خيرا جاوَرَتهُ الأَبرارُ في الخُلدِ شيبا)

جمع أشيب وهو حال من الأبرار، ثم انتقل من هذا الكلام إلى ما لا يلائمه فقال:

(كُلَّ يَومٍ تُبدي) أي: تظهر.

(صُروفُ اللَيالي خُلُقاً مِن أَبي سَعيدٍ رَغيبا)[1]

ثم كون الاقتضاب مذهب العرب والمخضرمين؛ أي دأبهم وطريقتهم لا ينافي أن يسلكه الإسلاميون ويتبعونهم في ذلك، فإن البيتين المذكورين لأبي تمام وهو من الشعراء

---

(١) البيتان لأبي تمام، من قصيدة من الخفيف يمدح بها محمد بن يوسف أوّلها:

من سجايا الطلول أن لا تجيبا .. فصوابٌ من مُقلتي أن تَصُوبَا
اسألنها واجعل بكاك جواباً ...... تجدِ الشَّوق سائلاً ومجيبًا
قد عهدنا الرُّسوم وهي عكاظ .. للصبا تزدهيك حسناً وطيبًا
أكثر الأرض زائراً ومزوراً ...... وصعوداً من الهَوَى وصبوبًا
وكعاباً كأنّما ألبستهـــــا ..... غَفَلاتُ الشَّبابِ برداً قشيبًا
بين البين فقدها قلّما تعـ...... ـرف فقداً للشَّمس حتّى تغيبًا
لعبَ الشَّيبُ بالمفارقِ بل جـ........ ـدّ فأبكى تماضراً ولعوبًا
خضبت خدّها إلى لؤلؤ العقـ....ـد دماً أن رأت شواتي خضيبًا
كلّ داء يرجى الدَّواء له .... إلاَّ الفظيعـــين ميتة ومشيبًا
يا نسيم الثُّغام ذنبُكَ أبقى .... حسناتي عند الحسان ذنوبًا
ولئن عِبْنَا ما رَأَينا لقد أن .... كرنا مستنكراً وعِبْنَ مُعيبًا
أو تصدُّ عن قلى فكفى بال .... شيب بيني وبينهنَّ حسيبًا

وبعده البيتان، والرواية في الديوان فضلاً بدل خيراً، والقصيدة طويلة. والشيب - بكسر الشين المعجمة - جمع شائب، والرغيب: الواسع، والشاهد فيه: الاقتضاب، ويسمى الاقتطاع، والارتجال، وهو أن ينتقل الشاعر ممَّا ابتدأ به الكلام إلى ما لا يلائمه، وهذا مذهب العرب الجاهلية والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، مثل: لبيد، وحسان، والشعراء الإسلاميون قد يتبعونهم في ذلك ويجرون على مذهبهم

الإسلاميين في الدولة العباسية، وهذا المعنى مع وضوحه قد خفي على بعضهم حتى اعترض على المصنف بأن أبا تمام لم يدرك الجاهلية فكيف يكون من المخضرمين.

(ومنه) أي: من الاقتضاب.

(ما يقرب من التخلص) في أنه يشوبه شيء من المناسبة.

(كقولك بعد حمد الله: أما بعد) فإنه كان كذا وكذا فهو اقتضاب من جهة الانتقال من الحمد والثناء إلى كلام آخر من غير رعاية ملائمة بينهما، لكنه يشبه التخلص حيث لم يأت بالكلام الآخر فجأة من غير قصد إلى ارتباط وتعليق بما قبله، بل قصد نوع من الربط على معنى مهما يكون من شيء بعد الحمد والثناء فإنه كان كذا وكذا.

(قيل وهو) أي: قولهم بعد حمدالله إما بعد. هو:

(فصل الخطاب) قال ابن الأثير: والذي اجمع عليه المحققون من علماء البيان أن فصل الخطاب هو أما بعد، لأن المتكلم يفتتح كلامه في كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده، فإذا أراد أن يخرج منه إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد، وقيل: فصل الخطاب معناه الفاصل من الخطاب أي الذي يفصل بين الحق والباطل على أن المصدر بمعنى الفاعل، وقيل: المفصول من الخطاب وهو الذي يتبينه من يخاطب به أي يعمله بينا لا يلتبس عليه فهو بمعنى المفعول.

(وكقوله) تعالى عطف على قوله: كقولك بعد حمد الله يعني من الاقتضاب القريب من التخلص ما يكون بلفظ هذا كما في قوله تعالى بعد ذكر أهل الجنة.

(﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [ص:٥٥]) فهو اقتضاب فيه نوع مناسبة وارتباط لأن الواو للحال ولفظ هذا إما خبر مبتدا محذوف.

(أي الأمر هذا) والحال كذا.

(أو) مبتدأ محذوف الخبر أي.

(هذا كما ذكر) وقد يكون الخبر مذكورا.

(مثل قوله تعالى) بعد ما ذكر جمعا من الانبياء عليهم السلام وأراد أن يذكر بعد ذالك الجنة واهلها.

(﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٤٩]) بإثبات الخبر أعني قوله ذكر وهذا مشعر بأنه في مثل قوله تعالى:﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر.

قال ابن الأثير: لفظ هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن من الوصل وهي علاقة وطيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر.

(ومنه) أي: من الاقتضاب القريب من التخلص.

(قول الكاتب) هو مقابل للشاعر عند الانتقال من حديث إلى آخر.

(هذا باب) فإن فيه نوع ارتباط حيث لم يبتدئ الحديث الآخر بغتة.

(وثالثها) أي: ثالث المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها.

(الانتهاء) لأنه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس؛ فإن كان حسنا مختارا تلقاء السمع واستلذه حتى جبر ما وقع فيما سبقه من التقصير وإلا لكان على العكس حتى ربما أنساه المحاسن الموردة فيما سبق فالانتهاء الحسن.

(كقوله: وإني جدير) أي: خليق.

(إذ بلغتك بالمنى) أي: جدير بالفوز بالاماني.

(وأنت بما أملت منك جدير، فإن تولني) أي: تعطني.

(منك الجميل فأهله) أي: فأنت أهل لاعطاء ذلك الجميل.

(وإلا فإني عاذر) إياك عما صدر عني من الإبرام.

(وشكور)[1] لما صدر عنك من الإصغاء إلى المديح أو من العطايا السالفة.

---

(١)البيتان لأبي نواس، من قصيدة من الطويل، يمدح بها الخصيب صاحب مصر، أوّلها:

أجارَةَ بَيتينا أبوكِ غَيــــور ... ومَيسورُ ما يُرَجّى لديكِ عسير

فإن كنتِ لا خلمًا ولا أنتَ زوجة .. فلا بَرِحَتْ دوني عليك ستور

وجاورت قوماً لا تجـــاور بينهم .. ولا وصلَ إلا أن يكون نشور

(وأحسنه) أي: أحسن الانتهاء.

(ما أذِن بانتهاء الكلام) حتى لا يبقى للنفس تشوق إلى ما وراءه.

(كقوله: [الطويل]

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله ... وهذا دعاء للبرية شامـــــل[1]

لأن بقاءك سبب لنظام أمرهم وصلاح حالهم، وهذه المواضع الثلاثة مما يبالغ المتأخرون في التأنق فيها، وأما المتقدمون فقد قلت عنايتهم بذلك.

(وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن الوجوه وأكملها) من البلاغة لما فيها من التفنن، وأنواع الإشارة وكونها بين أدعية ووصايا ومواعظ وتحميدات وغير ذلك مما وقع موقعه وأصاب نحره؛ بحيث تقصر عن كنه وصفه العبارة، وكيف لا؟ وكلام الله سبحانه وتعالى في الرتبة العليا من البلاغة والغاية القصوى من الفصاحة، ولما كان هذا المعنى مما قد يخفى على بعض الأذهان؛ لما في بعض الفواتح والخواتم من ذكر الأهوال والأفزاع وأحوال الكفار وأمثال ذلك أشار إلى إزالة هذا الخفاء بقوله.

(يظهر ذلك بالتام مع التذكر لما تقدم) من الأصول والقواعد المذكورة في الفنون الثلاثة التي لا يمكن الاطلاع على تفاصيلها وتفاريقها إلا لعلام الغيوب؛ فإنه يظهر بتذكرها أن كلا من ذلك وقع موقعه بالنظر إلى مقتضيات الأحوال، وإن كلا من السور بالنسبة إلى المعنى الذي يتضمنه مشتملة على لطف الفاتحة، ومنطوية على حسن الخاتمة ختم الله تعالى لنا بالحسن ويسر لنا الفوز بالذخر الأسنى، بحق النبي وآله الأكرمين والحمد لله رب العالمين.

=

فما أنا بالمشغوف ضربةَ لازبٍ .. ولا كـــلّ سلطان عليَّ قدير

وإنّي لطرف العين بالعين زاجر .. فقد كدت لا يخفى عليَّ ضمير

وهي طويلة، وتقدَّم ذكر شيء منها في حسن التخلص.

(١)البيت من الطويل، ونسب لأبي العلاء المعري، ونَسَبه ابن فضل الله لأبي الطيب المتنبي، ولم أره في ديوان واحد منهما: والشاهد فيه: حسن الانتهاء.